

جامعة العلوم الإسلامية العالمية

كلية الدراسات العليا

قسم العقيدة والفلسفة

الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين
"دراسة نقدية"

Reward between Theolgistes And Islamic Philosophers

"Comparative Study"

إعداد الطالب : علي مصطفى موسى القضاة

إشراف الأستاذ الدكتور: محمد علي الجندي

أستاذ العقيدة والفلسفة

حقل التخصص : العقيدة والفلسفة الإسلامية

قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات منح درجة الدكتوراة تخصص العقيدة والفلسفة الإسلامية من جامعة العلوم الإسلامية العالمية

عمّان – الاردن

١٤٣٢هـ -٢٠١١م

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قرار لجنة المناقشة

الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين

"دراسة نقدية"

إعداد الطالب :

علي مصطفى موسى القضاة

إشراف :

الأستاذ الدكتور: محمد علي الجندي

أعضاء لجنة المناقشة :	**التوقيع**
١. الأستاذ الدكتور محمد علي الجندي مشرفاً	
٢. الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود مناقشاً داخلياً	
٣. الأستاذالدكتور محمّد أحمد عبد القادر ملكاوي مناقشاً خارجياً	
٤. الأستاذ الدكتور محمد صلاح عبده محمد مناقشاً داخلياً	

World Islamic science and Education University

Faculty of Adrasat Al higher

Creed and Islamic Philosophy Deparmnent

....

الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين

"دراسة نقدية"

....

Reward between Theolgistes And Islamic Philosophers

"Comparative Study"

....

Prepared by

Ali Mustafa' Moussa Al Qdah

Supervisor by

Professor. Mohammad Ali Al Jundi

A Dissertation Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the degree of Doctor of Philosophy in Islamic Creed and Philosophy at the World Islamic science and Education University

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ ﴾

الأنعام: ١٦٢

الإهداء

إلى الهادي إلى الخير سبيلي محمد صلى الله عليه وسلم .

إلى الذي نذرني للعلم وأبى إلا أن أكون لله عز وجل وينظر إلي بعين مشرقة وقلب مطمئن ونفس فخورة ....أبي حفظه الله .

إلى نبع الحنان وشجرة العطاء ورمز الفداء ....أمي حفظها الله .

إلى الذين آثروا وصبروا وأبوا إلا أن يكونوا أوفياء صادقين بعهدهم معي إخواني وأخواتي .

إلى من وقفوا إلى جانبي ولم يتوانوا عن تقديم النصح والتوجيه أساتذتي الأفاضل .

أهُدي أجر هذا الجهد مع خالص المحبة .

الباحث

الشكر والتقدير

الحمد والشكر لله رب العالمين ، الذي ألهمني الطموح وسدد على الطريق القويم خطاي والصلاة والسلام على نبينا محمد الأمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فمن لا يشكر الناس لا يشكر الله ،أماوقد أعانني الله تعالى على إنجاز هذا العمل المتواضع فإنني أجد نفسي مديناً بالشكر لكل من أسهم بإخراج هذه الأطروحة بصورتها الحالية .

فأتقدم بالشكر الكبير إلى من شجع ودعم العلم والمعرفة مولاي حضرة صاحب الجلالة **الملك عبد الله الثاني بن الحسين** ،أدام الله ملكه ، الذي يواصل الليل والنهار لخدمة العلم والعلماء .

والشكر موصولاً إلى صاحب السمو الملكي**الأمير الدكتور غازي بن محمّد** ،الذي يدعم بكل قواه العلم الشرعي .

إلى الصرح العلمي الشامخ جامعة العلوم الإسلامية العالمية ِ ممثلة برئيسها الأستاذ **الدكتور عبد الناصر أبو البصل** ، الذي عمل على استقطاب ِ نخبةً من العلماء الأفذاذ لينيروا السُبل في هذه الجامعة الناشئة ،كما أشكر جميع القائمين عليها ، من الهيئتين التدريسية والإدارية .

وأخص بالشكر والعرفان فضيلة الأستاذ **الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود** نائب الرئيس و عميد كلية أصول الدين .لما بذله من جهد لتذليل الصعاب أمامي،والذي كلما التوى عليّ الأمر وتعثرت خطاي أخذ بيدي وشجعني وسهل الأمر لي بملاحظاته الدقيقة ، والذي كان لتوجيهاته السديدة وإرشاداته الصائبة أكبر الأثر في إنجاح هذا العمل وإخراجه الى حيز الوجود .كما أتقدم بالشكر إلى فضيلة المشرف الأستاذ **الدكتور محمد علي الجندي،** الذي لم يبخل عليّ بشيء من علمه ووقته .وكل الشكر والعرفان إلى أساتذتي العلماء الاجلاء الكرام أعضاء لجنة المناقشة لتفضلهم بقبول مناقشة هذه الأطروحة و إسداء النصح والملاحظات التي ستسهم في إثرائها ، وهم فضيلة الأستاذ **الدكتور عبد المقصود حامد** وفضيلة الأستاذ**الدكتور محمّد أحمد ملكاوي** وفضيلة الأستاذ**الد كتور محمد صلاح عبده** .

كما أتقدم بالشكر والتقدير إلى أساتذتي الأجلاء وأخص بالذكر لا الحصر :

-**فضيلة الأستاذ الدكتور محمّد حسن مهدي** .أستاذ العقيدة والفلسفة في جامعة العلوم الإسلامية العالمية .

– **فضيلة الأستاذ الدكتور حبيب الله حسن أحمد**. أستاذ العقيدة والفلسفة في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

– **فضيلة الأستاذ الدكتور سعدون محمود الساموك** . أستاذ الاديان في جامعة العلوم الإسلامية العالمية.

– **فضيلة الأستاذ الدكتور علي عايد مقدادي** . أستاذ العقيدة في جامعة البلقاء التطبيقية .

– **فضيلة الأستاذ الدكتور يوسف الزيوت** . أستاذ العقيدة في جامعة اليرموك .

-**فضيلة الأستاذ الدكتور شحاده العمّري** . أستاذ التفسير وعلومه جامعة اليرموك .

لهم مني جميعاً خالص الشكر والتقدير،سائلاً الله العزيز ، أن يعزهم ويمدهم بالصحة والعافية وأن يجعل كل مايقدمونه في ميزان حسناتهم .

الباحث

الفهـرس

بسم اللهالرحمٰن الرحيم

"ملخص الرسالة "

"الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين"

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى وعلى آله وصحبه وكل من سار على نهجه وبه اقتدى .

وبعد :

فإن الجزاء في الإسلام –بشكل خاص– وفي كل الرسالات السماوية– بشكل عام– هو جزء رئيس من عقيدتها ومن أركان الإيمان باليوم الآخر والذي به ومن خلاله يترتب عليه الأثر على سلوك الفرد في حياته وفي مجتمعه ، لذا فإن طريق معرفتنا للجزاء الأخروي هو السماع ، وفيه يقول تعالى :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْاْ يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔاۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ ﴾ ((لقمان: ٣٣)) وقد كان الهدف من هذه الدراسة هو بيان آراء الفرق الكلامية الإسلامية في الجزاء الأخروي وبيان آراء الفلاسفة المسلمين في ذلك ، فكان عنوان هذه الأطروحة

((الجزاء بين المتكلمين والفلسفة المسلمين "دراسة نقدية"))ولكن وطبقاً لمقتضى الحال فقد رأيت وباستشارة من فضيلة الدكتور المشرف أن أتطرق في أثناء الدراسة لموضوع البعث وحيث إنه سابق للجزاء .

وتحتوي هذه الدراسة على أربعة ابواب وخاتمة ، وكان الباب الأول– التمهيدي –(مفهوم الجزاء وصلته بالبعث)وفي المبحث الأول منه تناولت مفهوم الجزاء وانواعه ،والمطلب الاول منه بمفهوم الجزاء لغةً واصطلاحاً والمطلب الثاني منه:ماورد في الجزاء الاخروي في القرآن والسنة والمطلب الثالث منه: أنواع الجزاء وفي المبحث الثاني تناولت صلة البعث بالجزاء .وفي الباب الثاني : تضمن الحديث عن الجزاء عند المتكلمين .

ففي المبحث الأول منه تناولت مفهوم الجزاء البرزخي وآراء المتكلمين في سؤال الملكين (منكر ونكير) و في نعيم القبر وعذابه و الأقوال في وقوع العذاب أو النعيم على الجسد والروح أم على الروح فقط ؟.أما المبحث الثاني: فقد تناولت فيه

الجزاء الأخروي ومفهومه وأراء المتكلمين في وجوده الآن وخلوده، والأقوال في الحساب والميزان ،كما تناولت في المبحث الثالثمن هذا الباب الآراء الكلامية في كل من الشفاعة والصراط والقنطرة وكذلك الحوض والكوثر والرأي الراجح في كل ذلك ، أما المبحث الرابع فقد تناولت فيه مسألة كلام الله عز وجل للخلق ومسألة رؤيته يوم القيامة و آراء الفرق الكلامية في ذلك .

أما الباب الثالث: فكان بعنوان الجزاء عند الفلاسفة المسلمين ، ومهدت لهذا الباب بمدخل عن الجزاء عند الفلاسفة اليونان وذلك لبيان ما كان لهم من أثر على الفلاسفة المسلمين . أما المبحث الأول فقد تناولت فيه الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المشرق أمثال الكندي والفارابي وابن سينا .وفي المبحث الثاني تناولت فيه الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المغرب أمثال كل من ابن باجة ، وابن طفيل وابن رشد.

أما الباب الرابع : فكان بعنوان أوجه الاتفاق والاختلاف بين الفلاسفة والمتكلمين وتضمن :

أولاً :أوجه الاتفاق والاختلاف عند فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب .

وثانياً : أوجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين .

وثالثاً : أوجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين والفلاسفة .

ثم أنهيت بحثي بخاتمة أظهرت –من خلالها – أبرز ما توصلت إليه من نتائج .

وفي الختام لا يفوتني إلا أن أتوجه بالشكر لله –تعالى–الذي وفقني و اختارني لأن أحمل أمانة هذا العلم .

ثم أتوجه بالشكر بعد ذلك لجامعة العلوم الإسلامية العالمية متمثلة برئيسها **عطوفة الأستاذ الدكتور عبدالناصر أبو البصل** ، وجميع العمداء وأعضاء هيئة التدريس و أخص بالذكر **فضيلة الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود** نائب الرئيسوعميد الكلية الذي أحاطني بكل الرعاية ابتداءاً من اختيار عنوان هذه الأطروحة إلى أن تفضل بمناقشتي .

وأتوجه بجزيل الشكر والعرفان **لفضيلة الأستاذ الدكتورمحمد علي الجندي** الذي تفضل بالإشراف على هذه الأطروحة وبذل معي الجهد الكبير في التوجيه والنصح والارشاد ليخرج بحثي على الصورة المرجوة .

وكما أشكر كل من أعانني في إنجاز هذا العمل وأخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور محمد صلاح عبده وقد لمست منهم جميعاً كل الحبو التقدير و رحابة الصدر، كما أشكر أساتذتي الكرام جميعاً الذين تتلمذت على أيديهم.

كما أشكر كل من ساهم في إخراج هذا البحث المتواضع فلهم مني جميعاً خالص الشكر والامتنان سائلاً الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يكتب ذلك في ميزان حسناتهم.

وختاماً لا أزعم أني وفيت هذه الأطروحة حقها ولا أني ألممت بجميع جوانبها وقد فاتني الكثير ولكن حسبي أن اجتهدت لكي أُخرج هذا العمل في أبهج حُلةٍ وأجملِ صورةٍ و لكن الكمال عزيز ، والنقص والتقصير حاصل ،فما كان صواباً فمن الله وحده ، وما كان خطأ أو نقصاً فمن نفسي والشيطان والله بريءٌ من ذلك ورسوله .

آملاً أن أكون قد وفقت في تحقيق المرجو من البحثِ ،وقدمت ما فيه فائدة للعلمِ .

ولا أدعي –فيما قمت فيه من جهد – أني أتيت بما لم يسبقني به أحدٌ ولكن حسبي أني أجتهدتُ في إبراز ما رميت إليه من هذه الدراسة .

والله الهادي إلى سواء السبيل والموفق له .

والحمد لله رب العالمين .

الباحث

علي مصطفى موسى القضاة

Abstract

Punishment and Rewards between Muslim Discoursers and Philosophers: A Critique Study

Prepared by

Ali Mustafa' Moussa Al Qdah

Supervisor

Professor. Mohammad Ali Al Jundi

Punishment and rewards in Islam and in all heavenly messages in general is a major element of their Aqeeda, and is one of the elements in believing in the Hereafter; on which the individual behaviors are determined both in the personal life and in the community as a whole. As such, listening is our way to know punishment and rewards in the Hereafter. The objective of the study was to investigate the opinions of the different Islamic groups concerning the Hereafter punishment and rewards in addition to investigating the opinions of Muslim philosophers. This dissertation was entitled (Punishment and Rewards between Muslim discoursers and Philosophers: A Comparative Study). But, and as my supervisor advised me, I addressed the resurrection issue in the context of this dissertation as it precedes punishment and rewards.

The dissertation contained (4) chapters, and the first one- the preface-, in the first section in particular, I addressed the meaning of punishment and

reward theoretically and terminologically. In the second section, I addressed the meaning of punishment, reward and resurrection in the ancient religions, from positivists to heavenly: Ancient Egyptian, Hindu, Jewish and Christianity.

The second chapter addressed the opinions pf narrators concerning punishment. In the first section, the dissertation addressed the conception of infinite punishment (Barzakh), the opinions of narrators concerning the questioning of the Two Angles (Naker and Nakeer), the grave paradise and torture, and if the grave paradise and torture will be on the body and soul or only on soul. In the second section, the dissertation addressed the conceptions of Hereafter punishment and reward among discoursers, their opinions in its existence now, its infinity, the different sayings concerning The Balance (Al Maizan) and Assessment of Earthly Deeds (Hisab), and the characteristics of Hell and Paradise. In the third section, the dissertation addressed discourse opinions in Shafa'. Serat, Qanatara', Al Houd, Al Kawther and the probable opinions in all these issues. The fourth section addressed God's words to creation, His vision for the Hereafter, and the opinions of different groups concerning these issues.

The third chapter entitled" Punishment and Reward among Islamic Philosophers" addressed an introduction of this conception among Greek philosophers to investigate the effect of these opinions on the Islamic philosophers. The first section addressed the conception of punishment and rewards among East Muslim world philosophers such as Al Kendi, Al

Farabi, and Ibn Seena'. The second section addressed the conception and rewards among West Muslim world philosophers such as Ibn Rushed, Ibn tufail and Ibn Baja'.

The fourth chapter entitled "The Similarities and Differences among Philosophers and Discoursers" included the following issues:

First: The Similarities and Differences East Muslim world philosophers and West Muslim world philosophers".

Second: The Similarities and Differences among discoursers.

Third: The Similarities and Differences among philosophers and discoursers..

The dissertation ended with a conclusion discussing the most important results obtained in the study.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:

فإني لأحمد الله –سبحانه وتعالى– أن وفقني إلى اختيار هذا الموضوع الذي هو باب من أبواب ترقيق القلوب وتشويق النفوس لما أعده الله –تعالى– للطائعين في هذه الحياة من نعيم وتحذير وإنذار لمن فرّط وقصّر ، فموضوع الجزاء وما فيه من النعيم والعذاب هو جدير بأن يدرس وتكتب فيه البحوث والرسائل كيف لا و هذا هو ما ينتظر البشرية قاطبة بعد العمل في الحياة الدنيا.

ولابد من الإشارة إلى أن هذه الأطروحة قد عنونت بـ ((الجزاء بين المتكلمين والفلاسفة المسلمين)) بمعنى أنها تُعنى بالجزاء (الثواب والعقاب) وقد ارتأيت أن يكون لموضوع البعث نصيباً من هذه الدراسة ، ولا سيما و أن مسألة الجزاء والحساب تأتي متأخرةً على البعث ضمن أحداث اليوم الآخر.

وها هو الموضوع قد اكتمل بحمد الله –تعالى– واستوى على سوقه ويؤتي ثماره فأسأل الله –تعالى فيه السداد والتوفيق وأن يلهمني الصواب والتوفيق لخدمة الدين الحنيف وأمة الإسلام و هداية الخلق أجمعين إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير.

1. **أما عن أسباب اختيار هذا الموضوع وأهميته فأجمله بما يلي :**

١- نيل رضا الله سبحانه وتعالى أولاً .

٢- إثراء المكتبة الإسلامية والمساهمة في نشر العلم.

٣- قلة المكتوب في هذا الموضوع وخاصة ما يتعلق بمقام نقد كل المتكلمين و الفلاسفة المسلمين .

٤- إن الكتابة في هذا الموضوع وطرحه في كتاب مستقل وخاصة في هذا الزمان الذي طغت فيه الحياة والحضارة المادية على الروحانيات ونسي كثير من الناس أوتناسوا ما ينتظرهم بعد الموت فيسهم بذلك في كبح جماح تلك النفوس

والنظر والتأمل في الحساب والجزاء الذي ينتظر عملهم في هذه الحياة وبذلك يسهم بدوره في الاستعداد والتزود بصالح الأعمال.

٥- إن دراسة موضوع الجزاء والحساب والأمور الغيبية بشكل عام مما تشتاق النفوس إلى معرفته والوقوف على تفاصيله كاملة.

٦- كما تنبع أهمية هذه الدراسة من ضرورة تعريف المسلم وغير المسلم بحقيقة الجزاء الأخروي ومدى تأثيره على السلوك الإنساني .

٧- التعريف بفلاسفة المشرق والمغرب وبيان اعتقادهم في هذا الجانب والرد عليهم .

٢. أما الصعوبات التي واجهتني في البحث .

١- قلة المصادر والمراجع التي كُتبت في هذا الموضوع مما جعل البحث فيبعض المسائل شاقاً وصعباً نوعاً ما وخصوصاً مايتعلق بمسائل اليوم الآخر عند الفلاسفة المسلمين حيث كان ما أجده في من مصادر إنما يكون بشكل إجمالي وليس فيه شيء من التفصيل .

٢- تضارب بعض هذه المراجع مع ندرتها في الغالب الأعم.

٣. الدراسات السابقة .

من خلال اطلاعي على بعض الدراسات السابقة ذات الصلة ، لم أظفر بدراسة تتعلق بهذا الموضوع بالشكل المراد بحثه وبالخصوصية ذاتها التي تشمل الآراء والرد والرأي الراجح والآراء الفلسفية ، ومن هذه الدراسات :

١- اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام (دراسة مقارنة) ،رسالة ماجستر ،إعداد سراج عثمان محمد ، و هذه الدراسة مقارنة بشكل عام مابين الرسالات السماوية جميعها .

٢- البعث والخلود بين المتكلمين والفلاسفة إثبات عقيدة البعث والخلود والرد على المنكرين ، أعداد علي آرسلان وهي دراسة واسعة لم يتطرق فيها الباحث الى موضوع الجزاء الأخروي .

وهناك الكثير من المؤلفات في هذا الجانب ولكن لم تكن في مثل هذه الدراسة وهذه الخصوصية.

٤. منهجي في البحث.

حيث سرت في دراستي هذه على المناهج التالية :

١- المنهج التحليلي: حيث قمت بجمع المادة العلمية في موضوعي ، ثم حللتها وفصلتها وبينت غامضها ،ثم قمت بالاستدلال على ما ذهبت إليه من خلال آراء المتكلمين والفلاسفة المسلمين ودعّمت كل هذه بالأدلة والبراهين العقلية.

٢- المنهج المقارن : فقامت هذه الدراسة على المقارنة والموازنة بين الفرق الإسلامية -المتكلمين -أولاً ومن ثم المقارنة بين المتكلمين والفلاسفة وإبراز أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما .

٣- المنهج النقدي : حيث إستخدمت هذا المنهج في نقد ما ورد في نصوصهم من آراء وأفكار تتعارض فيما بينها أو تتوافق ,وبينت أوجه التعارض مستعيناً بالتحليل والتركيب .

٥- أقسام البحث .

وقد اشتملت الدراسة في هذا البحث على مقدمة ٍ وأربعة فصول وخاتمة تناولت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها كما قسّمت الفصول إلى مباحث والمباحث إلى مطالب حسب مقتضى الضرورة ،وذلك على النحو التالي :-

المقدمة : وقد بينت فيها أهمية البحث وسبب اختياره و الأسئلة التي يجيب عنها والصعوبات التي واجهتني والدراسات السابقة ومنهجي في البحث ثم أقسام الدراسة .

وجاء **الباب الأول** : التمهيدي .

وقد اشتمل على مبحثين :-

المبحث الاول : تحدثت فيه عن مفهوم الجزاء وصلته بالبعث.

والمبحث الثاني: تحدثت فيه عن البعث والجزاء في الرسالات السابقة الوضعية –المصرية والهندية، –والسماوية –(اليهودية والنصرانية).

وأما **الباب الثاني** فقد جاء بعنوان:الجزاء عند المتكلمين واشتمل على أربعة مباحث :-

المبحث الأول : الجزاء البرزخي ،وتناولت فيه مفهوم الجزاء البرزخي وآراء المتكلمين في سؤال الملكين (منكر ونكير)والنعيم والعذاب ووقوعه على الجسد والروح .

المبحث الثاني: الجزاء الأخروي ، وتناولت فيه مفهوم الجزاء الأخروي وآراء المتكلمين في وجوده الآن وخلوده والحساب والميزان .

المبحث الثالث: تناولت فيه الآراء الكلامية في مسائل الشفاعة والصراط والقنطرة والحوض والكوثر .

المبحث الرابع : وتناولت فيه الآراء الكلامية في الرؤية والكلام لله عزوجل.

أما **الباب الثالث** فجاء بعنوان الجزاء عند الفلاسفة المسلمين .

وتناولت فيه مدخلاً عن الفلسفة اليونانية ومبحثين :

المبحث الاول تناولت فيه الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المشرق .عند كل من الكندي والفارابي وابن سينا .

المبحث الثاني تناولت فيه الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المغرب عند كلٍ من ابن باجة وابن طفيل وابن رشد .

أما **الباب الرابع** : فتناولت فيه أوجه الاتفاق والاختلاف .

وذلك عند كل من فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب وعند المتكلمين وبين المتكلمين والفلاسفة .

ثم جاءت الخاتمة لتتضمن أبرز ماتوصلت إليه من النتائج .

والحمد لله رب العالمين

الباب الأول

(التمهيدي)

مفهوم الجزاء و صلته بالبعث .

المبحث الأول : مفهوم الجزاء وأنواعه.

المبحث الثاني : صلة الجزاء بالبعث .

المبحث الأول : مفهوم الجزاء وأنواعه.

المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للجزاء .

المطلب الثاني : ورود الجزاء الأخروي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

المطلب الثالث: أنواع الجزاء.

تمهيد :

إن حقيقة الجزاء تعتبر أساسية في الاعتقاد الديني وقد تقررت هذه الحقيقة كنتيجة لازمة لحمل الإنسان الأمانة ،فالإنسان كائن مكلف من حيث تمتعه بحرية الإرادة والاختيار النابعين من العقل المكتمل الذي من خلاله جعل الإنسان مختاراً للطريقة التي يريد أن يسيرها وينهجها ، ومن هنا فإن الإنسان المكلف هو الإنسان الذي بلغ سن الرشد المتمتع بكل قواه العقلية ، فنجد أن هناك إرتباطاً بين النشاط العقلي وبين الجزاء يوم القيامة ، والنشاط العقلي مرتبط بتفكير الإنسان وكذلك الحساب والجزاء يوم القيامة .

لذا فالعقل ونشاطه الطبيعي طوال فترة الحياة الدنيا ، وفي البرزخ حين ينفصل عن النشاط العقلي ، فالحساب والجزاء في الآخرة بالتذكر أولاً لكل ما عمله في الحياة الدنيا من عمل وبعده يكون الحساب ذاتياً أي يحاسب كل إنسان نفسه كما هو ثابت بقوله تعالى :﴿ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾[1] .

فالتذكر يكون للإنسان من خلال ما يلقى إليه ، والذي أعد له بناء على أفعاله في الحياة الدنيا كما في قوله تعالى : ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ وَنُخۡرِجُ لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾ ﴾[2] .

وكذلك قوله تعالى:﴿ فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ﴾[3] .

---

[1] – سورة الإسراء آية ١٤ .

[2] – سورة الإسراء الآيات ١٣-١٤

[3] – سورة الزلزلة الآيات ٧-٨

المطلب الأول : المعنى اللغوي والاصطلاحي للجزاء .

أولاً :تعريف الجزاء في اللغة :

ثانياً : تعريف الجزاء في الاصطلاح :

أولاً : تعريف الجزاء في اللغة :

الجزاء مصدر ترجع مادته إلى الجيم والزاء والياء (جز ي) "([1])

يقول ابن منظور في لسان العرب : قال أبو الهيثم : "الجزاء يكون ثواباً ويكون عقاباً قال الله تعالى :﴿ قَالُواْ فَمَا جَزَٰٓؤُهُۥٓ إِن كُنتُمۡ كَٰذِبِينَ ۝٧٤ قَالُواْ جَزَٰٓؤُهُۥ مَن وُجِدَ فِي رَحۡلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٧٥ ﴾ ([2])

قال معناه : فما عقوبته إن بان كذبكم بأنه لم يسرق . أي ما عقوبة السارق ، والجزاء القضاء وجزى هذا الأمر أي قضى "([3])

ومن معاني الجزاء في اللغة بما فيه الكفاية من المقابلة إن خيراً فخير وإن شراً فشر "([4])

ومن خلال المعاني السابقة نجد تعدد دلالة مفهوم الجزاء في اللغة فقد يكون واحداً من المعاني الآتية :-

الجزاء بمعنى القضاء ، والجزاء بمعنى الكفاية ، والغنى ،والمعاني السابقة متقاربة المدلول تعني مقابلة شيء لشيء سابق إما على سبيل الإحسان والثواب ،وإما على سبيل الإساءة والعقاب وهذا ما سنبينه في الجزاء الاصطلاحي آنفاً حيث أنه حقل بحثنا .

بناء ً على ما تقدم : "فإن الجزاء أعم من العقوبة حيث يستعمل الجزاء في الخير والشر ، أما العقوبة فهي خاصة بالأخذ بالسوء والشر ".([5])

---

[1] – ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، ج١، ص ٤٥٥ ،١٩٧٩م.

[2] – سورة يوسف الآيتان، ٧٤ – ٧٥ .

[3] – ابن منظور ،لسان العرب ، ط١ ،دار المعارف مصر، ص ٦١٩ - ٦٢٠ – ٦٢١ .

[4] – محمود عبد الرحيم عبد المنعم ، معجم المصطلحات والألفاظ الفقهية ج١ ،ص ٥٢٦ ،دار الفضيلة و انظر:كذلك المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، ص١٢٢ ،ج١ ، ١٩٦٠م .

[5] – المرجع السابق نفس الصفحة .

ثانياً : تعريف الجزاء في الاصطلاح :

لم يكن تعريف الجزاء في الاصطلاح الشرعي خارجاً عن الدلالة اللغوية السابقة التي ذكرناها في معنى الجزاء .

فقد ورد الجزاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالمعاني الآتية :

أ) – ورد الجزاء في القرآن الكريم بمعنى المكافأة قال تعالى :﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ١٩ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٠ ﴾ [1]

فالجزاء هنا بمعنى المكافأة قال الحافظ ابن كثير . " أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطى في مقابلة ذلك .."[2]

وقد ورد لفظ الجزاء في السنة النبوية بمعنى المكافأة أيضاً فقال :صلى الله عليه وسلم " لامراة أرادت ذبح ناقة لها بعد أن رقّت عليها من المشركين (بئس ما جزيتها) . "[3]

أي كافأتيها .

المكافأة مقابلة الحسن بالحسن والسيئ بالسيئ وور دت آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية تدل على هذا المعنى ، بل هذا المعنى (المكافأة) وهو المعنى الذي دار حوله مفهوم الجزاء في أكثر آيات القرآن الكريم . وقد تكون هذه المكافأة بمعنى الثواب على الخير أو العقاب على فعل المنكرات والفواحش .

وقال الله تعالى:﴿ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ بِٱلۡحُسۡنَى ٣١ ﴾ [4]

و ورد الجزاء بمعنى العقوبة في قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٣٣ ﴾ [5]

وكذلك قوله تعالى :﴿ جَزَآءَۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلٗا مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٣٨ ﴾ [1]

---

[1] – سورة الليل الآيتان ١٩ – ٢٠ .

[2] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ،ص ٥٥٦ ، دار المعرفة بيروت .

[3] – سنن أبي داود ، من حديث عمران بن حصين كتاب النذور ، باب النذر فيما لا يملك، ج٣ ص ٢٣٩ ،والحديث برقم ٣٣١٦

[4] – سورة النجم الآية ٣١ .

[5] – سورة المائدة الآية ٣٣ .

قال ابن كثير " أي مجازاة على صنيعها السيئ في أخذهما أموال الناس بأيديهم "([2])

ب) — وقد ورد كذلك الجزاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعنى الكفاية ، قال الله تعالى :﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ (طه الآية ٧٦) ([3])

أي كفاية من طهّر نفسه من دنس الشرك." ([4])

ولقد ورد لفظ الجزاء في السنة النبوية بمعنى الكفاية فعن الحسين بن علي –رضى الله عنهما– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال . " يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ،ويجزئ عن الجلوس أن يردّ أحدهم " ([5])

أى يكفي ويغني .

ج)– ورد الجزاء بمعنى القضاء ، قال الله تعالى :﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَّا تَجْزِي نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا ﴾ ([6])

فمراد قوله تعالى (لا تجز ي نفس) أى لا تقضي ولا تؤدي."([7]) .

وفي السنة النبوية ورد هذا المعنى قال– صلى الله عليه وسلم– لأبى برزة بن نيار– رضى الله عنه – حين أراد أن يضحى بالجذعة فقال " إذبحها ولن تجزئ عن أحد بعدك "([8])

والمعنى تقضى عنك ولا تقضي عن أحد بعدك " ([9])

وقد عرّف د.محمد الشافعي الجزاء اصطلاحاً : فقال " هو كل ما يناله الانسان المكلف المسؤول من الله عز وجل من مكافأة مقابل عمله الاختياري من ثواب على عمله الحسن في الدنيا والاخرة ومن عقاب على عمله السيء في الدنيا والآخرة " ([10]).

---

[1] – سورة المائدة الآية ٣٨ .

[2] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ،ص ٥٦ ،بيروت ، مرجع سابق.

[3] – الأصفهاني،مفردات القرآن ،ص ١٠٠ ، المكتبة التوفيقية

[4] – اسعد حومد ، ايسر التفاسير ، تفسير الآية، ج١ ،ص ٢٤١٣،.

[5] – سنن أبو داود ،كتاب الأدب، باب ما جاء في رد الواحد على الجماعة، والحديث برقم ٢١٠ ،وقال شعيب الأرناؤوط في جامع الأصول ، ج ٦ ،ص ٥٩٨ (إسناده حسن)

[6] – سورة البقرة الآية ٤٨ .

[7] – انظر، د. محمد حسن الجمصي ،تفسير وبيان مفردات القرآن ص٧ .

[8] – البخاري ،كتاب الأضاحي ،باب سنة الأضحية ،رقم (٥٥٤٥) ،ج١٤،ص٩٦ .

[9] – ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١ ،ص ٢٧٠ .

[10] – الشافعي ،محمد ابراهيم، المسؤلية والجزاء في بيان القرآن الكريم ، مطبعة السر المحمدية ،ط١ ،١٩٨٢م .

وبعد إيراد معنى الجزاء في التشريع الإسلامي (القرآن والسنة) وأقوال العلماء والمفسرين ؛ يتضح لنا أن هذه المعاني تلتقى مع الدلالات اللغوية لمعنى كلمة الجزاء ،و الذي نعنى به في هذه الدراسة هو المعنى الأول من هذه الدلالات اللغوية والشرعية ، وهو معنى المكافأة والمثوبة على فعل الشيءإن خيراً فخير وإن شراً فشر .

و من خلال ماسبق نستطيع أن نجمل تعريف الجزاء في التعريف الآتي :

: ((بأنه مكافأة ومثوبة العبد من الله أو الناس على عمل الخير ومعاقبته على فعل الشر ، ويكون الجزاء في الدنيا من الله أو الناس ، وفي الآخرة من الله وحده)) .

و هذا التعريف يتكون من عدة عناصر وهي:

أ–إن هذا التعريف يشتمل على الثواب (المكافأة) والعقاب ولا يقتصر على العقاب فقط .

ب–إن هذه المكافأة بنوعيها قد تكون في الدنيا من الله – تعالى – أومن أحد من الناس ممن خولهم الله – تعالى – إقامة شرعه وحدوده .

ج– إن الجزاء من الله في الدنيا قد يكون بواحد من عدة أشياء . مثل تأنيب الضمير والشعور بالفرح أو الإساءة وكذلك ما يصيب الإنسان من مصائب أو ينزل به من نوازل وإبتلاءات .وكذلك أيضاً ما يظهره الله تعالى من مدحٍ وذمٍ على ألْسنة الخلق.

د– إن الجزاء في الإسلام عام وشامل ، دنيوي وأخروي ،والأخروي إنما يكون المجاز ي فيه المحاسب هو الله –تعالى– وحده .

وهذا تعريف عام للجزاء في الإسلام ،و موضوع بحثنا هو الجزاء الذي يكون في الآخرة كما نوضح ذلك لاحقاً .

المطلب الثاني : ورود الجزاء الأخروي في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

إن معرفة الجزاء الأخروي والعلم به له أثر في حياة المسلم وطاعته لأو امر الله –تعالى واجتناب نواهيه، ولمِ ا له من أثرٍ في صلاحِ القلوب وصلاح الناس وسعادتهِ م في الدنيا والآخرة، ولما في نسيان ذلك اليوم العظيم والغفلة عنه من خطرٍ على

حياة الناس ومصيرهم فلا غرابةَ إذن أن يردَ ذكرُ هذا اليوم كثيراً في القرآن الكريم ، حتى لا تكاد تخلو منه صفحة من صفحاته.

وإذا كانَ الكتابُ والسُنَّةُ قد اهتما غاية الاهتمامِ بتفاصيل ذلك اليوم المشهودِ ، وبأحوال هذا النبأ العظيم؛ فإنه من الحمقِ والجهلِ ألا نهتمَّ بما اهتمَّ به الوحيان.

إن أعظم قضية يجب أن ينشغل بها كل واحد منا هي: قضية وجوده وحياته والغاية منها، وقضية مستقبله ومصيره وشقائه وسعادته، فلا يجوز أن يتقدمَ ذلك شيء مهما كان، فكلُّ أمر دونه هينٌ ،وكلُّ خطب سواه حقير. وهل هناك أعظم وأفدح من أن يخسرَ الإنسان حياتَه وأهله،ويخسر مع ذلك سعادته وسعادتَهم، فماذا يبقى بعد ذلك؟ قال تعالى: ﴿ فَٱعْبُدُواْ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ ([1]).

وقال تعالى : ﴿ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ﴾ ([2])

لقد أثبت القرآن الكريم وأيدت السنة النبوية الشريفة أن هناك جزاءً أخروياً بعد الحياة الدنيا ،وأنه ما جاء في هذا الموضوع إنما هو تقريبٌ لأذهاننا بحدود مفاهيمنا المحدودة المقصورة على ما في هذا الكون ، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ ([3]) .

وقوله– تعالى– أيضاً في الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة :"أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" ([4]) .

وفي حديث آخر عن أنس بن مالك عن رسول الله– صلى الله عليه و سلم– أنه قال : إن عظم الجزاء مع عظم البلاء والصبر عند الصدمة الأولى وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط "([1])

---

[1] – سورة الزمر الآية ١٥

[2] – سورة الشورى الاية ٤٥

[3] – سورة السجدة آية ١٧

[4] – صحيح مسلم بشرح النووي ، ص١٦٦،ج١٧، كتاب الجنة ونعيمها ،رقم ٢٨٢٤، دار إحياء التراث.

يقول المعلق : أي عظمة الثواب مقرونة مع عظم البلاء كيفيته وكمة جزاء وفاقا وأجرا طباقا.(فمن رضي فله الرضا) أي رضا الله تعالى عنه جزاء لرضاه ، أو فله جزاء رضاه . وكذلك قوله فله السخط . ثم الظاهر أنه تفصيل لمطلق المبتلين لا لمن أحبهم فابتلاهم . إذ الظاهر أنه تعالى يوفقهم للرضا فلا يسخط منهم أحد .

والأحاديث الواردة في إثبات الجزاء الأخروي كثيرة إذا ما قمنا باستقصائها .

و قد ورد ذلك الإثبات مرة بإيجاز وأخرى بتفصيل ومرة بالتلميح وأخرى بالتصريح.

المطلب الثالث: أنواع الجزاء.

هناك نوعان من الجزو لصنفين من الناس تحت كل واحدٍ منهما ضربان من الجزاء وهي كما يلي:

فالنوع الأول: الجنة وهي بمثابة جزاء الإيمان والعمل الصالح أي لصنف المؤمنين.

ويتفرع منها ضربان من الجزاءجزاء معنوي روحاني وآخر جزاء حسي مادي .

والنوع الثاني: النار وهي بمثابة جزاء للكفر والعمل السيء أي لصنف الكفرة.

ويتفرع منها أيضاً ضربان من الجزاجزاء معنوي روحاني وآخر جزاء حسي مادي .

ففي كل أمة أرسل الله –تعالى– من يبشر بالجنة وينذر من النار ، فقال –تعالى :﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ [2]

قال تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [3] .

هذا وقد توالت آيات القرآن الكريم لتعرض بعضاً مما في الجنة من متع معنوية روحانية فتمثل فيما يلي :

:الضرب الأول : الجزاء (النعيم) الروحاني : فقد بين القرآن الكريم ذلك على النحو الآتي.

---

[1] – ابن ماجه ،محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ،سنن ابن ماجه ، تحقيق ، محمد فؤاد عبد الباقي ،دار الفكر – بيروت ،ج٢،ص٤٠٣١

[2] – سورة فاطر الآية ٢٤

[3] – سورة الأعراف الآية ٣٥-٣٦

١.الأمن من العذاب وعدم الخوف وعدم الحزن.

لقوله تعالى:﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [1] .

٢.عدم الخزي :وذلك لقوله تعالى:﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [2]

٣.تكفير السيئات ومغفرة الذنوب : لقوله تعالى:﴿ ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦٨﴾ ﴾ [3]

٤.الرحمة الشاملة :وهي عندما تكون منةً من الله تعالى لعباده ، لقوله تعالى:﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [4].

٥. نزع الحقد والحسد من صدورهم، مما يؤدي إلى الحب بينهم لقوله تعالى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ ﴿٤٣﴾ ﴾ [5].

٦الفرَح الشديد و الاستبشار، لقوله تعالى: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ [6] .

٧.الشرف والرفعة والمقام المحمود، لقوله تعالى:﴿ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ ﴾ [7] .

---

[1] – سورةالبقرة الآية ٣٨

[2] – سورة التحريم الآية ٨

[3] – سورة البقرة الآية ٢٦٨

[4] – سورة آل عمران الآية ١٠٧

[5] – سورة الأعراف ألآية ٤٣

[6] – سورة الروم الآية ١٥

[7] – سورة الإسراء الآية ٧٩

٨.إحاطتهم بالنور من كل الجهات، لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ﴾ [1] .

٩. ملازمتهم للمقربين من الله تعالى وهم الشهداء والصديقون وغيرهم ، لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ ۚ ﴾ [2]

١٠اجتماعهم مع الصالحين من أسرهم وأبنائهم وأصدقائهم الذين كانوا معهم في الدنيا ،لقوله تعالى :

﴿ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّـٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴾[3]

١١. ينالون التهنئه والسلام من الملائكة، لقوله تعالى:﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾ [4]

١٢. قربهم من رب العالمين لقوله تعالى: ﴿ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ﴾ [5].

١٣. نيلهم توفيق الله- تعالى- فلا يسمع منهم كلام لغوٍ ولا فاحشٍ ولا باطلٍ فيه ،لقوله تعالى :﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ ﴾[6] .

فهذا عرض موجز وسريع لموضوعات الجزاء المعنوي في القرآن الكريم والاستشهادعلى ذلك الجزاء بآيةٍ واحدةٍ مع العلم أن في القرآن الكريم في هذا الموضوع بالذات (الجزاء المعنوي)، أكثر من (١٠٢) آية[7]

الضرب الثاني: وهو الجزاء المادي المحسوس للمؤمنين في الجنة، والقرآن الكريم يوضح ذلك كمايلي:

١. فالمؤمنون في نعيم لاينقطع عنهم ولايموتون فيه ، لقوله تعالى:﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1] .

---

١ - سورة الحديد الآية ١٢.

٢ - سورة النساء الآية ٦٩.

٣ - سورة الرعد الآية ٢٣ .

٤ - سورة الرعد الآية ٢٤.

٥ - سورة القمر الآية ٥٥.

٦ - سورة الواقعة الآية ٢٥

٧ - محمد عبد الله دراز ،دستور الأخلاق في القرآن ، ص ٣٧٥ بتصرّف .

٢. ليس فيها أي نوع من التعب والإرهاق، لقوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [2].

٣. انشغال المؤمنين بالتمتع بالنعيم وهم كذلك يأخذون مجدهم في الجلوس على ما يريدون ويشتهون من الارآئك والأسرّة، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [3].

٤. يأكلون مايشتهون ويتنعمون كما يشاءون، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [4].

٥. يحلّون فيها بالذهب الخالص ويلبسون الحرير، لقوله تعالى: ﴿ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [5]

- النوع الثاني: جزاء النار . وتكون للكفر وعدم الإيمان مقابل العمل السيء أو الفسوق، والخاسرون بهذا الجزاء هم الكّفار والفسّاق.

لقوله تعالى: ﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ ﴾ [6].

ويكون هذا الجزاء على ضربين على النحو التالي :

الضرب الأول : وهو الجزاء (العذاب) الروحاني أو المعنوي وهو كما يلي:

١. الحرماني :أي حرمانهم الكثير من النعم وهي كما يلي:

---

[1] – سورة الدخان الآية ٥٦.

[2] – سورة الحجر الآية ٤٨ .

[3] – سورة يس الآية ٥٥–٥٨

[4] – سورة المرسلات الآيات ٤١–٤٣.

[5] – سورة فاطرالآية ٣٣

[6] – سورة الزمر الآية ١٥

– حبوط الأعمال وخيبة الأمل في معبوداتهم ، لقوله تعالى: ﴿ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ ﴾ "[1].

وقوله تعالى: ﴿ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيۡنَكُمۡ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٩٤ ﴾[2].

– اليأس من رحمة الله تعالى ومن مغفرته ومن نظره إليهم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحۡمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٢٣ ﴾[3].

وقوله تعالى: "﴿ لَّمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ سَبِيلَۢا ١٣٧ ﴾[4].

وقوله أيضاً: ﴿ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٤ ﴾[5].

– حرمانهم من السمع والبصر والكلام، لقوله تعالى:

﴿ وَمَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُمۡ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِهِۦۖ وَنَحۡشُرُهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ عُمۡيٗا وَبُكۡمٗا وَصُمّٗاۖ مَّأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ كُلَّمَا خَبَتۡ زِدۡنَٰهُمۡ سَعِيرٗا ٩٧ ﴾[6].

– حرمانهم من كل ما يشتهون، لقوله تعالى: ﴿ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ٥٤ ﴾[7].

– حرمانهم من الولي والنصير، لقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ وَلَٰكِن يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٍ ٨ ﴾[8].

---

[1] – سورة البقرة الآية ٢١٧

[2] – سورة الأنعام الآية ٩٤

[3] – سورة العنكبوت الآية ٢٣

[4] – سورة النساء الآية ١٣٧

[5] – سورة البقرة الآية ١٧٤

[6] – سورة الإسراء الآية ٩٧

[7] – سورة سبأ الآية ٥٤

[8] – سورة الشورى ألآية ٨

٢– إهانتهم بالعقوبات المعنوية الروحية ومنها :

– سواد وجوههم وعبوسها وكلاحها وإلقاء الغبرة عليها ، لقوله تعالى: ﴿ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾ ﴾ [1] .

وقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ [2] .

– يحل عليهم الخزي والعار، لقوله تعالى: ﴿ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [3]

– يتمنون أن لم يعرفوا حسابهم ويتمنون بعده الموت، قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ ﴾ [4].

– يشعرون بالندم وتقطع الأسباب بهم، قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ ۗ وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ ۖ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [5].

وقوله أيضاً : ﴿ إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ ﴾ [6].

فهذه نماذج من الآيات القرآنية الكثيرة الواردة في بيان الجزاء المعنوي للكافرين .

لنبين إن شاء الله العذاب الحسي المادي وهو الضرب الثاني لهذا الجزاء .

---

[1] – سورةعبس الآيات ٤٠–٤٢.

[2] – سورة آل عمران الآية ١٠٦.

[3] – سورة الأنعام الآية ١٢٤.

[4] – سورة الحاقة الآيات ٢٥–٢٧.

[5] – سورة يونس الآية ٥٤.

[6] – سورة البقرة الآية ١٦٦.

الضرب الثاني : الجزاء الحسي وهو الذي يكون على البدن في الغالب بالإضافة وقوعه على الروح والنفس ، فنذكر بعض النماذج التي تبين بدورها الواقع الذي هم فيه في دار جزائهم ، جهنم أعاذنا الله -تعالى- منها وجميع المسلمين. ومن هذه النماذج :

١- فهؤلاء لا يذوقون فيها البرد ولا الشراب الذي يخفف عطشهم، لقوله تعالى :﴿ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [1]

٢- وهم كذلك في نار دائمة محكمة و مسلطة عليهم .لقوله تعالى:﴿ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ ﴿٢٠﴾ ﴾ [2]

٣-وهؤلاء أيضاً الكفرة المجرمون موثقٌ و القيود والرباط بأيديهم وأعناقهم ، لقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ ﴾ [3]وقوله:﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾ [4]

٤- ومن أنواع العذاب كذلك أنهم يسحبون على وجوههم ويطرحون في النار لقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾ ﴾ [5]

٥- وكذلك فهم أنفسهم وقود النار وغذاء جهنم، لقوله تعالى: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [6]

٦- ستحرق لحومهم وتسلخ جلدهم ، لقوله تعالى: ﴿ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾ [7]

---

[1] - سورة النبأ الآيات ٢٤-٢٥

[2] - سورة البلد الآية ٢٠

[3] - سورة الفرقان الآية ١٣

[4] - سورة إبراهيم الآية ٤٩

[5] - سورة الإسراء آية ٩٧

[6] - سورة البقرة الآية ٢٤

[7] - سورة المعارج الآية ١٦

٧- وكذلك كلما ذهبت جلودهم من أثر العذاب أعيدت مرة أخرى ويتكرر ذلك إلى غير نهاية ، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ ﴾ [1]

٨- المال يتحول إلى نار وجمر يوم القيامة جزاء البخل وعدم إخراج حق الله تعالى منه فيكوى به جميع أعضاء الجسم. لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [2]

٩-وهناك أيضاً :

- الانغماس في الماء المغلي،لقوله تعالى:﴿ هَٰذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3]

- طعامهم من زقوم ؛ وهو شديد الحرارة فهو يغلي في بطونهم كالرصاص المذاب، لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ﴾ [4]

فهذه النصوص التي وردت في القرآن الكريم تبين أصناف الجزاء الحسي على الإنسان الكافر الذي يستحقه وهي آياتٌ للاستشهاد لا للحصر.

هذا ما ورد في آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم في وصف الجزاء الأخروي { النعيم في الجنه والعذاب في النار } وإنما هو على سبيل الحقيقة لا المجاز كما يدعي من قال إنه جزاء معنوي فقط كالفلاسفة القائلين إن الجزاء يكون للروح فقط ،وهم مخطئون في ذلك .كما سنتناوله في موضعه .

[1] - سورة النساء الآية ٥٦

[2] - سورة التوبة الآية ٣٥

[3] - سورة الحج الآيات ١٩-٢٠

[4] - سورة الدخان الآيات ٤٣-٤٧

المبحث الثاني : صلة البعث بالجزاء .

المطلب الأول : مفهوم البعث .

المطلب الثاني : حقيقة البعث وإمكانه وصلته بالجزاء عند المتكلمين.

المطلب الثالث: أثر الإيمان بالجزاء الأخروي الغيبي على سلوك الفرد كصلة وثيقة بين البعث والجزاء.

تمهيد :

الإيمان بالبعث ضرورة شرعية وعقلية ، وهو مقدمة لما بعدها من أحداث الحساب والجزاء ومن جنة أو نار، فالله –سبحانه تعالى– خلق الخلق في هذه الدنيا لغاية محددة إلى أجل مسمى ، فإذا كان كذلك، فإنَّ الحياةَ الدنيا لا يمكن أن تكون آخر المطاف، ليحق الله المصلح من المفسد، ويجازي كلاً بعمله ،فقال– تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [1]

واتفاق الرسالات السماوية– الموسوية والعيسوية والمحمدية –جميعاً على أن الناس سوف يموتون ويبعثون ليوم يجازون فيه على أعمالهم. بل وحتى ما يعرف بالشرائع الأرضية تقومُ على حقيقة البعث والجزاء بهيئة ما.

وأن شعور الناس قديماً وحديثاً بوجود حياةً أخرى يلقى فيها الإنسان جزاء عمله الذي قام به في هذه الدنيا من خير أو شر دليل على الصلة المتلازمة بين البعث والجزاء . وهذه الغريزة الموجودة في نفس الإنسان هي التي تجعله يعرف الخيرَ بالجملة ويحب فعله ،ويعرف الشر كذلك ويكره فعله وفاعله فهذا الشعورُ ينبعث من إحساس الإنسان بوجود حياة أخرى يجازى فيها على عمله، ويستحيل أن يتفق شعور الناس قاطبةً على ذلك ، ثم يكون منطلق ذلك ونهايته وهماً وخيالاً ، وما نشاهدُ في حياتنا الدنيا ظالمين بقوا على حالهم حتى الموت، ومظلومين كذلك حتى آخر حياتهم ، فإذا كانت الحياة الدنيا هي نهاية المطاف، فهل يكون ذلك عدلاً وحكمةً .

كما أننا نشاهدُ في الأرض كفاراً ومؤمنين وكلٌ منهم يظلُّ على حالهِ حتى مماتهِ مع اختلافِ أعمالهم في الحياة الدنيا– فهلْ من العدل أن يسوَّى بينهم بأن يكون الموت هو ختام الرواية ولا شيء بعده . قال الله – تعالى **:**

﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ ﴾ [2]

وقال تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [3]

---

[1] – سورة المؤمنون الآية ١١٥

[2] – سورة ص الآية ٢٨

[3] – سورة الجاثية الآية ٢١

ولكي يكتمل المعنى وتتم الفائدة فلا بدَّ من بيان مفهوم البعث وحقيقته عند المتكلمين ومن ثم إمكان تحققه وصلته بالجزاء الذي لا بدَّ أن يكون بعده .

المطلب الأول :مفهوم البعث .

أولاً : في اللغة :

ثانياً : في الاصطلاح الشرعي :

أولاً : في اللغة :

يقول ابن منظور في بيان معنى البعث في اللغة إنه مشتق من مادة بعث يبعث بعثاً أي أرسل ، والبعث في كلام العرب على وجهين :أحدهما الإرسال كقوله –تعالى : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ ﴾ ([1]) معناه أرسلناه ، والبعث هو إثارة بارك أو قاعد ، تقول بعثت البعير فانبعث أي أثرته فثار ،والبعث أيضاً الإحياء من الله –تعالى – للموتى وفيه قوله –تعالى – : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ ﴾ ([2])

أي أحييناكم .

وبعث الموتى نشرهم ليوم البعث ،ومنه بعث الله الخلق يبعثهم بعثا أي نشرهم .([3])

ثانياً : في الاصطلاح الشرعي :

فقد عرّفه البيجوري في شرحه للجوهرة، بأنه عبارة عن إحياء الله –تعالى –الموتى و اخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية ،وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ولو قطعت قبل موته بخلاف التي ليس من شأنها ذلك كالظفر مثلاً .([4])

ونجد أن أبا دقيقة قد فرّق ما بين البعث والمعاد فعرّف البعث على أنه "إحياء للموتى وأخراجهم من قبورهم بعد جمع الأجزاء الأصلية ." ([5])

فنجد أنه يقصد به عودة الروح والجسد بعد الموت .

فمما سبق فإن البعث لغة واصطلاحاً كلاهما يدل على أنه يكون للجسد والروح معاً إذ لا حياة دون روح وجسد .

ومن الآيات الدالة على إحياء الله الخلق يوم القيامة قوله تعالى:

﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ ([6]).

---

[1] – سورةالأعراف الآية ١٠٣

[2] – سورة البقرة، الآية ٥٦.

[3] – ابن منظور ،لسان العرب، تدقيق أمين محمد ومحمد صادق،مادة بعث ، دار إحياء التراث،ط١،بيروت.

[4] – إبراهيم محمد الشافعي البيجوري،تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد ،برهان الدين اللقاني ، ضبط عبدالله محمد الخليل ص١٨٧،ط١.

[5] – أبو دقيقة ، محمود أبو دقيقة ، القول السديد في علم التوحيد ،ص١٦٦،ج٣ ،تحقيق عوض الله جاد حجازي .

[6] – سورة البقرة الآية ٥٦.

وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ ﴾ ([1])

وأيضاً قوله تعالى :﴿ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ﴾ ([2]).

وفي هذا دلالة على الإحياء بعد الإماتة في الحياة الدنيا ليكون بمثابة دليل على ما يقع في الآخرة من بعث ، كذلك لقوله تعالى :﴿ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ ([3])

حيث جاء نتيجة قياس دالة على إحياء الله الموتى في الآخرة ب(كذلك)

---

[1] – سورة عبس الآية ٢١ – ٢٢

[2] – سورة البقرة الآية ٢٥٩

[3] – سورة البقرة الآية ٧٣

المطلب الثاني: حقيقة البعث وإمكانه وصلته بالجزاء عند المتكلمين.

تمهيد :

أولاً : المعتزلة :

ثانياً : الشيعة :

ثالثاً : أهل السنة :

تمهيد :

لقد كان للفرق الكلامية آراء في البعث وحقيقته الحتمية والتي يترتب عليها الحقيقة العظمى وهي حقيقة الجزاء لقد تضافرت الأدلةُ على إمكان البعث وصلته الوثيقةوهيالجزاء القوة بحيثُ يعجزُ عاقلٌ عن إنكارهِ ، لأنَّ قضيةَ البعثِ متقررةٌ في النفوسِ ، وإذا اثبتنا إمكان البعث ، حتماً سيكون من الثابت إمكان الجزاء إذ لا بعث دون جزاء . ومن الأدلة على ذلك:

قوله تعالى: ﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾[1]

وقال أيضاً :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِۗ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا ﴾[2]

فقدلذااتفقتْ جميعُ الرسالاتِ على أنَّ الله – تعالىقادرٌ على إعادة الخلقِ بعد موتهم ، وأنه تعالىفاعلٌ ذلك لا محالةَ .

ومنها :

قوله تعالى:﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾[3]

وقوله أيضاً :﴿ يَوۡمَ نَطۡوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلۡكُتُبِۚ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[4]

فأنَّ القادرعلى فعل الشيءِ ابتداء و إيجاده من العدمِ لا يعجزه أن يعيدَ ذلك الشيء بعد عدمه. فالله – تعالىهو فاطرُ السماوات والأرضِ ومن فيهن ابتداء فلا يعجزهُ أن يفنيَ ذلك ثم يعيدُه .

ومنها قوله تعالى : ﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلۡأَرۡضَ خَٰشِعَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡۚ إِنَّ ٱلَّذِيٓ أَحۡيَاهَا لَمُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰٓۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ (١).

---

[1] – سورة التغابن الآية ٧.

[2] – سورة النساء الآية ٨٧

[3] – سورة الروم الآية ٢٧

[4] – سورة الأنبياءالآية ١٠٤

وقال تعالى :﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ([2])

فالأرض تكونُ هامدةً لا حياة فيها، فينزل الله – تعالى–الماء فتنمو وتخضرُّ،فالقادرُ على إحيائها قادرٌ على إحياء الموتى، والله –سبحانه وتعالى –سيعيد الأجساد يوم القيامة بعد النفخة الثانية على ما كانت عليه في الحياة الدنيا . ثم تتصل كل روح بجسدها فيحيي الخلق ويقومون للحساب والجزاء ،وذلك لقوله –تعالى :﴿ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ ([3]).

وذلك هو البعث والنشر والإعادة مصداقاً لقوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾([4]) .

وقد حرص القرآن الكريم في حديثه عن إحياء الموتى وبعثهم من القبور على مخاطبة أصحاب العقول المستنيرة بجملة من الأدلة المتنوعة الكفيلة بإفادة اليقين والقطع بإمكان البعث ، وكان القرآن الكريم في منهجه للاستدلال على إمكان البعث قد أورد أدلة كثيرة من خلال الآيات الكريمة ومن هذه الاستدلالات :–

أ– الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى ،ومنشأ القوة في هذا الدليل كما يقول الرازي في تفسيره" أنه نابع من أن الله – سبحانة وتعالى –يقيم الحجة على منكري البعث بالبدء على الإعادة . وهم يقرون بالبدء ويعترفون به لأنه أمر محسوس لا سبيل لإنكاره" ([1]).

---

[1] – سورة فصلت الآية ٣٩

[2] – سورة يس الآيّات ٧٧–٨٣

[3] – سورة الزمر، الآية ٦٨.

[4] – سورة المؤمنون، الآيات ١٥–١٦

فالله سبحانه جعل الإماتة التي هي إعدام الحياة والبعث الذي هو إعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين أيضاً على اقتدار عظيم على الإنشاء والاختراع .

ب – واستدل القرآن الكريم بإمكان البعث بحصول أحد المتضادين . كما في قوله –تعالى: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾[2]. ويقول الإمام الرازي في تفسير هذه الآية وما بعدها نحن قدّرنا بينكم الموت فمن قَدر على الإحياء والإماتة وهما ضدان ثبت كونه مختاراً فيمكن الإحياء بعد الإماتة،وفي موضع آخر أن الله –تعالى–ذكر في سورة الملك قوله تعـالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾[3]

فذكر الموت والحياة بلفظ الخلق فالذي يخلق الموت يخلق الحياة إذن فإن الإحياء بعد الموت لا يستنكر من حيث إنه يحصل الضد بعد حصول الضد إلا أن ذلك غير مستنكر في قدرة الله –تعالى –لأنه لما جاز حصول الموت عقيب الحياة فكيف يستبعد حصول الحياة مرة أخرى بعد الموت ؟ فإن حكم الضدين واحد ".[4]

ج – و استدل القرآن الكريم على إمكان البعث بإخراج الضد من الضد وهذا متمثل بقوله تعالى :﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [5]

فوجه الاستدلال في هذه الآية كما يقول الرازي في تفسيره هو" أن الإنسان مشتمل على جسم يحس به حياة سارية فيه وهي كحرارة جارية فيه فإن استبعدتم وجود حرارة وحياة فيه فلا تستبعدوه فإن النار في الشجر الأخضر الذي يقطر منه الماء أعجب وأغرب ، وأنتم تحضرون حيث منه توقدون وإن استبعدتم خلق جسمه فخلق السماوات والأرض أكبر من خلق أنفسكم فلا تستبعدوه فإن الله خلق السماوات والأرض". [6]

---

[1] – الفخر الرازي، التفسير الكبير، ج١ ص٢٣١،ط١،المطبعة العصرية١٩٣٣ م

[2] – سورة الواقعة الآية ٦٠ .

[3] – سورة الملك الآية ٢

[4] – الرازي، التفسير الكبير، ج١٧،ص ١٦، مرجع سابق.

[5] –سورة يـس ، الآية ٨٠.

[6] – الرازي،التفسير الكبير، ج٢٦،ص٩٦،ط١ ،مجلد ١٣ مرجع سابق.

د – واستدل القرآن الكريم على إمكان البعث بأن ذلك من مقتضيات حكمة الله –تعالى– وعدله بالبعث الذي يعقبه الجزاء وهو متمثل في قوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴾ ([1]).

وفي قوله أيضاً :﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ ([2]).

"لأن الجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها فمن جحده فقد جحد الحكمة من أصلها ، ومن جحد الحكمة في خلق العالم فقد سفه الخالق وظهر بذلك أنه لا يعرفه ولا يقدره حق قدره فكان إقراره بكونه خالقاً كل إقرار."([3])

هـ– واستدل القرآن الكريم أيضاً على إمكانية البعث بدليل آخر وهو خلق السماوات والأرض . كما في قوله –تعالى :﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾ ﴾([4])

والآيات بذلك كثيرة مما تدل دلالة نصية وعقلية على أن خلقها أعظم من إعادة خلق الإنسان ، ومضمون هذا الليل كما يبين ابن أبي العز ،أن إعادة الإنسان إلى الحياة بعد الموت أهون وأيسر بحسب المقاييس البشرية من خلق العالم الأكبر بعد أن لم يكن فكل عاقل يعلم بداهة أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر فالذي أبدع السماوات والأرض على حالهما وعظم شأنهما وكبر أجسامهما وسعتهما وعجيب خلقهما أقدر على إحياء العظام وهي رميم وإعادة الإنسان بالنشأة الأخرى ليلقى الجزاء على عمله ثواباً أو عقاباً ". ([5])

---

[1] – سورة القيامة، الآية ٣٦.

[2] – سورة الجاثية، الآية ٢١

[3] – الإمام الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل، ج٤،ص٩١ ، دار الفكر بيروت.

[4] – سورة الإسراء، الآيات ٩٨–٩٩.

[5] – الإمام علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية، ج٢، ص٥٩٥، تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة،ط١ ، ١٩٨٨م بتصرف

فهذه الأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة تدل دلالة قاطعة على حقيقة البعث وإمكانه بطرق كثيرة للبشر بشكل عام وللمنكرين بشكل خاص ،وقد بين ذلك الرازي في تفسيره و الإمام الزمخشري أيضاً ، ونحن نؤمن به كل الإيمان ونعتقد به كل الاعتقاد لما فيه من آيات ثابتة وأحاديث راسخة وصحيحة .

تتصل عقيدة البعث بعقيدة أساسية مترتبة عليها ألا وهي عقيدة الجزاء والحساب في اليوم الآخر وذلك أنه لا حساب في الآخرة إلا بعد البعث لذا فإن الإنسان في هذه الحياة وهو يملك حرية الإرادة والتصرف والقدرة على الحركة الحر ة فإنه يتحول في هذه الملكية (الإرادة) من حرية إلى مسؤولية في ساحة الجزاء الذي يتبعه الثواب والعقاب أي الجنة والنار فالبعث إذاً عقيدة وحقيقة يؤكدها القرآن الكريم في كثير من آياته ، قال تعالى:﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ ([1])

وهي عقيدة يقربها لأذهان الناس بأمثلة محسوسة لهم حتى يعلموا أن القدرة الإلهية التي أتت بالبعث بعد أن كان الإنسان لاشيء هي القدرة ذاتها التي تأتي بالبعث بعد الموت للإنسان أيضاً قال تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ ([2])

وهنا لا بد من الإشارة إلى بعض آراء الفرق الكلامية في هذه المسألة .

وكانت هذه الآراء كما يلي :

أولاً : المعتزلة . ([3])

[1] – سورة الواقعة الآية ٤٩ – ٥٠

[2] –سورة يس الآيات ٧٨ – ٨٣

[3] – المعتزلة :يسمون أصحاب العدل والتوحيد، ويلقبون بالقدرية والعدلية ، وهم قد جعلوا لفظ القدرية مشتركاً وقالوا : لفظ القدرية يطلق على من يقول بالقدر خيره وشره من الله –تعالى– احترازا من وصمة اللقب إذ كان الذم به متفقا عليه وكانت الصفاتية تعارضهم بالاتفاق على أن الجبرية والقدرية متقابلتان تقابل التضاد فكيف يطلق لفظ الضد على الضد ؟

فقد وضع المعتزلة شروطاً ثلاثة للإعادة (البعث) عندهم وهي كما يلي:

"الأول : أن يكون الشيء من قبيل ما يبقى ، لأنه لو كان من قبيل ما لا يبقى ، لم تصح إعادته إذ أن هذا النوع من الموجودات يختص بالوجود في وقت معين .

يقتضي هذا أن الروح فقط هي التي تبقى لأنها لا تموت والجسد هو الذي يفنى ويعدم وعندما يقولون —كما سيأتي —إن الجسد يبقى بلا روح فكلامهم يحتاج إلى تأمل .

الثاني : أن لا يكون من مقدورات العباد ، لأنها تختص بالوجود في أوقات معينة لا يصح فيها التقديم والتأخير ، فلو قيل بجواز الإعادة لأدى إلى ذلك وهو محال .

الثالث :أن لا يكون متولداً عن سبب ،فالمتولدات لا تعود . " ([1])

فالباقي والغير مقدور عليه وعدم المتولد هي الروح ،إذاً فالمعاد يكون للروح فقط عندهم كما تقدم في شروطهم .

و ذهبت المعتزلة إلى القول بـ " أن الجواهر تصح إعادتها بعد الفناء والدليل عليه أن الجوهر قد يصح كونه مقدوراً لله– عزوجل–مبتدءاًوصح أنه باقٍ وأنه لا ينتهي في الوجود إلى حد لا يجوز وجود من بعده فإذا صحت هذه الجملة وجب أن لا تخشى وجودها من جهة القادر لنفسه بحالة دون حال ، وأن يكون إن امتنع إيجاده وهو موجود فهو لاستحالة ذلك ، فإذا عدمت الجواهر فقد صارت ما كانت عليه في الأول ، وزوال المانع فكما وجب في الابتداء حجة أن يوجدها – تعالى– فلذلك من بعد لأن الإعادة ليست بأزيد من إيجاد مخصوص ". ([2])

وكان هذا مستوحى عندهم من قول الحق سبحانه :﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾ ﴾ ([3])

وقد أشار ابن تيمية إلى أن المعتزلة ينكرون بعث الأرواح ويثبتون البعث الجسماني.

فقال عند الحديث عن أقوال الناس في المعاد :

والخصومة في القدر وانقسام الخير والشر على فعل الله وفعل العبد لن يتصور على مذهب من يقول بالتسليم والتوكل وإحالة الأحوال كلها على القدر المحتوم والحكم المحكوم .

(نظر الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ،ص ،دار المعرفة – بيروت،١٤٠٤هـ)

[1] – القاضي عبد الجبار، نظرية التكليف ، ص٤٦٠–٤٦١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٧١م بتصرّف .

[2] – فخر الدين الرازي ، الأربعين في أصول الدين ، ص٢٧٥ ، ط١، مطبعة دائرة العارف العثمانية ، الهند ، ١٣٥٣ هـ.

[3] – سورة الأعراف الآية ٢٩

"والقول الثاني، قول من يثبت معاد الأبدان فقط كما يقول كثير من الجهمية والمعتزلة والمبتدعة من هذه الأمة".([1])

و قد قال أبو بكر الأصم " إن المعتزلة قالوا إن الإنسان عبارة عن شيء واحد فيقول : " الإنسان هو الذي يرى وهو شيء واحد لا روح له وهو جوهر واحد ونفس إلا ما كان محسوساً مدركا " ([2])

و قد أساء المعتزلة الأدب مع رب العالمين عندما أوجبوا على الله– تعالى– بعث الناس للثواب والعقاب ،لإن الله– تعالى– لا واجب عليه فعل ،بل يفعل ما يشاء متى يشاء بمحض إرادته وأختياره ويتضح لنا ذلك مما يلي : ما أورده الشهرستاني فقال :" وقالت المعتزلة وغيرهم من الخوارج والشيعة : إنه يجب على الله الثواب والثناء على الفعل الحسن ويجب عليه الملام والعقاب على الفعل القبيح "([3])

و يرى القاسم بن محمد الزيدي المعتزلي " إن الله – تعالى– يبعث كل من نفخ فيه الروح قطعا والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٖ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُمۚ مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يُحۡشَرُونَ ٣٨ ﴾ ([4])ويعاد اخر الحي كاملاً "([5])

ويضيف القاضي عبد الجبار : "و اعلم أن كل من تجب إعادته فهو كل من له حق على الله –عزوجل– من ثواب وعوض فإذا كان لا يمكن توفيره إلا بالإعادة وجبت لأن الواجب يتم دونها ثم السمع قد دلنا على أنه – تعالى– يعيد من عليه حق كالعقاب ويعيد سائر الحيوانات ويتفضل عليها " ([6])

وقد بنى المعتزلة استدلالهم على حقيقة البعث استناداً للقاعدة عندهم وهي التحسين والتقبيح العقليين

" فإنهم يرون أن التكليف مع القدرة على الثواب وترك الثواب قبيح " ([7])

وقد لخص البغدادي لنا إمكانية البعث عند الفرق الإسلامية بقوله :"وقد أجمع المسلمون و أهل الكتاب والبراهمة على إعادة الخلق وجوازها بعد الفناء في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل وخالفهم في هذه الجملة فِرق، إحداها: الدهرية المنكرة

[1] – ابن تيمية ، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ص٩٩ ، ج٤ ، مطابع المجد التجارية .

[2] – أبو الحسن الأشعري ، مقالات الإسلاميين ، ص٢٥ ،ج٢ ، مطبعة السعادة ١٩٥٤ م .

[3] – الإمام أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني ، نهاية الاقدام في علم الكلام ، تحقيق الفرد جيوم ، ص٢٧١ .

[4] – سورة الانعام الآية ٣٨

[5] – القاسم بن محمد الزيدي المعتزلي ،الأساس في عقائد الاكياس ، تحقيق البير نصري ، ص٢٠٣ ، ط١ ، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠م

[6] – القاضي عبد الجبار، نظرية التكليف ، ص٤٦١ ، مرجع سابق .

[7] – الإمام أبو حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، ص١١٦ ، ط١، دار الكتب العلمية ، ١٩٨٣ م

لحدوث العالم . والثانية : قوم من الفلاسفة أقروا بحدوث العالم وأنكروا الإعادة بعد العدم. والثالثة : فرقة من عبدة الأصنام الذين كانوا في عهد النبي –عليه السلام – أقروا بحدوث العالم وأنكروا البعث والقيامة والجنة والنار . فقال الله– تعالى– على ألسنتهم : ﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ([1]) والرابعة : فرقة من غلاة الروافض المنصورية * والجناحية * الذين أنكروا القيامة (الجنة والنار)و أسقطوا فروض العبادات ".([2])

ثانياً : الشيعة .([3]):

تعتقد الشيعة الامامية الاثنى عشرية بالمعاد الجسماني والروحاني معاً وهم في ذلك يتفقون مع غيرهم من الفرق الاسلامية وأغلبية المسلمين كما يتفقون معهم في المسائل الأخرى فهم يعتقدون أن انسان " عائد إلى الحياة يوم يرد الله ذلك ، وإن الذي يعود يوم القيامة يعود بنفسه المتعلقة به ، فليس المعاد للحساب ، عما فعل جسم الإنسان فقط ، كما يرى البعض ولامثيله ، ولا روحه كما يرى البعض الآخر ، وإنما يعود بروحه وجسمه " ([4])

إن من الحقائق الثابتة لدى الشيعة التي يقرون بها حقيقة بعث الأموات يوم القيامة للحساب وكما يبين تلك الحقيقة صاحب كتاب الإمام الزيدي و آرؤه الكلامية ، حيث يقول:"وقد اختلف في قوله – تعالى– "ونفخ في الصور" وعندنا أنه

---

[1] – سورة الجاثية الآية ٢٤ ، *المنصورية: هم أتباع أبي منصور العجلي ، وزعموا أن الإمامة دارت في أولاد علي .انظر الفرق بين الفرق ص١٨٦. *الجناحية : هم أتباع عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفربن أبي طالب .انظرالفرق بين الفرق ص١٨٧–١٨٨ .

[2] – أبو منصور البغدادي ، أصول الدين ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ص٢٥٧–٢٥٨ ، ط١ ، منشورات محمد علي بيضون ، ٢٠٠٢م.

[3] – الشيعة :هم الذين شايعوا علياً –رضي الله عنه–على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية إما جليا وإما خفيا واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده ،وقالوا :ليست الإمامة قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم بل هي قضية أصولية وهي ركن الدين لا يجوز للرسل– عليهم الصلاة والسلام– إغفاله وإهماله ولا تفويضه إلى العامة وإرساله يجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرؤ قولا وفعلا وعقدا إلا في حال التقية . ويخالفهم بعض الزيدية في ذلك ولهم في تعدية الإمام كلام وخلاف كثير وعند كل تعدية وتوقف : مقالة ومذهب وخبط وهم خمس فرق:كيسانية وزيدية وإمامية وغلاة وإسماعيلية ،وبعضهم يميل في الأصول إلى الاعتزال وبعضهم إلى السنة وبعضهم إلى التشبيه .(انظر الملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ، ص ١٤٥،دار المعرفة – بيروت ،١٤٠٤هـ) .

[4] – الزنجاني (إبراهيم آية الله الحاج إبراهيم الموسوي) عقائد الإمامية الإثنى عشرية ، ص ٢١٨ ، ج٢ ، مؤسسة الوفاء بيروت ، ط١ ، ١٩٨٢م .

صوت يحدثه الله – تعالى– يفزع منه من في السماوات والأرض إلا ما شاء الله ثم ينفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون"[1]

فمن خلال هذا النص يتبين أن هناك بعثا بواسطة النفخ في الصور وهو صوت يخرج يوقظ كل المخلوقات فتبعث للحساب والجزاء.

ثالثاً : أهل السنة :

يقول البغدادي: في هل الإعادة واجبة أم لا ؟ ،"قال أصحابنا إنها من طريق الخبر واجبة ومن طريق العقل جائزة . وزعم المدعون للإصلاح من القدرية مع الكرامية أنها واجبة على الله –تعالى –من طريق العقول للتفرقة بين المحسن والمسيء بالثواب والعقاب . فقلنا للقدرية : إذا جاز تعجيل الثواب والعقاب قبل الموت فلو عجلهما سقط وجوب الإعادة وقلنا للكرامية : إذا جاز عندنا وعندكم العفو عن جميع العصاة بطل وجوب الإعادة لأجل العقاب والثواب حتى لو ابتدأ الله بأمثالها جاز ،ولو كان الثواب واجبا عليه ولم يكن فضلاً منه لم يستحق به شكراً ،وإيجاط شكر الله على الثواب كفر ٌ ، فما يؤدي إليه مثله ". ([2])

ويرى المتكلمون من الأشاعرة أن المعاد جسماني وقد أقاموا الدلائل المثبتة لذلك وعرضوا شبه من أنكر المعاد الجسماني وردوا عليها كما أن استدلال المتكلمين من الأشاعرة كان بطريقين :

"الأول : الطريق السمعي، والثاني الطريق العقلي فيقول: أما الطريق السمعي فهوأتقول لِ ما ثبت بالدليل العقلي جوازه، وثبت بالنقل المتواتر عن جميع الأنبياء والرسل –عليهم السلام – وقوعه ،وجب القطع بوقوعه لأن الصادق إذا أخبر عن وقوع أمر ممكن الوقوع وجب القطع به فإن قيل لم يجز أن يقال الأنبياء –عليهم السلام – إنما أثبتوا المعاد الجسماني لأن القول بالمعاد الروحاني حق وأكثر الخلق لا يمكنهم تصور المعاد الروحاني فالأنبياء –عليهم السلام– ذكرو ا المعاد الجسماني ليحصل به نظام العالم ثم إن من كان قوي العقل عرف أنه لا بد من تأويل هذه الظواهر ، قالوا: والذي يحقق ذلك أن المبدأ المذكور في الكتب الإلهية مذكور على وجه يوهم أن ذلك المبدأ جسماني ثم إن المتكلمين سلطوا التأويلات على تلك الظواهر وزعموا أن المبدأ منزه عن الأحوال الجسمانية فكذا المعاد المذكور في الكتب الإلهية وإن كان جسمانياً فلمَ لايسلطون التأويلات عليها ؟ ولم ينكروا أن يكون ذلك المعاد مبرأ عن الأحوال الجسمانية ؟

---

[1] – عبد الفتاح أحمد فؤاد، الإمام الزيدي أحمد بن سليمان و آراؤه الكلامية ، ص ٩٨ ،دار الدعوة الاسكندرية ١٩٨٧م.

[2] – عبد القادر البغدادي ، أصول الدين ، تحقيق أحمد شمس الدين ، ص٢٦٢ ، ط١ ،دار الكتب العلمية بيروت ٢٠٠٢م .

فالحاصل أن الحشوية ([1]) تمسكوا بالظواهر وزعموا أن الحق هو المبدأ الجسماني والمعاد الجسماني. والفلاسفة سلطوا التأويلات على الظواهر وزعموا أن المبدأ منزه عن الأحوال الجسمانية وكذا المعاد فأما المتكلمون فقد سلطوا التأويلات على الظواهر الواردة في جسمانية المبدأ واحترزوا عن تأويلات الظواهر في جسمانية المعاد فقط فكان هذا المبدأ تحكما محضاً والجواب أن التأويلات إنما يصار إليها لو كان الاحتمال قائما ولما علمنا بالنقل المتواتر المستفيض من دين محمد –عليه السلام– أنه إنما كان مثبتا للمعاد الجسماني ،ومكفراً لكل من كان منكراً له لا جرم أنه لم يبق للتأويلات في هذا الباب مجال ". ([2])

ثم يقول الرازي وأما الطريق العقلي المثبت للمعاد الجسماني فهو من وجهين :

الأول : إنا نرى في دار الدنيا مطيعاً وعاصياً ومحسناً ومسيئاً ، ونرى أن المطيع يموت من غير ثواب يصل إليه في الدنيا والعاصي يموت من غير عقاب يصل إليه في الدنيا ، فإن لم يكن حشر ونشر يصل فيه ومن خلاله الثواب إلى المحسن والعقاب إلى المسيء لكانت هذه الحياة الدنيوية عبثا بل سفها ،و اعلم أنه – تعالى– ذكر هذه الحجة في آيات من القرآن الكريم .

والثاني : إنه – تعالى– خلق الخلق إما للراحة و إما للتعب والألم أو لا للراحة ولا للتعب ولا جائز أن يقال خلقهم للتعب والألم لأن هذا لا يليق بالمحسن الرحيم الغني عن الخلق ولا جائز أن يقال خلقهم لا للراحة ولا للتعب ولا لألم لأنه حال كونهم معدومين كان هذا المعنى حاصلاً فدل على أنه – تعالى– خلقهم للراحة ." ([3])

يقول الإمام الجويني: " فإن قيل هل تعدم الجواهر ثم تعاد أم تبقى وتزول أعراضها المعهودة ثم تعاد بنيتها ؟ قلنا يجوز كلا الأمرين عقلاً ولم يدل قاطع سمعي على تعيين أحدهما . فلا تبعد تصير أجسام العباد على صفة أجسام التراب ثم يعاد في تركيبها إلى عهد قبل ولا يخيل أن يعدم منها شيء ثم يعاد والله أعلم بعواقبها ومآلها ".([4])

---

[1] – الحشوية :مصطلح يقصد به الحشو في الكلام وقلة الفهم والمعرفة أطلقه المعتزلة على كل من خالفهم ثم أطلقه الأشاعرة أيضاً ، انظر:ابن تيمية مجموع الفتاوي ،ج٤ ،ص٢٤٢٣،وكذلك كتاب :بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية ،ج١ ،ص٢٤٢-٢٤٥،مؤسسة قرطبة .

[2] – الإمام الرازي ،الأربعين في أصول الدين ، ص٢٩٣ ، ط١ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٣٥٣ هـ .

[3] – المرجع السابق ،الأربعين في أصول الدين، ص٢٩٤-٢٩٥

[4] – إمام الحرمين عبد الملك الجويني ، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاجتهاد ، تحقيق د. محمد يوسف موسى ، ص٢٧٤ ، مطبعة السعادة ١٩٥٠ م .

و كما يدلل شارح الطحاوية على إمكانية البعث والنشأة الأخرى بقوله : "فالنشأتان نوعان تحت جنس يتفقان ويتماثلان من وجه ويفترقان ويتباعدان من وجه والمعاد هو الأول بعينه و إن كان بين لوازم الإعادة ولوازم بداءه فرق فعجب الذنَّب هو الذي يبقى وأما سائره فيستحيل فيعاد الذي استحال إليها ومعلوم أن من رأى شخصاً وهو صغير ثم ر آه وقد صار شيخاً علم أن هذا هو ذاك مع أنه دائما في تحلل واستحالة ".([1])

أي تحول من الى .

ثم يبين الإمام الغزالي أن الإعادة (البعث)ليس شرطاً أن تكون إعادة للأعراض ،كما في قوله :"ليس شرطاً الإعادة إعادة الأعراض وذهب بعض الأصحاب إلى استحالة إعادة الأعراض وذلك باطل وهو الوجه الأول والثاني أن تعدم الأجسام بأن تخترع مرة ثانية " ([2]) .

ويؤكد ذلك الاعتقاد أيضاً الإمام التفتازاني بقوله : " والبعث هو أن يبعث الله الموتى من القبور بأن يجمع أجزاءهم الأصلية ويعيد الأرواح إليها وهو حق لقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾ ﴾.([3])

وقوله تعلى أيضاً ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ ([4]) . إلى غير ذلك من النصوص القاطعةو الناطقة بحشر الأجساد،و أنكره الفلاسفة بناء على امتناع إعادة المعدوم بعينه وهو مع أنه لا دليل لهم عليه يعتد به غير مضر بالمقصود ؛ لأن مرادنا أن الله يجمع الأجزاء الأصلية للإنسان ويعيد روحه إليه سواء سمي ذلك إعادة المعدوم بعينه ألم يسم ، وبهذا سقط ما قالوا إنه لو أكل إنسان نإساناً بحيث صار جزءاً منه فتلك الأجزاء إما أن تعاد فيهما وهو محال أو في أحدهما فلا يكون الآخر معاداً بجميع أجزائه الأصلية الباقية من أول العمر إلى آخره والأجزاء المأكولة فضلة في الاكل لا أصلية ." ([5])

ويقول صاحب لمعة الاعتقاد"والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل –عليه السلام– في الصور "فإذا هم من

[1] – أبو العز ،محمد بن علاء الدين ، أبي جعفر الطحاوي، شرح الطحاوية ، ص٤٦٤ ، ط٥ ، المكتب الإسلامي ١٣٩٩ هـ .

[2] – الإمام أبو حامد الغزالي ،الاقتصاد في الاعتقاد، ص١٣٤ ، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ م.

[3] – سورة المؤمنون الآية ١٦ .

[4] – سورة يس الآية ٧٩

[5] – سعد الدين التفتازاني ، شرح العقيدة النسفية ، تعليق عبد السلام شنار ، ص ١٣٠ ، ط١، دار عبد الهادي ٢٠٠٧م .

الأجداث إلى ربهم ينسلون" ويحشر الناس يوم القيامةحفاة عراةً غرلا بهما فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد –صلى الله عليه وسلم"[1]

والنصوص في ذكر ذلك وتأكيده كثيرة لا مجال لحصرها والوقوف عليها في هذا المقام .

وقد اهتم القرآن الكريم في كثير من آياته بعقيدة البعث وما يتصل بها من جزاء أخروي لما كان المشركون من العرب ينكرون البعث أشد الإنكار وخاصة الدهرية [2]وهم ، الذين أنكروا البعث والثواب والعقاب ، يقول الله– تعالى– فيهم :﴿ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ﴾ [3] .

ومنهم الذي أنكر البعث وجاء إلى سيدنا رسول الله– صلى الله عليه وسلم-بعظم قدم رمّ وبلى ويقول ابن كثير في إثبات ذلك " وقال أبو بكر بن أبي الدنيا : حدثنا فضل عن عبد الوهاب أخبرنا هاشم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير، قال: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله– صلى الله عليه وسلم– بعظم حائل ثم فتته وقال: يا محمد أيبعث الله هذا ؟ قال: نعم يميتك ثم يحييك ثم يدخلك جهنم [4]،

فنزل قوله –تعالى:﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴾ [5].

وكذلك ما ظهر في عقائد أهل الكتاب من فساد بشأن البعث لا مجال للخوض فيه في هذا المقام. فالقرآن الكريم أبدى اهتماماً كبيراً بعقيدة البعث وما يتصل بها من ثواب وعقاب بحيث إننا لانجد هذا الاهتمام بتفصيل هذه العقيدة في أي كتاب سماوي سابق ، ومن مظاهر هذا الاهتمام ورود كلمة (بعث) بمعنى الإحياء في القرآن الكريم مايربو عن خمسة وثلاثين موضعاً يتعلق بالبعث ويعني إعادة الحياة، وهذا ما نسعى إليه ، إذ إن اليوم الآخر وما فيه من بعث وحساب هو حقيقة دينية وعقلية يجب الإيمان به والعمل بمقتضاه .

يقول الإمام الغزالي [1] : "اعلم أن الأنبياء– صلوات الله عليهم –أجمعين شرحوا أحوال الآخرةتمّ شر ح وبيان وإنما بعثوا لسوق الناس إليها ترغيباً وترهيباً وتشويقاً وتخويفاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، لا سيما

---

[1] – أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي، لمعة الاعتقادالهادي إلى سبيل الرشاد ، تحقيق بدر بن عبد الله البدر،ص١٣٤.

[2] – الدهرية: فرقة من الكفار ذهبوا إلى قدم الدهر وإسناد الحوادث إلى الدهر ولايؤمنون بالبعث بعد الموت .انظركشاف اصطلاحات الفنون ،محمد التهانوي تحقيق أحمد بسج ، ج٢،ص١٠٩ ،دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٠م .

[3] – سورة الجاثية الآية ٢٤.

[4] – النهاية في الفتن والملاحم، ج١، ص١٥٩، ط١، أبو الفداء إسماعيل بن كثير، تعليق أحمد عبد الشافي ، دار الكتب العلمية٢٠٠٧ م

[5] – سورة يس الآية ٧٨

ما جاء في الشريعة الآخيرة من تقرير أحوال المعاد بالروحاني والجسداني والعاجل والآجل وضرب الأمثال فيها وإقامة البراهين عليها ." ([2])

ويعتقد الإمام الغزالي أن البعث للروح والجسد معاً وهذا هو المشهور عنه وقد ردّ على الفلاسفة الذين ينكرون البعث الجسماني ،ويصرح الدكتور سليمان دنيا بأن الغزالي مضطرب الاعتقادفي هذه المسألة لأن الغزالي نجده يصرح أحياناً بالبعث الروحاني في بعض كتبه ككتاب (المضنون به على غير أهله)حتى كانت الصفة الغالبة في هذا الكتاب كما صرح في بعض كتبه الأخرى ك (التهافت) بأن البعث جسماني وما ذلك إلا اضطراب ". ([3])

ونحن لانسلم بهذه المقوله لأنالإمام الغزالي في كثير من كتاباته كان يتطرق أحياناً إلى كل معاد بمفرده فإن لم يذكر المعاد الآخر لايعني أنه ينكره .لذا فإننا نجد أن صاحب كتاب المسامرة في كلامه ما نعتبره رداً على ادعاء سليمان دنيا السابق فيقول :" واعلم أن صاحب شرح المقاصد قال : قد بالغ الإمام الغزالي في تحقيق المعاد الروحاني وبيان أنواع الثواب والعقاب بالنسبة إلى الأرواح حتى سبق إلى كثير من الأوهام ووقع في ألسنة بعض العوام ،أنه ينكر حشر الأجساد افتراءً عليه كيف وقد صرح به في مواضع من كتابه الإحياء وغيره وذهب إلى أن انكاره كفر ". ([4])

و عليه فإن الإمام الغزالي الذي يعد من كبار متكلمي الأشاعرة كان يقررحقيقة البعث بأنها جسمانية وروحانية

ويؤكد ذلك الاعتقادالإمام الطحاوي ([5]) بقوله: "ونؤمن بالبعث لجميع العباد ويعيدهم بجميع اجزائهم الأصلية وهي التي من شأنها البقاء من أول العمر إلى آخره ويعيد الأرواح إليها ويسوقهم إلى محشرهم لفصل القضاء بينهم وهذا كله ثابت بالكتاب والسنة ."([6])

---

[1] – حجة الإسلام، محمد بن محمد الغزالي ،أبو حامد،فيلسوف متصوّف وعالم متبحر ومتكلم مشهور ولد بطوس سنة (٤٥٠-٥٠٥هـ) انظر معجم المؤلفين ج١١ ، ص٢٦٦

[2] – الإمام الغزالي أبو حامد ، معارج القدس ، ص ١٤٧ ،ط٤ ، دار المعارف مصر ١٩٦٦م .

[3] – سليمان دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي ، ص٥٠٧-٥١١ ، دار احياء الكتاب العربية مطبعة مصطفى البابي الحلبي ،مصر .

[4] –كمال الدين محمد بن محمد القدسي، المسامرة بشرح المسايرة ، ص٢٦٥ ، المكتبة التجارية ، مطبعة السعادة ، مصر .

[5] – الطحاوي :هو أبو جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي نسبة إلى ((طحا)) وهي قرية بصعيد مصر ، وهو أشعري العقيدة .انظرسير أعلام النبلاء، لشمس الدين الذهبي ، ج١٥، ص٢٧-٨ بتصرّف.

[6] – العلامه الشيخ عبد الغني الميداني،شرح العقيدة الطحاوية،تحقيق عبد السلام شنار،ص١٣٥-١٣٦ ،ط١،دار ابن عبد الهادي ٢٠٠٥م

وقد رد الإمام الغزالي على أقوالهم بإنكار حشر الأجساد ورد الأرواح إلى الأجساد وقولهم إن الجزاء- الجنة والنار-معنوية روحانية لاحسية وأن كل ما ورد في حق ذلك إنما هو على سبيل التقريب والمثال ، فكان في أول رده يقول :"وهذا مخالف لاعتقادالمسلمين كافة"[1]

وقد بين الإمام الجويني اعتقاده في حقيقة البعث في قوله: "في إعادة المعدوم فإن المعاد الجسماني يتوقف عليها عند من يقول بأن فناءها عبارة عن تفرق أجزائها واختلاط بعضها ببعض كما يدل عليه قصة إبراهيم -عليه السلام - في إحياء الطير وهي جائزة عندنا وعند مشايخ المعتزلة لكن عندهم المعدوم شيء ، فإذا عدم الموجود بقي ذاته المخصوصة فأمكن بذلك أن يعاد ، وعندنا ينتفي بالكلية مع إمكان الإعادة خلافاً للفلاسفة والتناسخية المنكرين للمعاد الجسماني وبعض الكرامية و أبي الحسن البصري ومحمود الخوارزمي من المعتزلة ".[2]

ويقول الإمام البغدادي: "وقال شيخنا أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- كل ما عدم وجوده صحت إعادته جسماً كان أو عرضاً وقال القلانسي من أصحابنا يصح إعادة الأجسام ولا يصح إعادة الأعراض وبناه على أصله في أن المعاد يكون معاداً لمعنى يقوم به ولا يصح قيام معنى بالعرض فلذلك أنكر إعادته وذهب أبو الحسن إلى أن الإعادة ابتداء ثان فكما أن الابتداء الأول صح عن الجسم والعرض من غير قيام معنى بالعرض فكذلك الابتداء الثاني صحيح عليه من غير قيام معنى به .

و يؤكد ذلك أيضاً الإمام البغدادي أن الكعبي أنكر و أتباعه من القدرية إعادة الأعراض " [3]

اذن فالإعادة تكون للجسم الأول نفسه ففي البعث تعود روح الإنسان وجسده إليه وما يحصل به إنما هو غيب وصلنا عن طريقة السماع .

وهنا ينبغي الإشارة إلى ما قاله الشيخ أبو دقيقة :" من أن الشرائع السماوية وكذلك العقول السليمة قد أجمعت على وقوعه ، وأن بعض علماء الكلام يقولون كذلك بوجوبه من أجل أن يصل الثواب إلى المطيع والعقاب إلى العاصي ليتحقق معنى الجزاء على الأعمال في الدنيا - إذ إنه ليس من الحكمة أن يكلف الإنسان ويطالب بفعل بعض أشياء

---

[1] - الإمام الغزالي، تهافت الفلاسفة، ص٢٨٠، تحقيق د.سليمان دنيا ، ط٣ ، دار المعارف ،مصر

[2] - السيد الشريف الجرجاني ،شرح المواقف ، ضبط وتصحيح محمود الدمياطي ،ص٣١٦ ،المجلد الرابع ،جزء ٨ ، ط١ ، دار الكتب العلمية بير وت ١٩٩٨م

[3] - عبد القاهر التميمي البغدادي ، أصول الدين ، تحقيق ، أحمد شمس الدين ص٢٥٩-—٢٦٠ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م.

وبترك أخرى ثم يترك دون حساب ولا مجازاة وقد قام بعض الناس بقهر نفسه ومنعها شهواتها ، والبعض الآخر كان قد أخذ بحظ وافر ; فلم يمنع نفسه هواها ولم يأبه لأمر ولا لمنع فظلم وسفك دم وأكل ما ليس له ، فكان من العبث تركه دون أن يكون له حياة أخرى ينال منها جزاء ما فعل في حياته الدنيا من خير أو شر والله – تعالى–منزه عن العبث ، فلا يليق أن يهمل ذلك الإنسان بدون بعث أو إعادة ." [1]

المطلب الثالث: أثر الإيمان بالجزاء الأخروي الغيبي على سلوك الفرد كصلة وثيقة بين البعث والجزاء.

إن الإيمان بالغيب من الصفات التي إمتدح الله تعالى بها عباده المؤمنين المتقين وذلك في كثير من آيات القرآن الكريم والتي منها ، قوله تعالى : ﴿ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ﴾ [2] .

فالايمان بالغيب هو أساس الإيمان بالجزاء واليوم الآخر وهو من أركان الإيمان في ديننا وفي كل الشرائع السابقه له قبل تحريفها .

فعندما يتذكر الإنسان الموت فأول ما يفكر فيه، أن هناك حساباً مرتبطاً بهذا الموت، والحساب مرتبط به المصير المحتوم ومترتباً عليه إما الشقاوة الأبدية ،وإما السعادة الأبدية . وعندها فإن عقيدته يجب أن تسير بالطريق الصحيح التي من خلالها يكون عمله موافقاً لهذه العقيدة ومطبقاً لها .

فيعمل هذا التفكير أي (بالجزاء والمصير) على زيادة صلة صاحبه بربه ومن خلال العمل الصالح ،والدعوة له والإبتعاد عن كل ما نهى الله تعالى عنه فنجد أن المؤمن بالله– تعالى والمتمسك بتعاليمه لا يبالي لما يحصل له من نَصَب وضيق في العيش وصراع وتعب لإنه يعتقد بمقتضى إيمانه بالله –تعالى– أن وعد الله لعباده المؤمنين بالغيب حق وأنه لا يخلف الميعاد فيجزي عباده على صالح الأعمال بالحسنى أعظم الجزاء وأخلده، وما كان ثبات النبي– صلى الله عليه وسلم –وأصحابه في سبيل نشر الدعوة الإسلامية إلا مثالاً على ذلك الأثر الذي تركه الإيمان بالغيب عندهم والمتمثل بالجزاء الأخروي. نعم إن أمر الحساب عظيم مثلما أن هناك من أسماء الله تعالى ، الخالق، والباعث ، والمحيي ، والمميت ، والجامع فهو أيضاً

---

[1] – محمود أبو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد، ج٣، ص١٦٧بتصرف.

[2] – سورة البقرة الآية ٣

الحسيب ، والرقيب ، فتبرز ملامح التعظم لدى الأنسان عندما يتفكر كيف أن الله سبحانه وتعالى يراقب جميع مخلوقاته ، لا يفلت منهم شيئ ٌ وقد كلف الملائكة الكرام بإستنساخ كل ما يصدر من المكلف بعد أن منح الخلق كل لوازم التكليف والأداء، من حواس ومدارك ونعم .وأرسل الرسل والأنبياء إليهم حاملين معهم منهج التوحيد وشرائعه ترشد وتبلغ إلى الطريق القويم التي فيها النجاح والفلاح .حيث يقول تعالى :﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ (1) .

ويقول أيضاً :﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ (2) .

إن الإيمان باليوم الآخر وما فيه من الجزاء يجعل الإنسان يتصور الدقة في المحاسبة والجزاء ويؤكد ذلك ما يكون من مناقشة للحساب لما هو موجود في الصحف ، المسجلة حيث يقول الله تعالى :﴿ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (3) .

فيضطر من خلال ذلك إلى الإستقامة ومراقبة نفسه وعمله والشعور بمراقبة ربه له فيحسن العمل ، لذا فإنه لا شك أن لتفكير الإنسان وأعتقاده في مصيره الأثر الأكبر في تحديد سلوكه في حياته فهو أشبه مايكون براكب سفينة يختلف سلوكه وتصرفه داخل السفينة ومدى إستقراره بتغير الأمواج في البحر .فليس من الممكن أن يكون سلوك الإنسان واحداً في حال إعتقاده بالجزاء في الحياة الآخرة وفي حال إعتقاده بأنه ليس وراء الموت حياة وجزاء وإنما هو الفناء المطلق إذ إن اعتقادالإنسان وإستحضاره الدائم له وتصوره المستمر للمصير والجزاء والنعيم والشقاء الأبديين له الأثر العظيم في حسن سيره و سلوكه وإستقامة طريقه سواء في نفسه أو مع الناس أو فيما بينه وبين خالقه المتفضل عليه ، لذا فإن فكرة الإستعداد للحساب والجزاء تقترن في القرآن الكريم مع كل أمر ونهي ومع كل حكم من أحكام الشريعة وكل توجيه أخلاقي.

---

[1] – سورة ق الآية ١٨

[2] – سورة الإنفطار الآيات ١٠ – ١٢

[3] – سورة الكهف الآية ٤٩

الباب الثاني : الجزاء عند المتكلمين .

المبحث الأول : **الجزاء البرزخي** .

المبحث الثاني : **الجزاء الأخروي** .

المبحث الثالث :**الآراء الكلامية في**: الشفاعة ورؤية الله وكلام رب العالمين.

المبحث الأول : الجزاء البرزخي .

المطلب الأول : مفهوم الجزاء البرزخي .

المطلب الثاني :آراء المتكلمين في بعض مسائل الجزاء البرزخي:

المطلب الأول : مفهوم الجزاء البرزخي .

أولاً :تعريف البرزخ لغةً واصطلاحاً .

ثانياً : مجمل آراء الفرق الكلامية في مسألة الجزاء البرزخي .

أولاً :تعريف البرزخ لغةً واصطلاحاً .

الجزاء البرزخي هو ما يترتب على سؤال القبر من نعيم في القبر أو جزاء فيه.

- **البرزخ في اللغة** : هو "الحاجز بين شيئين."([1])

وقد نقل البعض أنها في الأصل كلمة فارسية وعربية بمعنى حائل أو حاجز. ([2])

- **أما في الاصطلاح** : فيقول قتادة" بقية الدنيا."([3])

وأخرج ابن أبي حاتم عن محمد بن كعب القرظي قال : البرزخ هو "ما بين الدنيا والآخرة ليس مع أهل الدنيا يأكل ويشرب ولا مع أهل الآخرة يجازى بعمله". ([4])

وهذا ما أشرنا اليه في بداية الحديث عن الجزاء البرزخي .

وقال الضحاك : البرزخ هو "ما بين الدنيا والآخرة". ([5])

وقال أيضاً هو" مابين الفاصل بين الدنيا والآخرة."([6])

هذا و يتضح لنا مما سبق أن الجزاء البرزخي هو ما يكون من عذاب ونعيم للإنسان بعد موته إلى يوم القيامة فيسمى الجزاء في الموت إلى البعث".([7])

وقد وردت كلمة برزخ في القرآن الكريم في اكثر من موضع ومنه قوله -تعالى :

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾([8])

ويقول الإمام الطبري في تفسيره هو الحاجز، وهي الفترة ما بين البعث والموت أي على الحياة البرزخية وهو المعنى الاصطلاحي للبرزخ وكذلك قوله -تعالى: ﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ﴾([1])

---

[1] - ابن الأثير،النهاية في غريب الحديث والأثر، ج١،ص١١٨،)، ومختار الصحاح، أبو بكر الرازي ص٢٠، طبعة دار الفجر.

[2] - أحمد الشنتناوي، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣،ص٥٣٤، (قتادة): انظرتهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، ج٦،ص٩٩ .

[3] - انظر: (قتادة) تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي ج٢،ص٩٩ .

[4] - السيوطي ،الدر المنثور في التفسير بالمأثور، ج٥،ص١٥،

[5] - انظر:(الضحاك): تقريب التهذيب ، للعسقلاني، ص٢٢

[6] - أحمد الشنتناوي وآخرون، دائرة المعارف الإسلامية، ج٣،ص٥٣٤-٥٣٥

[7] - تفسير الطبري، ج٩،ص٢٤٣-٢٤٤.

[8] - سورة المؤمنون، الآيات ٩٩-١٠٠.

فدلت على الحاجز وهو المانع كما أشرنا إليه في المعنى اللغوي للبرزخ.

ثانياً : مجمل آراء الفرق الكلامية في مسألة الجزاء البرزخي .

لا شك أن أول منازل الآخرة القبر والذي يسبق القبر من الجزاء البرزخي هو ما يعرف بسكرات الموت وهي التي تكون للإنسان قبيل خروج روحه إلى الرفيق الأعلى (مفارقة الروح للجسد) وهي لحظات صعبة وصعوبتها على العاصي أشد منه على الطائع لذلك سميت سكرات ،

" والسكرات جمع سكرة :وتعني في الإجمال فقدان الوعي وعدم الصحيان " .(٢)

وفقدان الوعي لا يكون إلا نتيجة أمر مرعب وشديد لا يحتمله الإنسان ولم يكن قد اعتاد عليه من قبل، فخفته وعدم بلوغه درجة شديدة للإنسان الصالح هو نعيم بالنسبة لغير الصالح وبلوغه الشدة والعنفوان على الفاسق والكافر هو بالنسبة لما يلقاه المؤمن الصالح عذاب وهو بمجموعه (النعيم والعذاب) يكون جزاء في هذه اللحظات ، لحظات الاحتضار،وقد أشارالله –تعالى، منها قوله تعالى:﴿ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾(٣)

وقوله –تعالى:﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ ﴿٩٣﴾ ﴾(٤)

وقوله أيضاً :﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ﴾(٥)

وقوله أيضاً : ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ ﴾(٦)

وقد أكد على ذلك النبي –صلى الله علية وسلم –عندما وصف كيفية خروج كل من روح المؤمن وروح الكافر فقال– صلى الله عليه وسلم– في الحديث الذي أخرجه أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي إبراهيم عن علقمة عن عبد الله قال :"قال رسول الله– صلى عليه وسلم–إن نفس المؤمن تخرج رشحاً ،وإن نفس الكافر تسل كما تسل نفس الحمار،

---

١ – سورة الرحمن، الآيات ١٩–٢٠.

٢ – مختار الصحاح ،أبو بكر الرازي، ص١٥٦ ،دار الفجر الجديد

٣ – سورة ق الآية ١٩

٤ – سورة الانعام الآية ٩٣

٥ – سورة الواقعة الآية ٨٣

٦ – سورة القيامة الآية ٢٦

وإن المؤمن ليعمل الخطيئة فيشدد عليه عند الموت ليكفر بها عنه ،وإن الكافر ليعمل الحسنة فيسهل عليه عند الموت ليجزى بها "[1]

وروى البخاري عن عائشة – رضي الله عنها –أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– كانت بين يديه ركوةٌ أو علبةٌ فيها ماء فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول "لا إله إلا الله إن للموت لسكرات ثم نصب يديه فجعل يقول في الرفيق الأعلى حتى قُبض ومالت يده"[2]

وكذا أخرج الترمذي عنها أنها قالت :"ما أغبط أحداً بهون موت بعد الذي رأيت من شدة موت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وروى أبو هدبة إبراهيم بن هدبة قال :"إن العبد ليعالج كرب وسكرات الموت وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض تقول عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة"[3]

ويقول الإمام القرطبي "يقول العلماء إذا كان هذا الأمر أصاب الأنبياء والمرسلين والأولياء والمتقين فمالنا عن ذكره مشغولين ؟ وعن الاستعداد له متخلفين؟[4]

فللجزاء البرزخي عند المتكلمين أقوال وآراء كما يلي :

١ –المعتزلة :

يقول شارح كتاب الأصول الخمسة في بيان اعتقاد فرقة المعتزلة فيما يعرف بالجزاء البرزخي وما فيه من احداث كسؤال الملكين وفتنة القبر وهل هذا يكون واقعاً على الجسد والروح معاً ؟ ،أم على الروح ؟،وهذا ما سيتضح لنا آنفاً حيث يقول:" وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجرة لهذانر ى ابن الرواندي يشنع علينا ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرو ن به .

والكلام فيه يقع في أربعة مواضع أحدها في ثبوته والثاني في كيفية ثبوته والثالث في الوقت الذي يقع فيه والرابع في فائدته.

---

[1] – المعجم الكبير ،أبو القاسم الطبراني، الباب الثالث ،ج٨،ص٤٠٦ .

[2] – رواه البخاري ،في الجامع الصحيح المختصر،تحت باب مرض النبي (ص) ووفاته ،رقم(٤١٨٤) تحقيق مصطفى البغا،ج٤،ط٣دار ابن كثير ،اليمامة، بيروت ١٩٧٨م ،وانظر:كذلك صحيح البخاري ،ج١٠،ص٤٤٤٩.

[3] – رواه الترمذي في سننه ،ج٣ ، باب الجنائز، كتاب التشديد عند الموت ،تحقيق أحمد شاكر،رقم(٩٧٩) ص٣٠٩.

[4] – التذكرة ص٣٤–٣٥ تحقيق د–أحمد حجازي السقا، مرجع سابق.

– أما ثبوته فالذي يدل عليه قول تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمۡ أُغۡرِقُواْ فَأُدۡخِلُواْ نَارٗا فَلَمۡ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارٗا ﴾ (سورة نوح الآية ٢٥) فالفاء للتعقيب من غير مهلة وإدخال النار لا وجه له إلا التعذيب، يدل عليهأيضاً قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ (غافر: ٤٦)

ووجه دلالته على عذاب القبر ظاهر غير أنه يختص بآل فرعون ولا يعم جميع المكلفين والدلالة التي تعم في قوله تعالى: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ﴾ (غافر: ١١)

و لا تكون الإماته والإحياء مرتين إلا في إحدى المرتين إما التعذيب في القبر أو التبشير على ما نقوله.

ومتى قالوا: إن إحدى الإماتتين إنما هو خلق الله – تعالى– الخلق من نطفة هي مرات قلنا :إن الإماتة الحقيقية إنما هو ابطال الحياة وإزالتها وتفريق البنية التي تحتاج هي في الوجود اليها، وذلك لا يتصور في النطفة التي لم تكن حيةطًلاً وبعد فقد أثبت الله –تعالى –الإماتة مرتين ، وعلى هذا الذي ذكرتموه يقتضي أن يكون ذلكمراراً وقد قال تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ﴿١٢﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٢) ، ولم يصرحياً بعد ذلك بل صار علقة على ما قال تعالى: ﴿ ثُمَّ خَلَقۡنَا ٱلنُّطۡفَةَ عَلَقَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡعَلَقَةَ مُضۡغَةٗ فَخَلَقۡنَا ٱلۡمُضۡغَةَ عِظَٰمٗا فَكَسَوۡنَا ٱلۡعِظَٰمَ لَحۡمٗا ثُمَّ أَنشَأۡنَٰهُ خَلۡقًا ءَاخَرَۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحۡسَنُ ٱلۡخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ (المؤمنون: ١٤)

ثم يقولوهذا هو الكلام في ثبوت عذاب القبر .([1])

فالقاضي عبد الجبار المعتزلي يثبت أن المعتزلة يقولون بوقوع عذاب القبر ، ولكن المعلق في الحاشية يقول: "والمنسوب إلى المعتزلة أنهم أجمع ينكرون عذاب القبر، بينما يؤكد القاضي إجماع الأمه على الأعتراف بعذاب القبر "([2])

ثم يقول : "ويقرون أن هناك ملكين منكر ونكير يسألان الميت في قبره" ([3])

و على هذا فإن المعتزلة حسب ما تقدم يقرون بسؤال الملكين و بعذاب القبر أو نعيمه.

٢– الخوارج :

[1] – القاضي عبد الجبار بن أحمد ، شرح الأصول الخمسة ، تعليق الإمام أحمد بن الحسين ،تحقيق د. عبدالكريم عثمان ص٧٣٠–٧٣٣ مكتبه وهبه القاهره ،ط٣ ، ١٩٩٦م

[2] – المرجع السابق نفس الصفحة .

[3] – المرجع السابق ، ص٧٣٥ .

أنكر أكثر الخوارج عذاب القبر وما فيه من سؤال الملكين والفتنة فيه ولم يتفكروا في الأحاديث الصحيحة التي تؤكد على ثبوته و يبين ذلك ابن حزم في الفصل ،حيث يقول : "وقال أبو محمد ، ذهب ضرار بن عمرو الغطفاني أحد شيوخ المعتزلة إلى إنكار عذاب القبر وهو قول من لقينا من الخوارج"[1]

وكما يشير إلى ذلكأيضاً الإمام الأشعري بقوله "والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى يعذب أحد في قبره"[2]

ومن فرق الخوارج الأباضية كذلك غير متفقين على نفي عذاب القبر أو اثباته فهناك من يثبت عذاب القبر ومنهم فريق ينفيه ويتضح لنا من خلال أبيات الشعر التي يقولها صاحب النونية:

و أما عذاب القبر تثبت جابر   وضعفه بعض الائمة بالوهـــن

و أنما ورود النــاس للنار أنه   ورود يقين العلم واللمع بالعـــين[3]

بمعنى أن من ينكر عذاب القبر فإنه بلا شك ينكر سؤال الملكين (منكر ونكير) والفتنة فيه فيكون مخالف لصريح الأحاديث الشريفة و مفهوم الصحابة الكرام و إجماع الأمة على ذلك .

٣-أهل السنة :

يثبت أهل السنة الجزاء البرزخي وما فيه من سؤال منكر ونكير وفتنة القبر وما يشتمل عليه من عذاب أو نعيم .

كما يوضح ذلك الإمام ابن قيم الجوزية "وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار ، ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل الله الثبات"[4].

و كما يذكر في موضع آخر ،" فصل الأمر التاسع أنه ينبغي أن يعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة قال تعالى ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة وسمى عذاب القبر ونعيمه وأنه روضة أو حفرة نار باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع !والطيور له من عذاب البرزخ و نعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب".[5].

---

[1] - ابن حزم ، الفصل ، ج٣، ص٦٦، مرجع سابق .

[2] - أبي الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ، ج١، ص٢٠٦، تحقيق محمد محيي الدين حميد.

[3] - أبي نصر النفوسي، متن النونية في عقيدة التوحيد، ص٢٧.

[4] - ابن القيم الجوزية أبو بكر الزرعي ،حادي الأرواح إلى بلاد الافراح ، ص٢٨٩ دار الكتب العلمية بيروت

[5] - محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية ، الروح في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة . ص٧٣، دار الكتب العلمية بيروت ١٩٧٥م .

و يعتبر الأشاعرة أن الجزاء البرزخي وما فيه من أحداث سؤال منكر ونكير ليس من المستحيلات في حق الله – تعالى– فهم يثبتونه ويؤكدونه وكما يقول الإمام الجويني"ليس ذلك من مستحيلات العقول فان القادر على الخلق والإعادة والإحياء والإماتة إذا اراد رد الارواح الى قوالبها ردها، ثم الوجه عندي في ذلك أن يقال : الفاهم من الإنسان في حياتة أجزاء لطيفة من قلبه أو من دماغه وجوارح العمل مستخدمة لتلك الأجزاء الفاهمه المدبرة لليد والرجل واللحوم والعضل والعظام حظ من العلم فلعل الله –تعالىهو العالم بسر غيبه ،يرد الروح إلى تلك الاجزاء اللطيفة ويميلها إلى أي صورة شاءها"[1]

كما انهم يثبتون سؤال منكر ونكير في القبر للمتوفى وفي ذلك يقول الإمام الماتريدي: "والدليل على سؤال منكر ونكير قوله تعالى:﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾ ﴾[2]

يعني في الآخرة عند السؤال منكر ونكير ثم يقوم بالتدليل على ذلك بأحاديث نبوية "[3]

وكلمة في الآخرة تتفق مع السيدة عائشة رضي الله عنها حيث قالت:(من مات فقد قامت قيامته) لأنه لايعقل أن الإمام الماتريدي لا يقول بحياة البرزخ التي هي بين الدنيا والآخرة ،حيث أني لم أعثر على شيء كتب من أهل السنة فيه إنكار لعذاب البرزخ ونعيمه .

٤– الشيعة:

ان الشيعة يقرون بوجود الجزاء البرزخي وذلك لتواتر السمع بوقوعه و لإجماع الأمة على ذلك . وقد بين هذا الإقرار ابن المطهر الحلي بقوله: "ولإمكانه عقلاً فإنه لا إستبعاد في أن يجعل الله – تعالى– العقاب في دار التكليف على وجه لا يمتنع معه التكليف كما في قطع يد السارق ...والله – تعالى– قادر على كل ممكن، وقد أخبر الله – تعالى– بوقوعه في قوله تعالى :﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[4]

---

[1] – عبد الملك الجويني ، العقيدة النظامية في الأركان الإسلامية ، ص٧٨ ،تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية للتراث ١٩٩٢م.

[2] – سورة ابراهيم الآية ٢٧

[3] – القاضي أبو بكر الباقلاني، الانصاف فيما يجب إعتقاده ولا يجوز الجهل به ، ص ٥١ –٥٢ ،تحقيق محمد زاهد الكوثري، ط٢ ، مؤسسة الخانجي القاهرة ١٩٦٣م.

[4] – سورة البقرة الآية ٢٨

فذكر الرجوع بعد إحيائين فإنما يكون بإحياء ثالث.

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [1]

فذكر موتتين ، إحداهما في الدنيا ، والاخرى في القبر ، ولم يذكر الثالث لأنه معلوم فيه الكلام وغير الحي لا يتكلم، وقيل : إنما أخبروا عن الإحيائين الذين عرفوا الله – تعالى– فيهما ضرورة فأحدهما في القبر والأخرى في الآخرة ولهذا عقب في قوله تعالى : ﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [2] " [3]

وكما نجد ذلك الإقرار عند الامام الطوسي بقوله: "أجمعت الأمة على عذاب القبر لا يختلفون فيه ..." [4].

فهذه النصوص مثبتة لاعتقادهم بوجود عذاب القبر . وذلك كما تقدم مستشهدين بالآيات القرآنية وإجماع الأمة على ذلك.

---

[1] – سورة غافر الآية ١١

[2] – سورة غافر الآية ١١

[3] – جمال الدين بن المطهر الحلي ،كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٣٣٧-٣٣٨مكتبة المصطفوي قم.

[4] – محمد بن الحسن الطوسي، الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٢١٩ ، مطبعة الاداب النجف الاشرق ١٩٧٩م.

المطلب الثاني :آراء المتكلمين في بعض مسائل الجزاء البرزخي:وهي

أولاً : سؤال الملكين (منكر ونكير) .

ثانياً : نعيم القبر أوعذابه .

ثالثاً : كيفية وقوع على الجزاء في عالم البرزخ .

أولاً : سؤال الملكين (منكر ونكير) .

لقد حصل خلاف في موضوع الملكين في هل هما يأتيان إلى الميت في قبره أم لا ؟ ما بين موافق ومخالف ،لذا فقد أنكر ه كثير من المعتزلة ومنهم الجبائي [1].

حيث يقولون : "إن فيما تدعون من أن الله –تعالى – يبعث ملكين أحدهما منكر والآخر نكير ،يسألان صاحب القبر ثم يعذبانه أو يبشرانه ، وتسمية ملائكة الله بما لا يليق بهم بما يقتضي استحقاق الذم وذلك لا وجه له " [2].

ولا بد من الإشارة بأنه قد ورد من ناحية السمع أن الله –تعالى– يرسل ملكين يسمى أحدهما ،منكر والآخر نكير ، وذلك في أكثر من رواية ، وقد تناولنا ذلك عند حديثنا عن إثبات عذاب البرزخ .

وأما القول بأن هذه التسمية لملائكة الله –تعالى –غير لائقة ، نرد عليهم بأن هذه التسمية ليس فيها مدح ولا ذم و بذلك يقول القاضي عبد الجبار في معرض الحديث عن منكر ونكير " بأنه لا يعرف شخص من الأشخاص ملكاً من الملائكة فلم يدخل الملك في استحقاق الذم وهكذا في قولنا نكير "[3].

وفي ذلك يقول ايضاً ابن حجر "وذكر بعض الفقهاء أن اسم اللذين يسألان المذنب منكر ونكير وأن اسم اللذين يسألان المطيع مبشر وبشير"[4].

وقدأثبت ذلك المثبتون لسؤال الملكين بناء ً على كثير من الأحاديث النبوية الشريفة ومنها الحديث الذي يرويه أنس بن مالك– رضي الله عنه– قال: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم ، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ "[5].

وفي حديث آخر يرويه البراء بن عازب – رضي الله عنه– يقول:صلى الله عليه وسلم : فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك ؟ فيقول ربي الله "[6].

---

[1] – الجبائي "وهو محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي "من أئمة المعتزلة ورئيس علماء الكلام في عصره وإليه تنسب الطائفية الجبائية ،توفي سنة ٣٠٣هـ وفيات الأعيان، لابن خلكان، ج٤، ص٢٦٧

[2] – القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص ٧٣٤،مرجع سابق

[3] – المرجع سابق نفس الصفحة .

[4] – فتح الباري،ج ٣ ،ص ٢٨٠،كتاب الجنائز ،باب ماجاء في عذاب القبر ، مرجع سابق

[5] – الإمام مسلم ،صحيح مسلم ج٣،ص٢٣١، ج١٧ ص ٢٠٣،كتاب الجنة وصفة أهلها ، ، دار إحياء التراث العربي .

[6] – رواه الإمام أحمد في مسنده ،مسند الكوفيين ، حديث البراء بن عازب ،ج٤،ص٢٨٧،مؤسسة قرطبة .

وفي حديث آخر للبراء أيضاً – رضي الله عنه– يقول –صلى الله عليه وسلم–: المسلم إذا سئل في القبر يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴿٢٧﴾ ﴾ [1].

وفي رواية أخرى عنه –صلى الله عليه وسلم –في قوله تعالى (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة } قال نزلت في عذاب القبر يقال له : من ربك ؟ فيقول ربي الله ونبيي محمد..)[2] ويقول اللقاني في الجوهرة: " وسؤالنا ، أي سؤال منكر ونكير بإيانا معاشر أمة الدعوة المؤمنين والمنافقين والكفار بعد انصراف الناس واجب سمعاً وهو ظاهر الأحاديث " [3].

فهذا القول يمثل اعتقادنا في إثبات سؤال القبر وبهذه الأحاديث الصحيحة أيضاً الثابتة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– ؤتكد ثبوت سؤال الملكين ووجب الاعتقادبذلك .

وأما ما ورد في سبب تسمية الملكين بمنكر ونكير ، يقول القسطلاني " كونهما على هيئة منكرة لم يعرف مثلها والنكير بمعنى المنكور يقال : نكرت الشيء بالكسر وأنكرتة وكلاهما ضد المعروف وسميا به لأن الميت لم يعرفهما ولم ير صورة مثل صورتيهما" ([4].

ويقول القرطبي أيضاً في بيان سبب تسمية منكر ونكير بهذا الاسم فلم سمُ يا فتانا القبر بالمنكر والنكير ؟

فيكون الجواب : إنهما سميا بذلك لأن خلقهما لا يشبه خلق الآدميين ولا خلق الملائكة ولا خلق البهائم ولا خلق الهوام بل هم خلق بديع لا يأتنس بهما أحد من الناظرين ولكن الله –تعالى – يخلق عندهما اللطف والرحمة والستر للمؤمنين فضلاً منه –تعالى – فيتشكلان لكل إنسان بشاكلة عمله وعلمه واعتقاده " [5].

هذا وقد دلت النصوص على تشكل الملكين في أكثر من موضع ومما يؤكد تشكل الملكين بشاكلة عمل الميت واعتقاده ما روي عن عائشة –رضي الله عنها –حيث قالت: يا رسول الله تبتلى هذه الأمة في قبورها، فكيف بي وأنا امرأة ضعيفة ؟ قال (يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة)[1].

---

[1] – سورة ابراهيم الآية ٢٧ .

[2] – الإمام مسلم ،صحيح مسلم بشرح النووي ، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار ، ج١٧ ص ٢٠٤.

[3] – اللقاني ، شرح الجوهرة ، ص ٣٦٢، مرجع سابق ، بيت ٩٦ للإمام البيجوري ، مراجعة عبدالكريم الرفاعي .

[4] – القسطلاني ، إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، ج٢، ص ٤٦٣.

[5] – القرطبي، التذكرة في أحوال الموتى والآخرة ، ص١٦٦بتصر ّف .

في ذلك إشارة إلى أن الله –سبحانه وتعالى – يرحم المؤمن ويلطف به في مثل ذلك الموقف العظيم بخلاف الكافر والمنافق عندما يخرج عليهم الملكان الموصوفان بصفات غريبة وكثيرة منها كبر حجم العيون وتشبيهها بقدور النحاس وأصواتهم التي تشبه صوت الرعد وغير ذلك ، وهذا ثابت في أحاديث كثيرة وصحيحة منها :

الحديث الذي يرويه أبو هريرة –رضي الله عنه –حيث يقول : قال– صلى الله عليه وسلم : "إذا قبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر نكير "[2].

وفي حديث آخر يرويه أيضاً أبو هريرة أنه قال :" شهدنا جنازة مع النبي– صلى الله عليه وسلم– فلما فرغ من دفنها وانصرف قال– صلى الله عليه وسلم– : إنه الآن يسمع قرع نعالكم أتاه المنكر والنكير أعينهما مثل قدور النحاس ،وأن أنيابهما مثل صياصي ([3]) البقر، وأصواتهما مثل الرعد، فيجلسانه فيسألانه ما كان يعبد ومن كان نبيه"[4].

فهذه الأحاديث في مجملها قد بينت مدى غرابة أوصاف هؤلاء الملكين في أشكال لم تكن معهودة للإنسان من قبل، لذلك استحق أن يطلق عليهم منكر ونكير .

أما في شأن السؤال الذي يوجه للميت في قبره فالأحاديث التي تدل وتشير إلى ذلك كثيرة منها الحديث الذي يرويه البراء بن عازب– رضي الله عنه– قال : قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– : يأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له : من ربك ؟ فيقول ربي الله ، فيقولان له ما دينك ؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له وما يدريك ؟ فيقول : قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت ، و في ذلك إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ ﴿٢٧﴾ ﴾[5].

إذن فالسؤال في القبر للميت ثابت ويكون عن ربه ودينه ونبيه وكتابه ، فلا يستطيع أحد أن يجيب عن هذه الأسئلة إلا المؤمن الذي كانت حياته حافلةً بالإيمان والعمل ، أما الكافر والمنافق فلا يستطيعان . والله تعالى أعلم

وأختم حديثي في هذه المسألة بقول ابن أبي العز "وللناس في سؤال منكر ونكير هل هو خاص بهذه الأمة أم لا ؟

---

[1] – الهيثمي(تحرير العراقي وابن حجر) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، المجلد ٣،باب سؤال القبر

[2] – ابن حجر،فتح الباري في صحيح البخاري ، كتاب الجنائز باب ماجاء في عذاب القبر

[3] – صياصي البقر: قرونها . انظر: الترغيب والترهيب من الحديث الشريف ص١٩٩ ، ج٤،عبد العظيم بن عبد القوي المنذري دار الكتب العلمية بيروت ط١ ، ١٤١٧.

[4] – ابن حجر، فتح الباري في صحيح البخاري ،كتاب الجنائز باب ماجاء في عذاب القبر ،ج٤،ص٤٤٩.رقم (١٢٨٥)مرجع سابق .

[5] –الإمام أحمد ، مسندالإمام أحمد،ج ٤ ، ص٢٨٨–*سورة ابراهيم الآية ٢٧

ثلاثة أقوال : أما الثالث فهو التوقف وهو قول لجماعة، منهم من أبو عمر بن عبد البر فقال :وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي– صلى الله عليه وسلم –قال: "إن هذه الأمة تبتلى في قبورها "منهم من يرويه تسأل وعلى هذا اللفظ يحتمل ان تكون هذه الأمة قد خصت بذلك وهذا امر لا يقطع به ويظهر عدم الاختصاص والله أعلم وكذلك اختلف في سؤال الأطفال أيضاً وهل يدوم عذاب القبر أو ينقطع ؟ جوابه أنه نوعان : منه ما هو دائم كما قال تعالى ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (غافر: ٤٦) ،

وكذلك في حديث البراء بن عازب في قصة الكافر :" ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها وحتى تقوم الساعه" رواه الإمام أحمد في بعض طرقه.

و النوع الثاني : إنه مدّة ثم ينقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه كما تقدم ذكره في الممحصات العشر ة"[1]

ثانياً : نعيم القبر أوعذابه .

أ– المثبتون وأدلتهم:

لقد أثبت الأشاعرة نعيم القبر أوعذابه كما تقدم في بداية هذا المبحث مستندين في ذلك إلى آيات من القرآن الكريم، وقد انقسموا في هذا إلى ثلاثة آراو كل رأي يمثله القائلون به استناداً لما يثبت ذلك في القرآن والسنة من أدلة، وقد بين ذلك صاحب كتاب عقيدة البعث ، وهو كما يلي:

الرأي الأول:

و يقول به أبو حامد الغزالي ويمثل أصحابه فيه حيث إنه يثبت عذاب القبر كأصل من أصول الدين ويعد الإيمان به كالإيمان بأي أصل من أصول الدين وهو أساس عنده و من قواعد الاعتقاد.

فلم تكن المباحث السمعية المتعلقة باليوم الآخر أصلاً من أصول الإيمان عند متقدمي المتكلمين من قدرية وجهمية ومعتزلة وكذلك الأوائل من الأشاعرة إلا بعد أن وضعها الإمام أبو حامد الغزالي فجعلها أصلاً من قواعد العقائد." ([2])

---

[1] – ابن أبي العز الحنفي، شرح الطحاوية ، ص٣٩٦،مرجع سابق.

[2] – محمد عبد القادر، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، ص١٧٦بتصر ّف.

وقد أورد الإمام الغزالي بعض الأحاديث النبوية من خلال كتابيه : الأربعين في أصول الدين، وإحياء علوم الدين، ففي الحديث الذي يرويه ابن عمر قال قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم: "إذا مات الميت عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة ،وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، ثم يقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة" ([1])

فالقبر بناء على ذلك إما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، ولقد روي عن الإمام علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- أنه قال: " كان الناس في شك من عذاب القبر حتى نزلت هذه السورة ﴿ أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ﴾

فتلعمون الأولى إشارة إلى عذاب القبر وتعلمون الثانية إشارة إلى عذاب الآخرة"([2]).

الرأي الثاني:

و قال به المتأخرون من الأشاعرة وفيه يثبتون -كذلك- أن عذاب القبر أصلاً من أصول الدين ويكثرون في ذكر التفاصيل والغيبيات في ذلك." ([3])

كما هو واضح في كلام الباجوري فعندما تحدث عن منكر ونكير، قال :"وهما الموكلان بسؤال الميت في قبره وإنما سمى هذان الملكان بذلك لأنهما يأتيان للميت بصورة منكرة فإن صفاتهما كما في الحديث أنهما أسودان أزرقان،أعينهما كقدور النحاس وفي رواية كبرق وأصواتهما كرعد ، إذا تكلما يخرج من أفواههما كالنار بيد كل واحد منهما مطرقة من حديد، لو ضرب به الجبال لذابت وفي رواية بيد أحدهم مرزبة لو اجتمع عليها أهل منى ما أقلوها وإن هذين الملكين يترفقان بالمؤمن ويقولان له إذا وفق للجواب نم نومة العروس". ([4])

فهذا الحديث الطويل فيه بيان لما يتناوله في تفصيل مجمل لكيفية السؤال ،وأشكال وأوصاف الملكين إلى آخره .

---

[1] – إمام الترمذي، الجامع الصحيح سنن الترمذي ،كتاب الجنائز،باب عذاب القبر ص١٨٠.

[2] – أبو عبدالله القرطبي، التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، ص٦٤، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت

* سورة التكاثر الآيات ١-٤

[3] – محمد عبدالقادر، عقيدة البعث، ص١٧٦بتصر ّف.مرجع سابق

[4] – إبراهيم البيجوري، تحفة المريد، حاشية على جوهرة التوحيد للشيخ اللقاني، ص١٥٩، ط١، دار الكتب العلمية،مرجع سابق .

ويقول أيضاً :" أما عذاب القبر فهو ثابت حتى ولو لم يقبر الإنسان ولو صلب أو غرق في بحر أو أكلته الدواب أو حرق حتى صار رماداً وذري في الريح، ولا يمنع من ذلك كون الميت تفرقت أجزؤ ه وإن المعذب هو الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل الحق ،ولقد خالف محمد بن جرير الطبري وعبدالله بن كرام وطائفة فقالوا إن المعذب هو البدن فقط".([1])

فهذا نموذج بسيط يبين كيف أنشغلوا المتأخرين من الأشاعرة بفروع هذه المسأله عن أصولها وكيف أسهبوا في بيان أوصاف الملكين والعذاب في القبر.

الرأي الثالث:

ويمثله أوائل الأشاعرة ، مثل الأشعري والباقلاني والجويني." ([2])

وقدتناول هؤلاء هذه المسألة دون تعمق ولم يفردو اأبحاثاً خاصة بها .

فالأشعري مثلاً ، يرد على إنكار المعتزلة لمسألة عذاب القبر– كما هو شائع عنهم بخلاف ما يثبته القاضي عبد الجبار في شرح الاصول كما تقدم – ويقرر :" أن عذاب القبر ثابت بدليل أن أحاديث كثيرة عن الرسول– صلى الله عليه وسلم– تؤكد ثبوته ولم يوجد حديث واحد ينفيه".([3])

و يستدل الإمام الأشعري بالآية القرآنية التي من خلالها يثبت عذاب القبر وهي قوله تعالى:

﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ﴾ ([4])

فجعل عذابهم يوم تقوم الساعة بعد عرضهم على النار في الدنيا غدواً وعشياً ، وقال سنعذبهم مرتين ، مرة بالسيف ومرة في قبورهم ثم يردون إلى عذاب غليظ في الآخرة.وكما يستشهد الأشعري في قوله تعالى :﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ ﴾ ([5]) ويقول إن الشهداء جعلهم الله–تعالى–في الدنيا يرزقون ويفرحون

[1] – محمد عبدالقادر، عقيدة البعث الآخرة في الفكر الإسلامي ، ص٢٠١، مرجع سابق.

[2] – المرجع السابق، ص١٧٦.

[3] – الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص٧٠، دار القادري ،مرجع سابق.

[4] – سورة غافر الآية ٤٦.

[5] – سورة آل عمران، الآية ١٦٩.

وذلك بفضل الله، و يورد أيضاً أحاديث تثبت ذلك منها قوله– صلى الله عليه وسلم –عندما قال لعمر" كيف بك يا عمر إذا جاءك فتانا القبر؟ .فقال: أكون كما أنا الآن ؟. فقال له: إذا أكفيكهما..."[1] .

فهؤلاء هم المثبتون لعذاب القبر ونعيمه والأدلة على مايقولون مفصلاً من القديم والحديث إلى آراء وهو كما تقدم".[2]

ب– النافون وأدلتهم.

كان من أشهر الفرق الكلامية أنكوا ً لعذاب القبر ونعيمه وما هو مشهور عنهم ويؤ فرقة المعتزلة، وقداشتهر ت بهذا الرأي وإليها ينسب ، وربما كان الاختلاف ما بين الفرق النافية والفرق المثبتة لعذاب القبر ونعيمه ناشيء من خلال وجود الآيات المتشابهات في أي مسألة خلافية فإذا كان هناك تشابه في الآيات يكون الاجتهاد ضمن المعقول، وباب الإجتهاد مفتوح في ديننا بحدود عند تفسير الآيات المتشابهة، ومن المسائل التي وقع الخلاف فيها هذه المسألة التي لم يرد بشأنها آيات قطعية.

و لكن نأخذ بما قاله القاضي عبدالجبار المعتزلي والذي بيناه في بداية الحديث عن الفرق الكلامية في أول المبحث،وهو :

" إنه لا خلاف بين الأمة بصدد مسألة عذاب القبر، ولم يخالف في ذلك إلا ضرار بن عمرو، وهذا هو الذي جعل ابن الراوندي يذكر أن المعتزلة ينكرون عذاب القبر" .[3]

"و قد ذهب المعتزلة إلى أن مسألة عذاب القبر إنما هي سمعية في مجموعها ولهذا ليس للعقل أن يناقشها وإذا ناقشها العقل فلا بد أن ينفيها أو ينكرها، فالمعتزلة إذن آمنوا مع بقية المسلمين بتلك المسلة سمعاً ولكنهم انفردوا بالإنكار العقلي لها، ولقد تابع المعتزلة في إنكارهم العقلي بعض فرق الخوارج وبعض الزيدية من الشيعة، وإذا كان المعتزلة قد أسلموا منذ البداية بأن مسألة عذاب القبر إنما هي مسألة سمعية،إلا أنهم حاولوا أن يستخدموا فيها الأدلة العقلية تمهيداً لنفيها عن طريق العقل. ويذهب المعتزلة إلى أن مسألة النعيم أو العذاب في القبر تقتضي الإحياء بمعنى أن تكون هناك حياة في القبر لأنه لا يعقل أن يكون التعذيب للجماد، فالحياة في القبر هي التي تتيح للشخص الذي يقبر أن يجيب عن أسئلة الملكين ". [4]

فهذا كله يقودنا الى أن المعتزلة هم من المثبتين لعذاب القبر من الناحية السمعية ، والنفي الذي تحدثوا عنه إنما هو النفي العقلي ، فالعقل لايتصور ذلك عندهم ومن المعروف أنهم قد قدموا العقل على النص .

---

[1] – جلال الدين السيوطي، جامع الأحاديث ، مسند عمر ص٤٨٢.
[2] – محمد عبدالقادر، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، ص١٧٧-١٧٨بتصر ّف.
[3] – القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٧٣، تحقيق د.عبدالكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، ١٩٩٦م
[4] – محمد عبدالقادر، عقيدة البعث والآخرة، ص١٧٠-١٧١بتصر ّف، مرجع سابق.

هذا ويستدل المنكرون لعذاب القبر ونعيمه بآيات قرآنية كثيرة منها قوله –تعالى :﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ﴾ [1].

فيقولون فيها إنهم لو صاروا أحياء في القبور كما يقول مثبتوا عذاب القبر لذاقوا موتتين وليس موتة واحدة." [2]

فقالوا إن هذه الآية تدل على أنه ليس هناك موت إلا موتةً أولى وهي التي ذاقوها عند إنتهاء أجلهم فلو حصلت لهم في القبر حياة لأعقبها موت فتكون لهم موتتان لا موتة ، وهذا يخالف ما تدل عليه الآية الكريمة فثبت أنه لا حياة في القبر وإذا لم يكن في القبر حياة فلا يعقل أن يكون هناك عذاب ولا نعيم وهذا هو المطلوب والمقصود من قولهم.

فالرد على استدلالهم في هذه الآية، حيث انها تتحدث عن أهل الجنة ووصف حالهم بأنهم لا يذوقون في الجنة الموت الذي به ينقطع النعيم كما انقطع نعيمهم في الدنيا بالموت ، وفي قوله" إلا الموتة الأولى"تأكيداً لعدم موتهم في الجنة فهو استثناء منقطع أي بمعنى الموتة الأولى قد ذاقوها بعد حياتهم الدنيا.

إذن فلا دلالة في الآية الكريمة على موتة أخرى بعد نعيم القبر وعذابه في هذه الآية ولكن تفيد أن الحياة في الجنة لا ينقطع نعيمها بالموت كما انقطع نعيم الحياة الدنيا به، والله تعالى أعلم.

ج– الرأي الراجح.

ولابد هنا من الإشارة إلى ما قاله الإمام ابن أبي العز في الطحاوية إلى أن عذاب القبر نوعان : عذاب دائم كما في قوله تعالى :﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[3]

وكذا في حديث البراء في قصة الكافر " ثم يفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة " [4] .

وعذاب منقطع وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه ثم يخفف عنه "[5]

---

[1] – سورة الدخان، الآية ٥٦.

[2] – الرازي، نهاية العقول في دراية الأصول ،ج٢،ص١٨١،نقلاً عن كتاب عقيدة البعث، د.محمد عبدالقادر، ص١٧٣.

[3] – سورة غافرالآية ٤٦

[4] – الإمام أحمد مسندالإمام احمد ،مسند المكثرين ،مسند أبي سعيد الخدري ،ج٣،ص٣،تحت رقم(١١٠١٣)

[5] – ابن أبي العز ،شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق د.عبد الله التركي و شعيب الأرنائووط ،ج٢ ،ص٥٨٢ ،مؤسسة الرسالة ،١٩٨٨ م

وبناءً على ما تقدم فإن الرأي الراجح هو رأي الأشاعرة المتمثل في قول كل من الأشعري والباقلاني والجويني وقد تقدم الحديث عنه في بداية الفصل وهو يمثل رأي المثبتين للجزاء البرزخي من خلال ما أثبتته النصوص القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

ونستدل بهذه الأدلة التي استدلوا بها، فنلاحظ مما سبق أن هناك التقاء في آراء جمهور المتكلمين على أن ما بين نهاية الحياة والبعث حياةً في القبور فسيحة في زمانها وحالها تسرح فيها روح الإنسان بعد أن تفارق البدن ويتوفاها الله –تعالى، وأن الحياة الدنيا ما هي بالنسبة إلى الروح إلا كسجن ضيق ومظلم إذا ما قورنت بالفضاء الرحب المترامي المغمور بالنور، الذي تسرح فيه بعد مفارقته البدن.

ويتبين لنا أيضاً من خلال الحديث عن فريق النافين وفريق المثبتين، ومن خلال أدلة كل واحد منهما وخصوصاً المعتزلة الذين يمثلون الرأي القائل بنفي الجزاء البرزخي، فهو كما تقدم خلاف ظاهري وإن قالوا إن هناك جزاء من ناحية السمع فقاسوا الأمور كلها على أنها عقلية وحكّموا العقل بذلك. والله تعالى أعلم.

وبناءً على ما تقدم ذكره من الأسئلة والأجوبة في القبر للإنسان من قبل الملكين فإنه و ما يترتب عليها من إجابة أو عدمه ، فيكون النعيم أو العذاب بمثابة فتنه القبر وقد ثبت ذلك في أحاديث كثيرة عن النبي– صلى الله عليه وسلم– ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة أنه قال : قال – صلى الله عليه وسلم– : (بعد سؤال الملكين) "... ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاًفي سبعين ثم ينوّر له فيه ثم يقال له نم فيقول ارجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان له : نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله – تعالى– من مضجعه ذلك "[1] .

ففي هذا الحديث الشريف بيان لحال المؤمن بعد السؤال كيف يكون وقد صوّره – صلى الله عليه وسلم– في أحسن صورة يكون عليها الإنسان في الحياة الدنيا من نومة، وتلذذ وما فيها من درجة يسعى إليها كل إنسان ذو عقل و تفكير سليم .

فالنتيجة الطيبة لا تكون إلا بعد الإجابة بما يقتضيه سؤال الملكين فمقعد النعيم لمن وفقه الله –تعالى – للإجابة ومقعد الجحيم والعذاب لمن حرم الإجابة الصائبة ولم يوفق لها ، ومن المعروف أن من طبائع البشر أن احدهم يكون في حالة نعيم إذا كان ما ينتظره خير ويكون في حالة عذاب إذا كان ما ينتظره شراً أعاذنا الله وجميع المسلمين ، فمما سبق من

[1] – الترمذي ،سنن الترمذي، ج٣ ،ص٣٨٣ ، باب عذاب القبر ، انظرتحفة الأحوذي ص ١٨٤ ، المارکفوري

أحاديث في مجملها تبين ما ينبغي على المسلم اعتقاده في فتنة القبر التي يتعرض إليها البشر فيقبورهم من نعيم أوعذاب وكل ذلك مرتبط بما قدم أصحابها من أعمال في حياتهم الدنيوية فإن كان خيراً فخير وإن كان شراً فشر .

لذلك يعقّب القرطبي بقوله : إن الإيمان بعذاب القبر وفتنته واجب والتصديق بهما لازم حسب ما أخبر به الصادق المصدوق ... وهذا مذهب أهل السنة وما عليه الجماعة من أهل هذه الملة ، ولقد قال عمر بن الخطاب– رضي الله عنه– لما أخبر النبي– صلى الله عليه وسلم – بفتنة الميت في قبره وسؤال منكر ونكير وهما ملكان ، قال له :يا رسول الله ، أيرجع إلي عقلي ؟. قال– صلى الله عليه وسلم : نعم ، قال :إذاً أكفيكهما ، والله لإن سألاني سألتهما فأقول لهما أنا ربي الله فمن ربكما أنتما ؟[1].

أما فيما يتعلق في سبب نعيم القبر فإنه إجمالاً الإيمان والطاعة وسبب العذاب هو الكفر والمعاصي وعمل المنكرات وقد دل على ذلك كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية .

– أسباب عذاب القبر :

فقد ذكرالإمام البيهقي بعض أسباب عذاب القبر : وهي كما يلي :

١–النفاق : وذلك حسب ما ورد في قوله – تعالى– عند التحذير من النفاق : ﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

فقال قتادة في قوله –تعالى :" (سنعذ بهم مرتين) قال : عذاب في القبر وعذاب في النار" [3].

وقد ورد أيضاً في ذلك أحاديث كثيرة تدل على عذاب المنافق في قبره .

٢– المُعرض عن ذكر الله –تعالى –(الإعراض) :

وذلك لقوله –تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴾[1].

---

[1] – شمس الدين القرطبي ، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص١٥٧–١٥٨ (مرجع سابق) ،

[2] – سورة التوبة الآية ١٠١

[3] – البيهقي ، إثبات عذاب القبر ، تحقيق شرف القضاة ، ص٥٦ .

فيقول أبو هريرة فيما يرويه عن النبي – صلى الله عليه وسلم، ﴿ فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ قال :عذاب القبر "[٢].

٣–النميمة ، وكذلك النجاسة التي تكون من البول :

وقد ثبت ذلك في أحاديث كثيرة ومنها الحديث الذي يرويه ابن عباس قال : مر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – على قبرين فقال :" إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان يمشي بالنميمة وأما الآخر فكان لا يستتر من بوله قال : وكيع لا يتوقاه قال : فدعا بعسيب رطب فشقها اثنتين ثم غرس على هذا واحدة وعلى هذا واحدة ثم قال : لعلهما أن تخففا عنهما ما لم ييبسا "[٣] .

٤– النياحة على الميت :

وهذا ثابت في حديث عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال : إن الميت ليعذّب ببكاء أهله عليه، وفي رواية أخرى إن الميت يعذب ببعض بكاء أهله عليه ،وقد قيد بعض العلماء هذا العذاب بوصية الميت لأهله كما كانت تفعل العرب في الجاهليه "[٤].

٥– في الغلول :

ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة قال خرجنا مع الرسول – صلى الله عليه وسلم–إلى خيبر فلم نغنم ذهباً ولا فضة وإنما غنمنا المتاع والأموال ثم انصرفنا نحو وادي القرى ومع الرسول– صلى الله عليه وسلم –عبد له وهبه إياه رفاعة بن زيد ، رجل من بني ظبيب ، فبينما هو يحط رحل رسول الله– عليه الصلاه والسلام– إذا أتاه سهم عائر فأصابه فمات ، فقال له الناس هنيئاً له الجنة فقال:– صلى الله عليه وسلم– كلا والذي نفسي بيده إن الشملة التي غلها يوم خيبر في الغنائم لم تصبها المقاسم لتشتعل عليه نارا فجاء رجل إلى الرسول– صلى الله عليه وسلم – بشراك أو شراكين فقال– صلى الله عليه وسلم – شراك أو شراكان من نار "[٥].

---

[١] – سورة طه ألآية ١٢٤

[٢] – الحاكم مستدرك الحاكم،ج١ ، ص٣٨١ ،كتاب الجنائز،وقال صحيح على شرط مسلم

[٣] – الإمام البخاري ،صحيح البخاري، ج٢ ، ص١١٩ ،رقم ١٣٩١، كتاب الجنائز باب الجريد على القبر

[٤] – المرجع السابق، ج٣ ، ص ١٥٣ –١٥٤ كتاب الجنائز باب ما يكره من النياحة

[٥] – المرجع السابق،ج٥ ص١٧٥ ،رقم ٤٢٣٤ ،كتاب المغازي باب غزوة خيبر رواه مسلم أيضاً ، في صحيحه ، كتاب الإيمان، ص١٢ ،باب غلظ تحريم الغلول

٦-في الدَّين:وقد عنون في ذلك الإمام مسلم تحت باب من قتل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلا الدَين وذلك لبيان ما للدّين من أهمية وهو حق للعباد ، والجهاد من أفضل الأعمال ، إلا أنَّ الدّين يحبس صاحبه عن الجنة ولم يكفر وهو واضح في الحديث الذي يرويه أبو قتادة عن أبي سعيد أنه سمعه يحدث عن الرسول -صلى الله عليه وسلم -أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان بالله أفضل الأعمال فقام رجل وقال يا رسول الله أرأيت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي فقال:- صلى الله عليه وسلم- نعم ، إن قتلت في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، ثم قال- صلى الله عليه وسلم-كيف قلت .. فقال- صلى الله عليه وسلم نعم إلا الدّين فإن جبريل قال لي ذلك"[١].

و يقول الباجوري موضحاً ذلك :" ومما يجب اعتقاده عذاب القبر ، وإنما أضيف العذاب للقبر لأنه الغالب ، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه عذب ، قبر أم لم يقبر ، ولو غرق أو صلب أو التهمته الضواري أو حرق ثم ذرته الرياح، وتفتت الأعضاء لا يمنع من وجود العذاب ومن وقوعه على الروح والبدن جميعاً بإتفاق أهل الحق ، إذ جائز أن يخلق الله -تعالى - في ذرة ما أشد الآلآم وأرقى اللذات ؟[٢]

وكذلك ففي الحديث الذي يرويه سمرة بن جندب أنه -صلى الله عليه وسلم - قال : هاهنا أحد بني فلان ،فنادى ثلاثاً لا يجيبه أحد ثم قال إن الرجل الذي مات بينكم قد احتبس عن الجنة من أجل الدَين الذي عليه فإن شئتم فأفدوه وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله "[٣].

ففي الحديث دلالةعلى أن الدائن مرتهن بدَينه عن الجنة بعد أن يدفن أي في قبره،وهو دليل على أن الدّين سبب في عذاب الميت في قبره ، فهذه بعض الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي أشارت إلى أسباب عذاب الميت في قبره، فهي ليست محصورة بما ذكرنا ولكن هي أدلة دلت على ما أشار إليه العلماء في هذا المجال، وقد أثبتت عذاب القبر ونعيمه ، وقد تقدم بيان ذلك.

ثالثاً : كيفية وقوع الجزاء في عالم البرزخ .

من خلال الاطلاع والدراسة في هذا الجانب تبين أن هناك اختلافا بين العلماء في هذه المسألة على أربعة أقوال ولكل قول منهم ما يبرره من أدلة استدل بها القائلون على قولهم ، وهي كما يلي :-

- <u>القول الأول :-</u> لمن قال بوقوع العذاب والنعيم على الجسد دون الروح .

---

[١] - الإمام مسلم ،صحيح مسلم بشرح النووي ، كتاب الإمارة باب من قتل في سبيل الله كفّرت خطاياه إلا الدّين ج١٣ ص٢٨-٢٩

[٢] - البيجوري ، انظرشرح جوهرة التوحيد ، مراجعة عبدالكريم الرفاعي ص٣٦٥

[٣] - محمد بن عبدالله النيسابوري ، المستدرك على الصحيحين (مستدرك الحاكم) ، كتاب البيوع ، ج٢ص٣٠

وهذا القول قال به ابن جرير الطبري وجماعة من الكرّامية وابن عقيل وابن الزغواني "[1]،والقاضي أبو الحسين وإمام الحرمين الجويني والفخر الرازي. وهو قول أكثر الأشعرية" [2].

فهؤلاء جميعهم ذهبوا إلى أن السؤال والعذاب والنعيم يكون على الجسد وحده دون اتصال الروح وبذلك يقول الإمام أحمد "أرواح الكفار في النار وأرواح المؤمنين في الجنة والأبدان في الدنيا يعذب الله من يشاء ويرحم من يشاء ولا نقول إنهما يفنيان بل هما على علم الله –تعالى – باقيان ، قال أبو يعلى بعد كلام الإمام أحمد : وظاهر هذا الكلام أن الأرواح تعذب وتنعم على الإنفراد وكذلك الأبدان إن كانت باقية أو إلى الأجزاء التي استحالت "[3].

واستدل هؤلاء بأدله كثيرة منها : ما أشار إليه القرآن الكريم على سجود الجمادات وعلى تسبيحها لله –تعالى – وخشوعها له، فدل على أن فيها حياة تحييها وإدراكاً فلا يمنع مثل هذا في جسد ابن آدم بعد فراقه الروح له "[4].

فهذا دليل عقلي استنباطي استدل به أصحابه من القرآن الكريم في ذكر تسبيح الجمادات وهي لا تتحرك وليس فيها حياة أصلاً على قولهم بأن العذاب والنعيم يقع على الجسد فقط. والرد على هذا الدليل في أن الله – سبحانه وتعالى – قادر على ذلك ولكن قد ورد النص بعودة الروح إلى البدن بعد الموت والدليل قوله – صلى الله عليه وسلم – في الحديث الذي يرويه البراء بن عازب "...ثم تعاد به الروح فيضربه ضربةً أخرى" [5].

– وكذلك استدلوا بما ورد عن عمر بن الخطاب– رضي الله عنه عندما قال للنبي – صلى الله عليه وسلم – يوم كلم أهل القليب: كيف تكلم أجساداً لا روح فيها ؟ فلم ينكر النبي –صلى الله عليه وسلم – ذلك وإنما قال: " ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ".... فدل على أن سماعهم حصل لأجساد لا أرواح فيها " [6].

الرد عليهم: حيث إن هذا الدليل قائم ضدهم، فإن الروح ترجع إلى الجسد ليسمع كلام من يكلمها . ولا يمكن أن يكون هناك سماع دون اتصال الروحفلا يكون الانسان إنساناً إلا بمكوينيه الاثنينالروح والجسد ليست جزاً منه.

–<u>القول الثاني :–</u> لمن قال بوقوع السؤال والعذاب والنعيم على الأرواح دون الأجساد .

[1] – ابن الزغواني : هو علي بن عبدالله بن نصر الزغواني أبو الحسن البغدادي توفي ٥٢٧هـ انظرالمقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، لبرهان الدين ابراهيم بن مفلح ،ج ٢، ص٢٣٢ ،تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين

[2] – ابن القيم الجوزية، الروح ،تحقيق يوسف علي بديوي ص٢٨٦ ،دار ابن كثير بيروت لبنان ط٤ ١٤٠٦هـ

[3] – القاضي محمد بن أبي يعلى ،طبقات الحنابلة ،ج ١،ص١٨١ ،دار المعرفة بيروت

[4] – الحافظ بن رجب الحنبلي، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، ص٨١ ،تحقيق محمد زغلول ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ م

[5] – البيهقي، إثبات عذاب القبر ، رقم الحديث ٢٨ ،ص٣٥–٣٩، مرجع سابق

[6] – أنظر: الشريف الحازمي، كتاب دراسات عقدية في الحياة البرزخية، ص ٣٤١ –٣٤٢ بتصرّف مرجع سابق .

وقد قال بذلك ابن حزم وابن هبيرة وابن عقيل وابن الجوزي" [1].

هذا وقد استدل هؤلاء على قولهم هذا بأدلة كثيرة منها:

– قالوا إن الميت قد يشاهد في قبره ولا أثر عليه من تعذيب ولا تنعيم ولا مجال للجلوس للسؤال والإجابة في القبر وكذلك أيضاً غير المقبور كالغريق والمصلوب على سبيل المثال.

لقد امتدح الله تعالى عباده المؤمنين بأنهم يؤمنون بالغيب وقد ثم ان النائم فإنه يرى في منامه أنه يعذب أو ينعم ولا يشعر به أحد ممن حوله،فمن باب اولى ما يكون في القبر الذي هو من منازل الآخرة .

–واستدلوا أيضاً بقولهم: إنه لو كان السؤال والعذاب والنعيم على الروح والجسد معاً للزم الإنسان أن يموت ثلاث مرات ويحيى ثلاث مرات والقرآن الكريم دل على أنهما موتتان وحياتان ، ويرد ابن رجب على هذا القول : بقوله" بأن الاستدلال بهذا الدليل ضعيف جداً فإن حياة الروح ليست حياة تامة مستقلة كحياة الدنيا ، وكالحياة بعد البعث وإنما فيها نوع من اتصال الروح في البدن بحيث يحصل بذلك شعور البدن وإحساس بالنعيم والعذاب وغيرهما ، فليس هي حياة تامة حيث يكون انفصال الروح به موتاً تاماً ، وإنما هو شبيه بانفصال روح النائم عنه، ورجوعه إليه فإن ذلك يسمى موتاً وحياةً كما كان الرسول– صلى الله عليه وسلم – يقول: الحمد الله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور وقد سماه الله – سبحانه– و فاة .

لقوله تعالى :﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [2].

نعم لأن الانسان في قبره يحيا حياة متوسطة بها نعيم السؤال ، ويتم الجواب الموفق لما كان عليه حاله في قبل قبضه .

لذلك فإن استدلاهم هذا لا يرقى أن يحتج به على نفي وقوع العذاب والنعيم على الأرواح دون الأجساد لورود النصوص من القرآن الكريم والسنة الشريفة ضده. فيحكم ببطلان هذا القول وما يستدل عليه من أدلة.

–القول الثالث :– التوقف وعدم الخوض .

[1] – الإمام البخاري، صحيح البخاري في فتح الباري ،ج٣ ص٢٧٧ ،كتاب الجنائز ،باب ما جاء في عذاب القبر.

[2] – ابن رجب الحنبلي، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، ص٧٩–٨٠ تحقيق محمد زغلول ،دار الكتب العلمية ط١، ١٩٨٥ م .سورة الزمر الآية ٤٢

و أصحاب هذا الرأي يثبتون العذاب و النعيم ولكن لم يتفقوا على ما يقع عليه هل على الروح والجسد معاً ،أم على الروح دون الجسد ،أم على الجسد دون الروح، وقد قال بذلك الإمام أبو حنيفه النعمان ([1])وقال بذلك أيضاً محمد بن سليمان الكافيجي الحنفي في كتابه منازل الأرواح ما نصه "إن الظاهر أن العذاب بالدليل مطلقاً سواء أكان الروح وحده أو عليه مع جميع البدن أو مع بعضه ، وقيل على الروح وحده ، وقيل على المجموع وقيل على الروح مع بعض جزء من البدن والله تعالى أعلم بحقيقة الحال"([2]).

فأصحاب هذا القول اختاروا التوقف وعدم الخوض في تفاصيل العذاب والنعيم مع إيمانهم المجمل بوقوع العذاب والنعيم على الميت في قبره بناء ً على ما ورد من أدله تدعم ذلك .

-القول الرابع :- لمن قال بوقوعه على الروح والجسد معاً .

وهو قول الجمهور كما يشير إلى ذلك الشريف الحازمي في كتابه ثم يقول إن هذا هو القول الصحيح وقد دلت عليه الأحاديث الصحيحة ، فالدور ثلاثة : دار الدنيا ودار البرزخ ودار الآخرة :

فأما دار الدنيا فالعذاب والنعيم على الجسد والروح يتبع له.

وأما دار البرزخ فالعذاب والنعيم على الروح و الجسد يتبع له .

أما دار الآخرة فالعذاب والنعيم على الروح والجسد معاً .

وقد استدل أصحاب هذا القول على قولهم بأدلة منها:

- حديث المنهال بن عمرو عن زادان عن البراء بن العازب الذي جاء في حق المؤمن عندما تصعد الملائكة بروحه إلى السماء ثم يقال "ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارةً أخرى ،قال : فيرد إلى الأرض فتعاد روحه إلى جسده كما قال في حق الكافر : ردوه إلى الأرض فإني وعدتهم أني منها خلقتهم وفيها نعيدهم ومنها نخرجهم تارة أخرى، قال : فيردوا من السماء ، فتلا هذه الآية: ﴿ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾([3]).

---

[1] – أنظر: للعلامة نعمان الألوسي، كتاب الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات ،تحقيق الألباني ، ص٨٦

[2] – أنظر: الشريف الحازمي ،دراسات عقدية ص٤٥بتصرف ،مرجع سابق

[3] – سورة الحج الآية ٣١

قال فيعاد إلى الأرض وتعاد فيه روحه ثم قال– صلى الله عليه وسلم– فيقيض له أصم أبكم معه مرزبة لو ضرب بها جبل صار تراباً – أوقال– :رميماً ،فيضربه ضربة تسمعها الخلائق إلا الثقلين ثم تعاد فيه الروح فيضربه ضربةً أخرى[1].

فهذا حديث صحيح كما قال عنه البيهقي وهوصريح بعودة الروح إلى الجسد عند السؤال ، فدل على أن السؤال ونتيجته من نعيم أو عذاب والنعيم والسؤال على الروح والجسد جمعياً .

فهذه الآراء المختلفة التي تناولناها في موضوع وقوع العذاب والنعيم والسؤال في البرزخ . وكل رأي كان يقدم صاحبه له دليل يؤيده ويؤكده ويوجه هذا الدليل بحسب رأيه واعتقاده ويكتفي به،ثم يأتي غيره فينقضه بدليل أقوى منه . وهذا اجتهاد والاجتهاد يحتمل الخطأ والصواب ولأن ما يجري في البرزخ دليله السمع وهو غيب .

وفي ضوء ما سبق أرجح القول الرابع الذي يقول : إنوقوع العذاب والنعيم على الجسد والروح معاً وهذا بناءً على الأدله السابقة، والله تعالى أعلىو أعلم.

---

[1] – البيهقي،سنن البيهقي، إثبات عذاب القبر، رقم الحديث ٢٨، ص٣٢–٣٩باب إخبار المصطفى أن المؤمن والكافر جميعاً .

المبحث الثاني : الجزاء الأخروي .

المطلب الأول : مفهوم الجزاء الأخروي .

المطلب الثاني : آراء المتكلمين في بعض مسائل الجزاء الأخروي :

المطلب الأول : مفهوم الجزاء الأخروي .

إن مما يميز الشريعة الإسلامية عن غيرها بأنها أكثر الشرائع تفصيلاً لموضوع الجزاء حيث نجد ذلك في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،و لكونها آخر الشرائع السماوية ، وأقربها إلى الساعة كما يقول في ذلك ابن أبي العز الحنفي : "محمد- صلى الله عليه وسلم- لما كان خاتم الأنبياء وكان قد بعث هو والساعة كهاتين وكان هو الحاشر المقفي فقد بين تفصيل الآخرة بياناً لا يوجد في شيء من كتب الأنبياء؟" [1].

فقال عليه السلام :(بعثت أنا والساعة كهاتين) رواه الشيخان وأحمد عن أنس ،وسنة هذه الشريعة في ذكر الجزاء أن يشفع الوعد بالوعيدتحقيقا ً لحكمة التربية بالترغيب والترهيب وتربية للوعد بذكر ما نجا منه أهله من العقاب ، وللوعيد بذكر ما فات أهله من الثواب ،وقد يغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ومقتضيات الأحوال، كتغليب الخوف في مواطن الاغترار وتغليب الرجاء في مظان القنوط ،وذلك كله توضيحاً لما ورد في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا ﴿٢٩﴾ ﴾ [2]

ويقول تعالى أيضاً في موضع آخر:﴿ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ [3].

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التي توضح بشكلمفصّل لا لبس فيه كيفية جزاء المؤمن وما يكون فيه وكيفية جزاء الكافر وما يكون فيه." [4].

---

[1] - ابن أبي العز ،شر ح الطحاوية ، ص ٣٩٦ مرجع سابق

[2] - سورة الفتح ألآية ٢٩

[3] - سورة الروم ألآيات ١٤-١٦

[4] - القرطبي،تفسير ، ج١ ص١٣٩،مرجع سابق .

أما تعريف الجزاء الأخروي فلم يكن خارجاً عن الدلالة اللغوية السابقة التي ذكرناها في معنى الجزاء في بداية البحث في الفصل الاول.

فقد ورد الجزاء في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة بالمعاني الآتية :

أ) – ورد الجزاء في القرآن الكريم بمعنى المكافأة قال تعالى :﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ ﴾ [1]

فالجزاء هنا بمعنى المكافأة قال الحافظ ابن كثير . " أي ليس بذله ماله في مكافأة من أسدى إليه معروفاً فهو يعطى في مقابلة ذلك .."[2]

وقد ورد لفظ الجزاء في السنة النبوية بمعنى المكافأة أيضاً ، فقال :صلى الله عليه وسلم " للمرأة التي أرادت ذبح ناقة لها بعد أنزفّت عليها من المشركين (بئس ما جزيتها) "[3] أي كافأتيها .

المكافأة مقابلة الحسن بالحسن والسيئ بالسيئ ووردت آيات قرآنية كثيرة وأحاديث نبوية تدل على هذا المعنى . بل هذا المعنى (المكافأة) وهو المعنى الذي دار حوله مفهوم الجزاء في اكثر آيات القرآن الكريم .

وقد تكون هذه المكافأة بمعنى الثواب على الخير أو العقاب على فعل المنكرات والفواحش .

وقال الله تعالى:﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ﴾ [4]

وورد الجزاء بمعنى العقوبة في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ [5]

وكذلك قوله تعالى :﴿ جَزَآءًۢ بِمَا كَسَبَا نَكَٰلًا مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [6]

---

[1] – سورة الليل الآيتان ١٩ – ٢٠ .

[2] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٤ ،ص ٥٥٦ ، دار المعرفة بيروت .

[3] – سنن أبي داود ، من حديث عمران بن حصين كتاب النذور ، باب النذر فيما لا يملك ج٣ ص ٢٣٩ والحديث برقم ٣٣١٦

[4] – سورة النجم الآية ٣١ .

[5] – سورة المائدة الآية ٣٣ .

[6] – سورة المائدة الآية ٣٨ .

قال ابن كثير " أي مجازاة على صنيعها السيئ في أخذهما أموال الناس بأيديهم "([1])

ب) — وقد ورد كذلك الجزاء في القرآن الكريم والسنة النبوية بمعنى الكفاية ، قال الله تعالى :﴿ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾ ﴾ (طه الاية ٧٦) ([2]) أي كفاية من طهر نفسه من دنس الشرك ([3]) ولقد ورد لفظ الجزاء في السنة النبوية بمعنى الكفاية فعن الحسين بن علي –رضى الله عنهما– أن رسول الله– صلى الله عليه وسلم– قال . " يجزي عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ،ويجزئ عن الجلوس أن يردّ أحدهم " ([4])

أى يكفي ويغني

ج)– ورد الجزاء بمعنى القضاء قال الله تعالى :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ ([5])

فمراد قوله تعالى (لا تجز ي نفس) أى لا تقضي ولا تؤدي."([6]) .

وفي السنة النبوية ورد هذا المعنى قال– صلى الله عليه وسلم– لأبى برزة بن نيار– رضى الله عنه حين أراد ان يضحّ ي بالجذعة فقال " إذبحها ولن تجزئ عن أحد بعدك "([7])

والمعنى تقضى عنك ولا تقضي عن أحد بعدك " ([8])

وقد عرّف د.محمد الشافعي الجزاء الأخروي والدنيوي اصطلاحاً : فقال " هو كل ما يناله الانسان المكلف المسؤول من الله عز وجل من مكافأة مقابل عمله الاختياري من ثو اب على عمله الحسن في الدنيا والآخرة ومن عقاب على عمله السيء في الدنيا والآخرة " ([9]).

[1] – ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ج٢ ،ص ٥٦ ،بيروت .
[2] – الأصفهاني، مفردات القرآن ،ص ١٠٠ ، المكتبة التوفيقية .
[3] – اسعد حومد ، ايسر التفاسير ، تفسير الآية ،ج١، ٢٤١٣
[4] – سنن أبو داود ،كتاب الأدب، باب ما جاء في رد الواحد على الجماعة، والحديث برقم ٢١٠ ،وقال شعيب الأرناؤوط في جامع الأصول ، ج ٦ ،ص ٥٩٨ (إسناده حسن).
[5] – سورة البقرة الآية ٤٨ .
[6] – أنظر، محمد حسن الجمصي ،تفسير وبيان مفردات القرآن ص٧ .
[7] – البخاري ،كتاب الأضاحي ،باب سنة الأضحية .
[8] – ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث، ج١ ،ص ٢٧٠
[9] – الشافعي ،محمد ابراهيم، المسؤلية والجزاء في بيان القرآن الكريم ، مطبعة السر المحمدية ،ط١ ،١٩٨٢م .

وبعد إيراد معنى الجزاء في التشريع الإسلامي (القرآن والسنة) وأقوال العلماء والمفسرين . يتضح لنا أن هذه المعاني تلتقي مع الدلالات اللغوية لمعنى كلمة الجزاء ،والذي نعني به في هذه الدراسة هو المعنى الأول من هذه الدلالات اللغوية والشرعية وهو معنى المكافأة والمثوبة على فعل الشيءإن خيراً فخير وان شراً فشر .

ومن خلال ماسبق نستطيع أن نجمل تعريف الجزاء في التعريف الآتي :

((بأنه مكافأة ومثوبة العبد من الله أو الناس على عمل الخير ومعاقبته على فعل الشر ، ويكون الجزاء في الدنيا من الله أو الناس ، وفي الآخرة من الله وحده)) .

و هذا التعريف يتكون من عدة عناصر وهي:

أ- إن هذا التعريف يشتمل على الثواب (المكافأة) والعقاب ولا يقتصر على العقاب فقط .

ب- إن هذه المكافأة بنوعيها قد تكون في الدنيا من الله - تعالى - أومن أحد من الناس ممن خولهم الله - تعالى - إقامة شرعه وحدوده .

ج- إن الجزاء من الله في الدنيا قد يكون بواحد من عدة أشياء . مثل تأنيب الضمير والشعور بالفرح أو الإساءة وكذلك ما يصيب الإنسان من مصائب أو ينزل به من نوازل وإبتلاءات . وكذلك أيضاً ما يظهره الله تعالى من مدح وذم على السنة الخلق.

د- إن الجزاء في الإسلام عام وشامل ، دنيوي وأخروي ،والأخروي إنما يكون المجاز ي فيه و المحاسب هو الله -تعالى- وحده .وهذا تعريف عام للجزاء في الإسلام ،و موضوع بحثنا هو الجزاء الذي يكون في الآخرة كما نوضح ذلك لاحقاً .

المطلب الثاني : آراء المتكلمين في بعض مسائل الجزاء الأخروي :

أولاً : القول في وجود الجزاء الأخروي.

ثانياً : القول في خلود الجزاء الأخروي أو فنائه.

ثالثاً : القول في الحساب والميزان.

تمهيد :

أن الحياة الدنيا هي دار تكليف وعمل وأن الدار الآخرة هي دار حساب وجزاء، والجزاء هو المتمثل بأمرين اثنين لا ثالث لهما إما جنة أو نار، خير أو شر ، و لا بد من بيان الآراء في حقيقة الجنة وحقيقة النار عند العلماء والمفكرين والفرق الإسلامية إذ إن لكل واحد منهما رأياً بناء على أدلة يقدمها ويعتمد عليها .

فالفلاسفة : ينظرون إلى الجنة والنار من الناحية المعنوية فقط ، فإذا ما انفصلت في نظرهم النفس عن البدن بالموت فكانت له (البدن) صفة الفناء وكانت لها (النفس) صفة البقاء لذا فإن النعيم والعذاب ، حسب اعتقادهم لن ينصب على النفس ولا مكان للبدن أساساً في نظرهم لكي يقع عليه العذاب أو النعيم .

وعلى هذا فيؤكد الفارابي أن النفوس الضالة تلقى ما تلاقاه النفوس الجاهلة، وأما النفوس الخيرة العارفة فهي وحدها التي تبقى وتدخل العالم العقلي وكلما زادت درجتها في المعرفة في هذه الحياة علا مقامها بعد الموت بين النفوس وزاد حظها من السعادة الروحية ".[1]

كما يذهب ابن سينا إلى أن ما جاء في الشرع من لذات حسية أو آلآم حسية في الجنة أو النار إنما هو على سبيل التذكرة والتقريب لأذهان العامة وذلك النعيم الروحاني أو العذاب الروحاني بأمثلة محسوسة يفهمونها ويدركونها وما ذلك إلا لقصور الأفهام عن درك هذه اللذات العقلية ومن ثم فقد قرب الشارع للبشر ما يفهمونه إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل ".[2]

فنرى أن ابن سينا يذهب إلى أن النعيم والعذاب ،ومن ثم طبيعة كل من الجنة والنار روحانيان ، وما جاء به الشرع فليس إلا وسيلة تفهيم للإنسان وذلك بأمثلة مما شاهده الناس في هذه الحياة ".[3]

وقد أورد الإمام الغزالي الأدلة على أن ابن سينا كان يفضل اللذات العقلية على اللذات الجسمانية في كتابه تهافت الفلاسفة ، وكما يقول ابن رشد في كتابه الكشف عن مناهج الأدلة : "ولما كان الوحي قد أنذر في الشرائع كلها بأن

---

[1] – دي بور، تاريخ الفلسفة في الإسلام ، ص١٧٣ ، ترجمة وتعليق د. محمد عبدالهادي أبو ريدة ،ط٣ ،لجنة التاليف والنشر ١٩٥٤م مرجع سابق .

[2] – الغزالي، تهافت الفلاسفة ، ص ٢٧٣ ،تحقيق سليمان دنيا ،ط٢ ،دار المعارف بمصر القاهرة ١٩٥٥م .

[3] – ابن سينا ، الشفاء ،فصل ٧،المقالة التاسعة٤٢٣، تحقيق محمد يوسف موسى وآخرون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٦٠م

النفس باقية وقامت على البراهين عند العلماء على ذلك وكانت النفوس يلحقها عند الموت أن تتعرى من الشهوات الجسمانية فإن كانت زكية تضاعف زكاؤها بتعريها من الشهوات الجسمانية .

وإن كانت خبيثة زادها المفارقه خبثاً ، لإنها تتأذى بالرذائل التي اكتسبت وتشتد حسرتها على ما فاتها من التزكية عند مفارقتها البدن لأنها ليس يمكنها الاكتساب إلا مع هذا البدن" .[1]

فهذا يؤكد ما ذكره ابن سينا سابقاً ، إذ إن تصور الفلاسفة عن الجنة ونعيمها والنار وعذابها هو تصور معنوي بحت لا حسي كما تقدم، وقد قمنا بتفصيله بدقة في الباب الثاني .

أما المعتزلة : فإنهم ينظرون إلى أن الجنة والنار وما فيهما على أنه معنوي وحسي ، ويتضح ذلك من خلال الأقوال التي وصلتنا عنهم حيث أورد القاضي عبد الجبار المعتزلي فصل في كتابه شرح الأصول الخمسة عنونه بـ تخليد الفاسق بالنار،" وقال إن الفاسق يخلد في النار ويعذب فيها أبدا الآبدين ودهر الداهرين وعطف عليه الكلام في أنه يستحق العقاب على طريق الدوام وكان الترتيب الصحيح في ذلك هو أن يذكر أولاً أن الفاسق يستحق العقوبة على طريقة الدوام ثم يرتب على ذلك الكلام في أنه يعذب بالنار أبداً ."([2])

كما يورد الإمام الأشعري في المقالات: " إن المعتزلة ذهبت إلى تخليد الفساق في النار وأن من دخل النار لا يخرج منها ، ويقول أبو الهذيل:بإنقطاع حركات أهل الجنة وأنهم يسكنون سكوناً دائماً .كما تذهب المعتزلة إلى أن الجنة والنار غير مخلوقتين".[3]

والواقع أن مواقف المعتزلة متفاوتة بخصوص هذه المسالة إلا أنها كلها تنطوي تحت الرأي المعتزلي العام المتمثل في أصولهم الخمسة : العدل ، والتوحيد ، والوعد والوعيد ، والمنزلة بين المنزلتين ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وحيث إنهم لا يذهبون في تأويل الأوصاف الحسية للجنة والنار إلى أمور رمزية كما ذهب إلى ذلك الفلاسفة ، بل يأخذونها بالواقع المحسوس ، وكذلك فإن المعتزلة ينكرون الإفراط في الحسية على النحو الذي نجده لدى غيرهم.

أي أن عندهم نعيم وعذاب معنوي دون إفراط كالفلاسفة وكذلك لديهم تصوّر عن العذاب والنعيم الحسي من نوع آخر كما مر سابقاً . فنستطيع أن نقول عنه نهإتصوّر وسط بين أقرانهم.

---

[1] – ابن رشد ،الكشف عن مناهج الأدلة ، ص١٥١،ضمن كتاب فلسفة ابن رشد ،ط٢،مكتبة المحمودية التجارية

[2] –القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة، ص٦٦٦، تحقيق د.عبدالكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، ١٩٩٦م

[3] – الأشعري ، مقالات الإسلاميين وإختلاف فرق المصلين ، ج٢،ص١٤٨-١٤٩ تحقيق محيي الدين ،ط١

ففي يوم القيامة يحشر العباد ، إما إلى الجنة وإما إلى النار ، وهما المقر الأخير الذي يصير إليه الخلق جميعاً .

وقد أخبرنا الرسول– صلى الله عليه وسلم –أنه يطلب من كل أمة في ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده ، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس والذي كان يعبد القمر يتبع القمر ، وهكذا ثم بعد ذلك فإن الآلهة الباطلة تتهاوى في النارثم يتهاوى عبّادها من بعدها في السعير بعد مرورهم على الصراط ، قال –تعالى : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾ ﴾ [1].

ولا يبقى بعد ذلك من البشر إلا المؤمنين وبقايا أهل الكتاب وممن يبقى المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا وما يدل على ذلك قوله– صلى الله عليه وسلم– في الحديث الشريف الذي يرويه أبو سعيد الخدري "إذا كان يوم القيامة أذّن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبقإلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبّر أهل الكتاب"[2].

وغُبر : جمع غابر و تعني بقاياهم .

لذا فإن ما ينتظرالناس قبل دخولهم الجنة أو النار هو مسيرهم على الصراط الذي سوف أتنأوله لاحقاً في التفصيل.

---

[1] – سورة هود الآية ٩٨

[2] – الإمام مسلم ، صحيح مسلم ، ج١ ،باب معرفة طريق الرؤية ، ص ١٦٧ رقم ١٨٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٢،دار إحياء التراث ،بيروت

أولاً : القول في وجود الجزاء الأخروي.

أ-القائلون بأن الله خلق الجزاء الأخروي .

يقول -تعالى- في كتابه العزيز:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[1] هذا في ذكر وجود الجنة .

أما في ذكر النار فيقول تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾[2].

وقد وردت كلمة (أعدت) في الآيتين عند ذكر الجنة والنار ،والإعداد في اللغة لأي شيء يعني الترتيب مسبقاً والفراغ من هذا الترتيب .

ومن الفرق الكلامية التي قالت بوجودها :

١- الشيعة:

لقد أثبت الشيعة كما أثبت غيرهم وجود الجنة والنار الآن وإذا عارض اعتقادهمأيّ نص من نصوص القرآن أو السنة النبوية الشريفة قاموا بتأويله بما يتناسب واعتقادهم فقالوا"والسمع دل على ان الجنة والنار مخلوقتان الآن والمعارضات متأولة" [3]

ومن الآيات الكريمة التي استدلوا بها على وجود الجزاء الأخروي ، قوله تعالى: "اعدت للمتقين"[4]

وقوله تعالى: اعُدّ ت للكافرين"[5]

٢- أهل السنة :

---

[1] - سورة آل عمران الآية ١٣٣

[2] - سورة البقرة الآية ٢٤

[3] - ابن المطهر الحلي، كشف المراد في تجريد الاعتقاد، ص٣٣٨ مرجع سابق

[4] - سورة آل عمران الآية ١٣٣

[5] - سورة البقره الآية ٣٥

حيث يؤمن أهل السنة جميعاً أن الجزاء الأخروي (الجنة والنار) موجود الآن، ويؤكد ذلك الإمام السفاريني بقوله "و أجزم بأن النار كالجنة في...وجودها و أنها لم تتلف" ،ويقول و أجزم جزم إيقاف وعرفان وتصديق و إذعان بأن النار وما فيها من أنواع العذاب والهوان والبوار والزبانية. والأغلال والعقارب كالبغال ونحوها موجود الآن ومن قبل الآن كما أن الجنة وما فيها من الولدان والحوار والنعيم والحور والحلل والتيجان والفواكه والدور والفرش والقصور وجميع ما أشتملت عليه من أنواع الملاذ والسرور موجود الآن وقبل الآن فالنار (في وجودها) الآن كالجنة فهما موجودتان ، قال الإمام المحقق في كتابه حادي الأرواح لم يزل أصحاب الرسول -صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم -والتابعون وتابعوهم و أهل السنة والحديث قاطبةوفقهاء الإسلام و أهل التصوف والزهد على اعتقادذلك و إثباته ، مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة ، وما علمبالضرور ة من أخبار الرسل كلهم ومن أولهم إلى اخرهم فانهم دعوا الأمم إليها و أخبرو بها ... ثم يقول ... إلى ان نبغث نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون الجنة كالنار الآن مخلوقة ، وقالوا :- بل الله ينشئها يوم المعاد."[1]

لذا نجدهم يؤمنو ن جميعً باتفاق بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن ،و أنهما لا تبيدان ولا تفنيان كما يؤكد ذلك شارح الطحاوية :"والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان أبدا ولا تبيدان، فإن الله – تعالى- خلق الجنة والنار قبل الخلق وخلق لهماأهْلاً ـفن شاء منهم إلى الجنة فضلاً منه ومن شاء منهم إلى النار عدلاً منه وكل يعمل لما فر غ ، له وصائر إلى ما خلق له ، والخير والشر مقدران على العباد" [2].

و يقول الإمام ابن القيم "لم يزل أصحاب رسول الله- صلى الله عليه وسلم- والتابعو ن ومن تبعهم وكذلك أهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما عُلم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم فإنهم دعوا الأمم اليها وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن ، وقالت بل الله سبحانه ينشئها يوم القيامة وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة الله -تعالى-فيما يفعله" [3].

و يثبت الأشاعرةأيضاً أن الجنة والنار مخلوقتان الآن، وفي هذا يقول الإمام الجويني :"لا استحالة في تقديم خلق الجنة والنار على يوم الجزاء" [4]

---

[1] – شمس الدين السفاريني الحنبلي ، لوامع الانوار ، ص ٢٣٠ – ٢٣١ ، ج٢ ، مرجع سابق.

[2] – ابن أبي العز الحنفي ،شرح العقيدة الطحاوية ، ص٢٢٠ ج٢ تحقيق عبد المحسن التركي وشعيب الارنؤوط ، مؤسسة الرسالة بيروت.

[3] – ابن القيم ،حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح ،ص١٤ ،مكتبة النهضة مصر .

[4] – عبد الملك الجويني ،العقيده النظامية في الأركان الإسلامية ، ص٧٩، تحقيق محمد زاهد الكوثري، المكتبة الازهرية ١٩٩٢م

وكما يذكر ذلك ويؤكده الإمام الإيجي بقوله: " وذهب أصحابنا وأبو علي الجبائي وأبو الحسين البصري إلى أنهما مخلوقتان الآن ثم يقول و أنكره أكثر المعتزلة في أنهما يخلقان يوم الجزاء ثم يقول "ولنا وجهان أي دليلان على خلقهما الآن :

الأول : قصة آدم وحواء و إسكانهما الجنة و إخراجهما منها بالزلة على ما نطق به الكتاب، و إذا كانت الجنة مخلوقة فكذا النار إذا لا قائل بالفصل .

الثاني : قوله – تعالى– في صفتهما :"اعدت للمتقين"و"اعدت للكلفرين" بلفظ الماضي وهو صريح في وجودهما"[1]

فعقيدة الأشاعرة في مسألة وجود الجنة والنار الآن قائمة على أنهما موجودتان الآن للأدلة القاطعة في ذلك.

هذا وبالإضافة إلى الآيات القرآنية التي سبق الإشارة إليها فهناك الكثير من الآيات الأخرى التي تشير إشارة واضحة إلى وجود الجنة والنار والآن يحسن بنا الإشارة إلى بعض منها .

ففي قوله –تعالى :﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ﴾[2].

فهذه الآيات الكريمة تتحدث عن رحلة الإسراء والمعراج التي أكرم الله بها نبيه محمداً – صلى الله عليه وسلم – فيخبرنا من خلالها أن النبي– صلى الله عليه وسلم– قد رأى الجنة ، "جنة المأوى " والرؤية في العين لا تكون إلا لشيء موجود حقيقةً هذا وقد حصل ذلك للنبي محمد– صلى الله عليه وسلم– وكذلك في قوله تعالى :﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ﴾[3].

وكما ورد في الأحاديث النبوية الشريفة ما يثبت هذا ما رواه ابن عمر– رضي الله عنهما– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال : " إذا مات أحدكم عرض عليه مقعده بالغداة والعشي فإن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار "[4].

وعرض الشيء للعيان يدل على وجوده كما دل عليه الحديث الشريف.

---

[1] – عبد الرحمن الإيجي، المواقف في علم الكلام القاضي، ص٣٧٥ ،عالم الكتب بيروت.

[2] – سورة النجم الآيات ١٢–١٣

[3] – سورة الحديد الآية٢١

[4] – الإمام مسلم ، صحيح سلم بشرح النووي ،كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب عرض مقعد الميت ،ج١٧، ص٢٠٠–٢٠١

وكذلك ما ورد في الحديث الذي يرويه أبو هريرة حيث قال : قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– : يقول الله عزوجل: (أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)

ثم قرأ قوله –تعالى:﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾ ﴾[1].

والإعداد كما تقدم هو الفراغ والانتهاء من الإيجاد حيث يكون هذا في الجنة كما يكون في النار ومما يؤكد ذلك أيضاً ما ورد في حديث حادثة الإسراء والمعراج حيث يقول في آخر كلامه "ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة المنتهى فغشيها ألوان ما أدري ما هي ، ثم أدخلت الجنة فإذا فيها حبايل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك" [2].

ويقول شارح المقاصد ." الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافاً لبعض المعتزلة لنا وقصة آدم وحواء والنصوص شاهدة بذلك وحملها على المجاز عدول عن الظاهر بلا دليل"، ثم يقول :" وجمهور المسلمين على أن الجنة والنار مخلوقتان الآن خلافا لأبي هاشم والقاضي عبد الجبار ومن يجري مجراهما من المعتزلة حيث زعموا أنهما إنما يخلقان يوم الجزاء لنا وجهان :

الأول : قصة آدم وحواء وإسكانهما الجنة ثم إخراجهما عنها بأكل الشجرة وكونهما يخصفان عليهما من ورق الجنة على ما نطق به الكتاب والسنة وانعقد عليه الإجماع قبل ظهور المخالفين وحملهما على بستان من بساتين الدنيا يجري مجرى التلاعب بالدين والمراغمة لإجماع المسلمين ثم لا قائل بخلق الجنة دون النار فثبوتها ثبوتها .

الثاني : الآيات الصريحة في ذلك كقوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ﴾ [3]

وكقوله في حق الجنة ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ [4]

وفي حق النار قوله تعالى : ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [1]

---

[1] – سورة السجدة الآية ١٧ * اخرجه مسلم في صحيحه ،شرح النووي، باب الجنة وصفة نعيمها، ج١٧ ص١٦٦.

[2] – عيسى الحلبي، اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، ج١، رقم ١٠٢ ،ص٣٦

[3] – سورة النجم الآيات ١٣–١٥

[4] – سورة آل عمران الآية ١٣٣

يقول وحملها على التعبير من المستقبل بلفظ الماضي مبالغة في تحققه ، خلاف الظاهر فلا يعدل عنه بدون قرينة ". ([2])

كما يؤكد ذلك أيضاً في شرحه للنسفية بقوله :" والجنة والنار مخلوقتان الآن موجودتان تكرير وتأكيد وزعم أكثر المعتزلة أنهما يخلقان يوم الجزاء ،ويقول وقولنا قصة آدم وحواء عليهما السلام وإسكانهما الجنة والآيات الظاهرة في إعدادهما إذ لا ضرورة في العدول عن الظاهر ".([3])

ويقول الإمام الآمدي مبيناً عقيدة الأشاعرة في هذه المسألة :" ان مذهب الأشاعرةو أكثر المتكلمين أن الجنة والنار اللتين هما دار الثواب والعقاب مخلوقتان في وقتنا هذا "([4])

كما يؤكد هذه العقيدة شارح الطحاوية بقوله تحت عنوان : وجوب الإيمان بوجود الجنة والنار .

ويشير إلى هذا الرأي الإمام البغدادي بقوله : " في خلق الجنة والنار وهما عندنا مخلوقتان ." ([5])

وكما يؤكد الإمام الايجي على وجودهما ، بقوله تحت المقصد الرابع : "الجنة والنار هل هما مخلوقتان؟ (ذهب اصحابنا وأبو علي الجبائي) وبشر بن المعتمر (وأبو الحسين البصري إلى انهما مخلوقتان ،و أنكره أكثر المعتزلة (كعباد الضميري وضرار بن عمرو وأبي هاشم وعبد الجبار " وقالوا إنهما يخلقان يوم الجزاء .) "([6])

فمن خلال هذه ألأدلة يتبين لنا قوة هذا الرأي لما فيه من أدلة واضحة وقوية من القرآن الكريم والسنة الشريفة ، وهذا هو مذهب ورأي أهل الحق بناء على ما تقدم من أدلة راجحة.

ب – القائلون بأن الله لم يخلق الجنة والنار.

فالقائلون بهذا هم أكثر المعتزلة حيث إنهم استدلوا بعدة أدلة ، ومن هذه ما ذكره صاحب شرح النسفية وهوكما يلي :

---

[1] – سورة البقرة الآية ٢٤

[2] – سعد الدين التفتازاني ، شرح المقاصد ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شرف،ص١٠٧-١٠٨ بتصرف ،مجلده ،ط٢، عالم الكتب ١٩٩٨ م .

[3] – سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، تعليق عبد السلام شنار ، ص١٣٦ ،دار البيروتي، ط١، ٢٠٠٧م .

[4] – الإمام أبي الحسن الآمدي ، أبكار الافكار في اصول الدين ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ص٢٤٨ ، المجلد ٣، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ٢٠٠٣م .

[5] – عبد القاهر البغدادي ، اصول الدين ،تحقيق احمد شمس الدين ، ص٢٦٢، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢م

[6] – عبدالرحمن الايجي للسيد الجرجاني ، شرح المواقف ، ضبط وتصحيح محمود الدمياطي ، ص٣٢٨ ، المجلد ٤، ج٨ ،ط، ١ ، ،دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م .

أ- قالوا إن الله -تعالى-قد وصف أكل أهل الجنة بأنه دائم وذلك بقوله (أكلها دائم وظلها) فقالوا لو أنها كانت موجودة للزم هلاك أكلها إذ يقول تعالى (كل شي هالك إلا وجهه) وهلاكه يتنافى مع الدوام المذكور في الآية السابقة ، إذن فهي ليست موجودة الآن بحسب رأيهم .

- الرد عليهم في هذا الدليل بأنه لا تعارض بين الآيتين لما يأتي :

١- إن المراد بدوام الأكل عدم إنقطاعه بالكلية بأن يذهب ويخلفه غيره،أما دوام أكل بعينه فلا يعقل إلا لما سمي أكلاً وهذا لا يتنافى في شموله بالهلاك ، إذ أن كل أكل يهلك ولو لحظة .

٢- إن هلاك الشيء لا يستلزم فناءه بل قد يطلق على الشيء إذا خرج عن حد الإنتفاع به أنه هالك لو كان موجوداً كدار خربة مثلاً ،يقال عنها هالكة و لا يقال عنها فانية وقد يكون هلاك أكل أهل الجنة من هذا القبيل .

٣-يمكن أن يراد بالهلاك الإمكان الذاتي أي أن كل شيء قابل للهلاك ولو لم يهلك فعلاً بمنزلة العدم إلا الله تعالى.

ب-استدلوا أيضاً بقوله تعالى :﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [1]

فقد استدلوا بهذه الآية من خلال كلمة (نجعلها) وهو مستقبل ، فيكون المعنى : نجعلها في الآخرة.

- الرد على هذا الدليل .

وحيث أن فعل- نجعل - هو فعل مضارع يحتمل الحال والاستمرار والاستقبال وما دام هذا الاحتمال موجوداً فلا يجوز حمله على المستقبل فقط – كذلك يمكن أن نفسر (الجعل) بمعنى التمليك والتخصيص لا الخلق" [2].

كما أورد صاحب شرح المقاصد ما تمسك به المنكرون لوجودهما من أدلة والردود عليها فقال "وقد تمسك المنكرون بوجوه

.

الأول : إن خلقهما قبل يوم الجزاء عبث لا يليق بحكيم وضعفه ظاهر .

الثاني : إنهما لو خلقتا لهلكتا لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [1] .

---

[1] - سورة القصص الآية ٨٣

[2] - أنظر: الدكتور عبدالملك السعدي، شرح النسفية في العقيدة الإسلامية ، ص١٣٠ -٣٢ بتصر ّف

واللازم باطل للاجماع على دوامهما وللنصوص الشاهدة بدوام أُكل الجنة وظلها . وأجيب بتخصيصها من انه الهلاك جميعا بين الأدلة ويحمل الهلاك على غير الفناء كما مر وبأن الدوام المجمع عليه هو أنه لا انقطاع لبقائهما ولا انتهاء لوجودهما بحيث لا يبقيان على العدم زماناً يعتد به كما في دوام المأكول ، فإنه على التجدد والانقضاء قطعاً وهذا لا ينافي فناء لحظة .

الثالث : إنهما لو وجدتا الآن فإما في هذا العالم أو في عالم آخر وكلاهما باطل ؛

أما الأول فلأنه لا يتصور في أفلاكه لامتناع الخرق والالتيام عليها وحصول العنصريات فيها وهبوط آدم منها ولا في عنصرياته لأنهما لا تسع جنة عرضها كعرض السماء والارض ولأنه لا معنى للتناسخ إلا عود الأرواح إلى الأبدان مع بقائها في عالم العناصر، أما الثاني: فلأنه لا بد في ذلك العالم أيضاً من جهات مختلفة نما تتحد بالمحيط والمركز فيكون كرياً فلا يلاقي هذا العالم إلا بنقطة فيلزم بين العالمين خلاء ،([2]) وقد تبين استحالتة ولأنه يشتمل لا محالة على عناصر لها فيه أحياز طبيعة فيكون العنصر واحد ميزان طبيعياً ويلزم سكون كل عنصر في حيزه الذي في ذلك العالم لكونه طبيعيا له" ([3]).

وقد أشار الإمام البغدادي إلى الفرق التي أنكرت خلقهما بقوله :"وزعمت الضرارية والجهمية وطائفة من القدرية أنهما غير مخلوقتين ، فإن آدم – عليه السلام –إنما كان في جنة من بساتين الدنيا ، وقال الكعبي : يجوز أن تكونا مخلوقتين ويجوز أن لا تكونا مخلوقتين ." ([4])

ومن الذين أنكروا وجودها فرقة الخوارج . ([5])

---

[1] – سورة القصص الآية ٨٨

[2] – الخلاء :هو البعد المفطور عند افلاطون والفضاء الموهوم عند المتكلمين اي الفضاء الذي يثبته الوهم ويدركه من الجسم المحيط بجسم آخر كالفضاء المشغول بالماء أو الهواء في داخل الكوز فهذا الفراغ الموهوم هو الذي من شأنه أن يحصل فيه الجسم .(انظر:شرح المقاصد ،ص١١٠ ،هامش)

[3] – سعد الدين التفتازاني ، شرح المقاصد ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شرف،ص١٠٩– ١١٠ بتصرف ،مجلده ،ط٢، عالم الكتب ١٩٩٨ م .

[4] – عبد القاهر البغدادي ،اصول الدين ،تحقيق احمد شمس الدين ، ص٢٦٢، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢م

[5] – الخوارج والمرجئة والوعيدية ، كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه يسمى خارجيا سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان .

والمرجئة : صنف آخر تكلموا في الإيمان والعمل إلا أنهم وافقوا الخوارج في بعض المسائل التي تتعلق بالإمامة .

والوعيدية : داخلة في الخوارج وهم القائلون بتكفير صاحب الكبيرة وتخليده في النار فذكرنا مذاهبهم في أثناء مذاهب الخوارج

يقول ابن حزم في الفصل "وقد ذهبت طائفة من المعتزلة والخوارج إلى أن الجنة والنار لم يخلقا بعد"

ثم يبين أدلتهم على ما ذهبوا اليه فيقول "وما نعلم لمن قال أنهما لم يخلقا بعد حجة طَلاً اكثر من أن بعضهم قال صح عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه قال وذكر أشياء ومن أعمال البر من عملها غرس له في الجنة كذا وكذا شجرة ، ويقول– تعالى–حاكياً عن امرأة فرعون انها قالت :"قالت رب ابن لي عندك بيتا في الجنة " قالوا لو كانت مخلوقة لم يكن في الدعاء في استئناف البناء والغرس معنى"[1]

ومن خلال كلام ابن حزم يتبين ان الخوارج ينكرون أن الله خلق الجنة والنار ويقولون إن خلقهما لا يكون إلا في الدار الآخر ة يوم القيامة وهو قول باطل للأدلة القاطعةمن القر آن والسنة الواردة بشأن ذلك.

اما رأي الإمام الغزالي في هذه المسألة فبيانه على النحو التالي ، فيقول :"احتلف العلماء في الجنة والنار هل هما مخلوقتان الآن أم لا ؟

ذهب أهل السنة إلى أن الجنة والنار مخلوقتان خلافاً للمعتزلة ، واستدل كل من الفريقين بأدلة كثيرة بعضها نقلي و البعض الآخر عقلي .

وقال ابن بدران: "من زعم أنهما لم يخلقا ، فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول الله–صلى الله عليه وسلم– ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار.

قال الغزالي : إن الجنة النار مخلوقتان واستدل على ذلك بقوله تعالى :﴿ سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢١ ﴾ ([2])

الخوارج واعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفين وأشدهم خروجا عليه ومروقا من الدين : الأشعث بن قيس الكندي ومسعر بن فدكي التميمي وزيد بن حصين الطائي حين قالوا : القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف حتى قال : أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول : كذب الله ورسوله وأنتم تقولون : صدق الله ورسوله ، قالوا : لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا لنفعلن بك مثل ما فعلنا بعثمان فاضطر إلى رد الأشتر بعد أن هزم الجمع وولوا مدبرين وما بقي منهم إلا شرذمة قليلة فيهم حشاشة قوة فامتثل الأشتر أمره (انظرالملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ،ص ،دار المعرفة – بيروت ،١٤٠٤هـ)

[1] – ابن حزم الظاهري، الفصل في الملل والاهواء والنحل، ص ٨١، ج٤ .

[2] – سورة الحديد الآية ٢١

فقوله – تعالى– { أعددت} دليل على أنها مخلوقة فيجب إجراؤه على الظاهر إذ لا استحالة فيه ، و لا يقال لا فائدة من خلقهما قبل يوم الجزاء لأن الله ،تعالى يقول :﴿ لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]

وقد لخص صاحب (مذكرات في التوحيد) مذاهب الفرق في وجودهما وعدمه إلى أربعة :

"١– مذهب الفلاسفة وهو نكار وجودهما مطلقاً .

٢– مذهب الأشاعرة والماتريدية وكثير من المعتزلة إلى وجودهما الآن .

٣– مذهب أكثر المعتزلة ، أنهما غير موجوتان الآن وإنما يوجدان عند الجزاء .

٤– مذهب الجهمية ، أنهما يوجدان فيما بعد ثم يفنيان ويفنى أهلهما . "[2]

هذا وبناء على ما تقدم فإنه ظهر لدينا رأيان في هذه المسألة أحدهما يقول : بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن واكثر ما يعتقد به الأشاعرة ومن يأخذ برأيهم كما تبين لنا من الآراء والنصوص التي سقناها .

والرأي الآخر يقول : إن الجنة والنار تخلقان يوم القيامة ،و أن الجنة التي دخلها آدم كما مر هي جنة في الدنيا. والرأي الراجح في ذلك ، والله –تعالى –أعلم هو الرأي الأول القائل : بوجود الجنة والنار الآن ، بخلاف من قال بغير هذا .

ثانياً : القول في خلود الجزاء الأخروي أوفنائه.

تمهيد:

مما لا شك فيه أن المؤمن بالله –تعالى – واليوم الآخر هو الذي يخاف عقاب الله تعالى ويطمع في جنته ورحمته وقد يدور بخلده هذا السؤال : هل الجنة والنار خالدتان ؟ أم لا ؟

وإجابة على هذا نقسم البحث فيه إلى قسمين ، قسم الكلام فيه عن الجنة والأدلة التي تدل على أبديتها وخلودها وخلود أهلها، فيها والآراء. وآخر الكلام فيه عن النار وأبديتها وأبدية أهلها فيها .

---

[1] –سورة الانبياء الآية ٢٣

[2] – صالح موسى شرف ، مذكرات التوحيد ، ج٣، ص١٠٥ ، ط٥، المطبعة الفاروقية الحديثة ، ١٩٥٠م

القسم الأول :خلود الجنة والنار والأدلة على ذلك والقائلون به .

أ- الجنة والأدلة على خلودها وخلود أهلها فيها .

لقد اتفق كثير من الآراء بالأقوال على خلودها واستدلوا على ما يقولون بآيات كثيرة من القرآن الكريم وآحاديث من السنة الشريفة فمنها قوله تعالى :﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [1].

وقوله تعالى :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [2].

وقوله أيضاً :﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3].

والآيات الدالة على أبدية الجنة وخلودها كثيرة وقد ورد فيها لفظ الخلود الدال على الأبدية ، دلالة صريحة ، والخلود يعني دوام البقاء كما يقول الرازي و يؤكد ذلك أيضاً الآيات الدالة على الخلود التي ورد فيها عبارة عطاء غير مجذوذ ، أي غير منقطع كما في قوله -تعالى ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾ ﴾[4].

وقد ورد في الأحاديث الشريفة ما يؤكد ويؤيد ما جاء في القرآن الكريم منها الحديث الذي يرويه أبو سعيد- رضي الله عنه -حيث يقول : قال- صلى الله عليه وسلم (يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبش أملح زاد أبو كريب) فيوقف بين الجنة والنار و اتفقا في باقي الحديث) فيقال: يا أهل الجنة هل تعرفون هذا فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت، قال: ويقال:يا أهل النار هل تعرفون هذا قال فيشرئبون وينظرون ويقولون: نعم هذا الموت قال :ثم يقال: يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت، قال ثم قرأ رسول الله -صلى الله عليه وسلم -

" وأنذرهم يوم الحسرة اذ قضي الأمر وهم في غفلة وهم لا يؤمنون " وأشار إلى الدنيا)[5].

---

[1] - سورة البينة الآية ٨

[2] - سورة التوبة الآية ٢٢

[3] - سورة النساء الآية ١٢٢

[4] - سورة هود الآية ١٠٨

[5] - الإمام مسلم ،صحيح مسلم بـ شرح النووي، باب جهنم أعاذنا الله منها ،ج١٧، ص١٨٤

وكذلك في الحديث الذي يرويه أبو سعيد الخدري وأبو هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه قال: (ينادي مناد إن لكم أن تصحـ ّوا فلا تسقموا أبداً وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وإن لكم تشبوا فلا تهرموا أبداً وإن لكم أن تنعـ ّموا فلا تيأسوا أبداً . فذلك قوله –تعالى : (ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون)[1].

فهذه بعض الآحاديث التي تؤكد ما ورد في الآيات القرآنية الكريمة ، وهي آحاديث صحيحة مما يؤيد معتقدنا في هذه المسألة .

ويبين الإمام البغدادي الفرق التي اعتقدت بدوام الجنة والنار وعدم فنائها فقال :"أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الامة على دوام بقاء الجنة والنار، وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفرة في النار ثم" بين الـ فرق التي أنكرت دوامهما فقال "وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان . وزعم أبو هذيل أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكوناً دائما لا يقدر الله –تعالى– على شيء من الأفعال ولا يملك لهم حينئذ ضراً و لا نفعاً . كفاه بدعواه فناء مقدورات الله –تعالى– خزيا من تكذيبه إياه في قوله :﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة الرعد الآية ٣٥)[2]

ولبيان آراء الفرق التي قالت بخلود الجنة والنار فقد أفردت رأي كل فرقة بشكل مستقل .

فأهل السنة يعتقدون بخلود الجنة والنار ويقولون به وأنهما عندهم لا يفنيان وقد خالف أهل السنة في اعتقادهم هذا الجهمية والمعتزلة ثم يوضح ذلك شارح الطحاوية بأنهما لا تفنيان أبداً ولا تبيدان وهذا قول الجمهور من السلف والخلف .

وقال" والقولان مذكوران في كثير من كتب التفسير وغيرها فالقائل بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة ، وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان ولا من أئمه المسلمين ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة وكفروه به" .[3]

---

[1] – المرجع السابق ،كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ،ج١٧، ص١٧٥

[2] – عبد القاهر البغدادي ، اصول الدين، تحقيق احمد شمس الدين ، ص٢٦٣، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢م

[3] – ابن أبي العز ، شرح الطحاوية ، ص٢٥٥، ج٢، تحقق التركي وشعيب مرجع سابق .

كما يؤكد على ذلك شارح النسفية بقوله: "الجنة والنار لا تفنيان ولا يفنى أهلهما ،أي دائمتان لا يطرأ عليهما عدم مستمر لقوله تعالى :﴿ خالدين فيها ابدا ﴾ وأما ما قيل من أنهما تهلكان ولو لحظة تحقيقا لقوله تعالى: ﴿ كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ فلا ينافي البقاء بهذا المعنى على انك قد عرفت أنه لا دلالة في الآية على الفناء .

وذهبت الجهمية إلى انهما تفنيان ويفنى أهلهما ،وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والاجماع ليس عليه شبهة فضلاً عن الحجة"([1])

وقد أشار شارح الطحاوية " إلى أن الجنة والنار لا يفنيان هما ولا لأهلهما ولا يبيدان سرمداً تكراراً للتأكيد أي لا يطرأ عليهما عدم مستمر"([2])

كما بين صاحب شرح المواقف هذا الاعتقاد، فقال:" أجمع المسلمون على أن الكفار مخلدون في النار أبداً لا ينقطع عذابهم ."([3])

ب –النار وما ورد من أدلة على خلودها وخلود أهلها فيها، وأبديتها.

فكما تقدم في حديثنا عن الجنة فإنه ورد في شأن النار كما ورد في شأنها.

فمن القرآن الكريم قوله تعالى :﴿ يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَـٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٣٧﴾ ﴾ ([4])

وقوله أيضاً : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ ([5]).

فالله –تعالى –يخبرنا من خلال الآيات الكريمة السابقة أن عذاب النار مقيم وأن أهلها لا يخرجون منها.

---

[1] – سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، تعليق عبد السلام شنار ، ص١٣٦ ،دار البيروتي ط١، ٢٠٠٧م

[2] – ابن أبي العز ، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق عبد السلام شنار،ص١٣٨، دار عبد الهادي ط١، ٢٠٠٥م

[3] – عبدالرحمن الايجي للسيد الجرجاني ، شرح المواقف ، ضبط وتصحيح محمود الدمياطي ، ص٣٣٥ ، المجلد ٤، ج٨ ،ط، ١ ، ،دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م

[4] – سورة المائدة الآية ٣٧

[5] – سورة التوبة الآية ٦٨

وفي موضع آخر ينفي الله سبحانه و-تعالى -ما هو أقل من الزوال والفناء للنار، وهو تخفيف من العذاب الواقع على الكفار، وذلك في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾ [1].

وفي موضع آخر أيضاً فقد جاء رد من الله -تعالى -على اليهود الذين زعموا أن النار لا تمسهم إلا أيام معدودات تعالى: ﴿ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ ﴾[2].

وقال أيضاً :﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾[3].

والآيات الدالة على هذا الموضوع كثيرة لا مجال لحصرها، وإنما ما أوردته فهو للإستشهاد.

تعقيب :

من معاني الخلد والخلود كما يقول الأصفهاني في غريب القرآن :-

خـَلـَدَ : الخلود هو تبري الشيء عن اعتراض الفساد، وبقاؤها على الحالة التي هو عليها ، وكل ما يتباطأ عنه التغيير والفساد تصفه العرب بالخلود.

ثم يستطرد تحت لفظ المخلّد ،والخلود في الجنّة بقاء الأشياء على الحالة التي عليها من غير استعراض الفساد عليها قال – تعالى {أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون}[4].

وكذلك عند البحث في كلمة "بدأً " كما يقول الراغب نجد :

– أبد : قال تعالى :(خالدين فيها أبدا)

والأبد هو عبارة عن مدة الزمان الممتد الذي لا يتجزأ كما تجزأ الزمان، وذلك أنه يقال زمان كذا ولا يقال أبد كذا وكان حقه أن لا يثنى ولا يجمع إذ لا يتصور حصول أبد آخر يضم إليه فيثنى به " [5].

فمن خلال ما تقدم فإن الخلد والأبد كلمتان مؤكدتان لبقاء الجنة والنار وهذا ما عليه جمهور أهل الحق .

ويؤكد ذلك البيجوري في شرح الجوهرة.

---

[1] – سورة الزخرف الآيات ٧٤ –٧٥

[2] – سورة البقرة الآية ٨١

[3] – سورة البقرة الآية ١٦٧

[4] – أبي قاسم المعروف بالراغب الأصفهاني ،المفردات في غريب القرآن ، تقديم وائل أحمد عبدالرحمن ص١٦٠–ص١٦١

[5] – المرجع السابق ص١٧

درَ ُخ ُولدٍ للَّسعيدِ والشقّ ي ***** معُذبٌ هنم مهَم َا بـقي.

فيقول عند شرحه هذا البيت :دار خلود أي أن الجنة والنار دار بقاء مؤبد ، وقد كفر الجهمية القائلون بفنائها وفناء أهلهما لمخالفتهم الكتاب والسنة فالجنة دار خلود للسعيد منَعم فيها وهو من مات على الإسلام ، والنار دار الخلود للشقي معذب فيها وهو من مات على الكفر" [1].

أي أن الجنة دار خلود للمؤمنين به ، والنار دار خلود للكفرة والمشركين .

القسم الثاني :القائلون بفناء الجنة والنار .

لقد أبطل الله –تعالى -قول اليهود في زعمهم بأن النار وإن كانت تنالهم ويعذبون بها إلا إنها تكون أياماً معدودات وتنقضي ،كما في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾ [2].

يقول الصابوني في قوله –تعالى -إخباراً عن اليهود فيما نقلوا و دعوه لأنفسهم من أنهم لن تمسهم النار إلا أياماً معدودة ثم ينجون منها فرد الله عليهم ذلك : ﴿ وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [3]

أي بذلك .

ثم يفسر الآية الثانية :﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[4]

أي من آمن بما كفرتم ، وعمل بما تركتم من دينه فلهم الجنة خالدين فيها ،يخبرونهم بأن الثواب بالخير والشر مقيم على أهله أبداً لا إنقطاع له" [5] .

---

[1] – للمزيد انظرشرح جوهرة التوحيد للبيجوري ، ص٤١٦

[2] – سورة البقرة الآيات٨٠–٨١

[3] – سورة البقرة الآية ٨٠

[4] – سورة البقرة الآية ٨٢

[5] – محمد علي الصابوني ،مختصر تفسير ابن كثير،مجلد١ ،ص٨٢– ٨٣ ،دار القرآن الكريم بيروت ،ط٧ ،١٩٨١ م

اي تأكيد من الله تعالى على مزاعم المنكرين للنار وابديتها والجنة وابديتهاوان النار تكون لمن انكرها خالداً فيها بالمقابل تكون الجنة لمن اقر بها وآمن خالدين مخلدين بلا خروج .اللهم اجعلنا منهم وجميع المسلمين .

وملخص الكلام في هذه المسألة مايلي :-

حيث إن اليهود هم أول من ينفون خلود العذاب في النار لهم كما تقدم بإعترافهم أنهم سيدخلو ن النار، ولكن دخولهم إياها يكون أيام وتنقضي ؛

قال تعالى :﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ([1])

والله -تعالى -يرد عليهم بدحض ذلك الإ دعاء ، فكانت اليهود تقول: إن هذه الدنيا سبعة الآف سنة، وإنما نعذب لكل ألف سنة يوم ،ثم ينقطع العذاب بعد سبعة أيام وقيل أربعين يوماً ، الذي عبد آباؤنا العجل فيها، وكانت تقول إن ربنا كتب علينا في أمرفأقسم ليعذبنا أربعين يوماً فلن تمسنا النار إلا تحلة القسم،أربعين يوماً ، وهذا القول كله باطل بالنص الواضح في القرآن الكريم .ومن الفرق التي قالت بفناء الجنة والنار .

- الجهمية ([2]):

لقد قالت الجهمية بفناء الجنة والنار ،كما يبين ذلك ابن أبي العز بقوله : "قال بفناء الجنة والنار الجهم بن صفوان إمام المعطلة وليس له سلف قط لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين ولا من أهل السنة ، وأنكر ه عليه عامة أهل السنة وكفروه ، به وصاحوا به وبأتباعة من أقطار الأرض، وهذا قاله لأصله الفاسد الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث، وهو عمدة أهل الكلام المنموم التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يخل من الحوادث، وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث المعالم، فرأى جهم : أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنعه في المستقبل، فدوام الفعل عنده على الرب في المستقبل ممتنع كما هو ممتنع عليه في الماضي"([3])

---

[1] – سورة آل عمران الآية ٢٤

[2] – الجهمية : هم أصحاب جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة ظهرت بدعته بترمذ وقتله مسلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية ، وافق المعتزلة في نفي الصفات الأزلية وزاد عليهم بأشياء :

منها : قوله : لا يجوز أن يوصف الباري تعالى بصفة يوصف بها خلقه لأن ذلك يقضي تشبيها فنفى كونه حيا عالما وأثبت كونه قادراً فاعلاً خالقاً لأنه لا يوصف بشيء من خلقه بالقدرة والفعل والخلق

(انظرالملل والنحل ، محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني ،ص ،دار المعرفة – بيروت ،١٤٠٤هـ)

[3] – ابن أبي العز الحنفي، شرح العقيده الطحاوية، ص ٤٢٠، وقوله الجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان

وقد ذكر صاحب كتاب صاحب فرق معاصره :" أن الجهمية قد أنكرت كثير من أمور اليوم الآخر مثل الصراط والميزان و رؤية الله – تعالى– وعذاب القبر ، وقالواأيضاً : يفناء الجنة والنار، وكذلك نفي بأن يكون الله – تعالى– متكلماً بكلام يليق بجلاله، والقول بأن القر آن مخلوق ".ثم يقول : "وقد ذكر أبو الحسن الأشعري آراء جهم التي تفر د بها فقال : "والذي تفرد به جهم القول بأن الجنة والنار تبيدان وتفنيان "[1]

ويذكر شارح الطحاوية بعض الفر ق التي قالت بفنائها فقال " و ذهب الجهمية إلى أنهما يفنيان ويفنى أهلهما ، وهو قول باطل مخالف للكتاب والسنة والإجماع ليس عليه شبهة (أي دليل ضعيف)فضلاً عن حجة (أي دليل قوي) كذا في شرح العقائد"[2]

كما بين صاحب شرح المواقف ما استند عليه النافون لخلود الجنة والنار و أهلها بقوله :"و أنكره ،أي تخليدهم في النار ، طائفة خارجة عن الملة الإسلامية ، لوجوه :

الأول : إن القوة الجسمانية كما تقدم متناهية في العدة والمدة ، فلا بد من فنائها وإذا فنيت قوة الحياة وما يتبعها من الحس والحركة ، ولم يبق إحساس فلا يتصور ،عذاب وهذه الشبهة بعينها جارية في انقطاع نعيم أهل الجنة فساد مايتمسك به ذلك التناهي .

الثاني : من تلك الوجوه دوام الإحراق مع بقاء الحياة خرو ج عن قضية العقل .أي لايحتملها العقل .

الثالث : النار يجب فناؤها الرطوبة بالتجربة قليلاً قليلاً ، فتنتهي الحال بالآخرة إلى عدمها لكونها متناهية ."[3]

فيتبين لنا أن هناك من خالف اتفاق الأمة وإجماعها والآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة التي تشير إلى بقاء الجنة والنار وعدم فنائها مثل الجهم بن صفوان وأبي الهذيل العلاف وقوماً من الروافض كما يذكر ذلك أيضاً صاحب القول السديد ، فأما جهم فقال : إن الجنة والنار يفنيان ويفنى أهلهما ، وأما أبو الهذيل ،فقال: بأن الجنة والنار لا يفنيان ولا يفنى أهلهما إلا أن حركتهم تفنى ، ويبقون بمنزلة الجماد لا يتحركون وهم في ذلك أحياء متلذذون أو معذبون ، أما طائفة الروافض فقالت إن أهل الجنة يخرجون من الجنة وكذلك أهل النار من النار إلى حيث يشاء الله وليس لطائفة من الروافض شبهة ، فضلاً عن دليل يصح أن يكون مستنداً ،لقولهم فكان قولاً ساقطاً عن درجة الإعتبار .

---

[1] – غالب علي عواجي، فرق معاصرة ، ج٢،ص١٨٣ ،ط١ ،١٩٩٣م مرجع سابق ،بتصرف.

[2] – ابن ابي العز الحنفي، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق عبد السلام شنار،ص١٣٨، دار عبد الهادي ط١، ٢٠٠٥م

[3] – عبدالرحمن الايجي للسيد الجرجاني ، شرح المواقف ، ضبط وتصحيح محمود الدمياطي ، ص ٣٣٥-٣٣٦ ، المجلد ٤، ج٨ ،ط ١ ،دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٨م .

أما جهم بن صفوان فاستند إلى قوله –تعالى : (كل ُ شيء هالك إلا وجهه) إلى قوله –تعالى: (وأحصى كل شيء ً عددا) ووجه الاستدلال بالآية الكريمة الأولى أنها تفيد بمقتضى اشتمالها على أداة العموم أن ما عدا الله –تعالى – وصفاته سيهلك ومن ضمن ما عدا الله وصفاته الجنة والنار وما فيهما هالكتان لا محالة " ([1]).

و هنا لا بد من الإشارة إلى قول بعض المعاصرين أمثال الدكتور يوسف القرضاوي ،حيث أن له رأياً في أن النار تفنى بعد أن ينال أصحابها العذاب ، وإن الجنة خالدة وقداعتمد على ر أي السابقين له في هذه المسألة أمثال ابن قيم"([2])

لذا فلا بد من إيراد وبيان ما قد نسب إلى الإمامين، ابن تيمية وابن قيم، بأن النار تفنى ،ولكن وبعد الاطلاع على بعض الكتب لابن تيمية – فلم أعثر على شيء من ذلك ، مثل:كتاب منهاج السنة و كذلك كتاب: درء تعارض العقل والنقل.

ولم أجد في شئ منها هذا الرأي لابن تيمية. بل وجدته لتلميذه ابن قيم.

ولا أعلم السبب في نسبة هذا الرأي إليه ، ولكن في الواقع أن هذا الرأي إنما هو رأي لابن القيم رحمه الله.

كما يتضح لنا من خلال النصوص الاتية.

وهنا لابد لي أن أنقل خلاصة له من نصوص كتبه، لنتبين موقفه من هذه القضية.

خلاصة ما ذكره ابن القيم في المسألة:

حيث تعرّض ابن القيم لمسألة دوام النار وأبديتها في كتابين له:

١ . حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح من ص ٢٥٤ إلى ص ٢٨٠.

٢ . شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة التعليل من ص ٢٥٢ إلى ص ٢٦٤.

وملخص ما ذكره فيما يلي:

أولاً : ذكر في أبدية النار أو فنائها سبعة أقوال، أفاض القول في سابعها وهو:أن للنار أمداً تنتهي إليه، ثم يفنيها ربها وخالقها –سبحانه وتعالى– وقد أيد هذا القول بوجوه عديدة – على لسان أصحابه – منها:

١ . أن الله – تعالى– أخبر في ثلاث آيات عن النار بما يدل على عدم أبديتها:

---

[1] – ابو دقيقة ،القول السديد ص١٨٥ ،ج٣ ،مرجع سابق

[2] – شبكة الانترنت ، الجزيرة ،برنامج الدين والحياة ، المقدم ماهر عبد الله .

أ . في سورة النبأ الآية: ﴿ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ ﴾ (النبأ: ٢٣). فتقييد لبثهم فيها بالأحقاب يدل على مدة مقدرة يحصرها العدد، لأن ما لا نهاية له لا يقال فيه: هو باق أحقاباً، وقد فهم ذلك من الآية الصحابة – وهم أفهم الأمة لمعاني القرآن –كما سيأتي فيما بعد.

ب . في سورة الأنعام الآية: ﴿ قَالَ ٱلنَّارُ مَثۡوَىٰكُمۡ خَٰلِدِينَ فِيهَآ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٞ ﴿١٢٨﴾ ﴾ (الأنعام: ١٢٨)

جـ . في سورة هود الآية: ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (هود: ١٠٧).

وقال بعدها في ذكر الجنة وأهلها: ﴿ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ﴿١٠٨﴾ ﴾(هود: ١٠٨).

ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها، لكان حكم الاستثناءين في الموضعين واحداً. كيف؟ وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائين فإنه قال –تعالى– في أهل النار: (إن ربك فعال لما يريد) فعلمنا أنه – تعالى– يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة: (عطاء غير مجذوذ)فعلمنا أن هذا العطاء غير مقطوع عنهم أبداً – وسنذكر ما قاله الصحابة في الاستثناء.

٢ . هذا القول منقول عن عدد من الصحابة والتابعين وجلة الأئمة:

أ–فمن الصحابة:

–عمر رضي الله عنه قال: "لو لبث أهل النار في النار عدد رمل " عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه".

–وابن مسعود رضي الله عنه قال: "ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعد ما يلبثون فيها أحقاباً".[1]

–وعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه روي عنه نحوه.

–وأبو هريرة قال: "أما الذي أقول: إنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ: (فأما الذين شقوا..) الآيتين.

[1] –صحيح البخاري ،فتح الباري ، باب صفة الجنة والنار،ص٣٩٧ ،رقم ٦٠٦٦ ،مرجع سابق .

-وأبو سعيد الخدري قال في آية: (إلا ما شاء ربك): "أتت على كل آية في القرآن، أي آية وعيد".

-وابن عباس – في رواية عنه – قال في الآية: (إلا ما شاء ربك): "استثنى الله قال: أمر الله النار أن تأكلهم".

ب-ومن التابعين وأئمة السلف:

-الشعبي قال: "جهنم أسرع الدارين عمرانا، وأسرعهما خرباً ".

-وأبو مجلز قال عن النار: "جزاؤه، فإن شاء الله تجاوز عن عذابه".

-وإسحاق بن راهويه – وقد سئل عن آية هود – قال: "أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن".

٣ . دل العقل والنقل والفطرة على أن الله – تعالى– حكيم رحيم.

والحكمة والرحمة تأبيان بقاء هذه النفوس في العذاب أبد الآباد، وقد دلت النصوص والاعتبار على أن ما شرعه الله وقدّره من العذاب والعقوبات في الدنيا، إنما هو لتهذيب النفوس وتصفيتها من الشر الذي فيها، ولحصول مصلحة الزجر والاتعاظ، وقطع النفوس عن المعاودة – وغير ذلك من الحكم – وفي القرآن والسنة ما يدلنا على أن جنس الآلام إنما هو لمصلحة الإنسان ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ ﴾ (التوبة الآية ١٢٠). الخ،

﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ (آل عمران الآية ١٤١) .إلخ، ورب الدنيا والآخرة واحد، وحكمته ورحمته موجودة في الدارين، بل رحمته في الآخرة أعظم، فقد ورد في الصحيح:أن رحمته في الدنيا جزء من مائة جزء من رحمته في الآخرة، فإذا كان العذاب في هذه الدار رحمة بأهله ولطفا بهم ومصلحة لهم، فكيف في الدار التي تظهر فيها مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء والأرض.

وليس لله غرض في العذاب كما قال تعالى:﴿ مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ﴾(النساء الآية ١٤٧) وإذن فلا بد من حكمة ومصلحة تعود على عباده، وهي إما مصلحة أحبائه وأوليائه بتمام نعيمهم وبهجتهم بما يفعله في أعدائه وأعدائهم، وإما مصلحة الأشقياء ومداواتهم، أو لهذا ولهذا. وعليه، فالتعذيب مقصود لغيره، قصد الوسائل لا قصد الغايات، والمقصود من الوسيلة إذا حصل على الوجه المطلوب زال حكمهاونعيم أهل الجنة ليس متوقفًا في أصله ولا كماله على استمرار عذاب أهل النار ودوامه، ولو كان أهل الجنة أقسى خلق الله لرقوا لحال أعدائهم بعد طول العذاب. ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام واستمرار العذاب، وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم.

٤ . أخبر الله – تعالى– أن رحمته وسعت كل شيء:وأن رحمته سبقت غضبه، وأنه كتب على نفسه الرحمة، فلا بد أن تسع رحمته هؤلاء المعذبين، فلو بقوا في العذاب إلى غير غاية لم تسعهم رحمته، وهذا ظاهر جداً، والثابت أن رحمته لا بد أن تنتهي حيث ينتهي العلم كما قالت الملائكة: ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴾ (سورةغافر الآية ٧).

وقد تسمى الله بالغفور الرحيم ولم يتسمَ بالمعذب ولا بالمعاقب، بل جعل العذاب والعقاب في أفعاله: ﴿ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (الحجر الآية ٤٩ – ٥٠). وغيرها من الآيات، فإنه يتمدح بالعفو والمغفرة والرحمة والحلم... إلخ ويتسمى بها، ولم يتمدح بأنه المعاقب ولا الغضبان ولا المنتقم إلا في الحديث الذي فيه تعديد الاسماء الحسنى ولم يثبت.

٥ . يوضح هذا أن الله لم يخلق الإنسان عبثاً ولم يخلقه ليعذبه :

وإنما خلقه ليرحمه ولكن اكتسب موجب العذاب بعد خلقه له، فتعذيبه ليس هو الغاية، وإنما تعذيبه لحكمة ورحمة، والحكمة والرحمة تأبيان أن يتصل عذابه سرمداً إلى غير نهاية، أما الرحمة فظاهر، وأما الحكمة فلأنه إنما عذب على أمر طرأ على الفطرة وغيرها، ولم يخلق عليه من أصل الخلقة، لأن الله خلق عباده حنفاء، ولم يخلق له؛ لأنه لم يخلق للإشراك ولا للعذاب ، بل خلق للعبادة والرحمة ولكن طرأ عليه موجب العذاب فاستحق العذاب، وذلك الموجب– وهو الكفر– لا دوام له فكيف يكون موجبهائماً ؟

ثانياً: وقد قام ابن قيم بتفنيد الأدلة التي استند إليها القائلون بدوام النار، وأهمها:

١ . الآيات التي دلت على خلود الكفار وتأبيدهم في النار، وقد قال: إن ذكر الخلود والتأبيد لا يقتضي عدم النهاية، والخلود هو المكث الطويل كقولهم: قيد مخلد والتأبيد في كل شئ بحسبه، فقد يكون لمدة الحياة، ولمدة الدنيا. وقد ورد النص بالخلود على بعض الكبائر من الموحدين وقيد في بعضها بالتأبيد، كما في قتل المؤمن عمداً: ﴿ وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ (النساء الآية ٩٣)وكما في قاتل نفسه: "فحديدته في يده يتوجأ بها في بطن جهنم خالداً مخلداً فيها أبداً".

٢. الآيات التي دلت على عدم خروجهم منها: ﴿ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ ﴾ (البقرة الآية ١٦٧).

وقوله تعالى: ﴿ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (الحجر الآية ٤٨) ،

وقوله تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا ﴾ (فاطر الآية ٣٦).إلى آخر تلك الآيات قال: فطائفة قالت:إن إطلاقها مقيد بآيات التقييد بالاستثناء بالمشيئة، فيكون من باب تخصيص العموم وكأن هذا قول من قال من السلف في آية هود: أتت على كل وعيد في القرآن.

والذي صححه ابن القيم أن هذه الآيات على عمومها وإطلاقها، فهم باقون فيها لا يخرجون منها ما دامت باقية، ولكن ليس فيها ما يدل على أن نفس النار دائمة بدوام الله لا انتهاء لها، وفرق بين أن يكون عذاب أهلها دائماً بدوامها، وبين أن تكون هي أبدية لا انقطاع لها، فلا تستحيل ولا تضمحل.

٣ . الإجماع:

قال ابن القيم: وإنما يظن الإجماع في المسألة من لم يعرف النزاع،وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً، كيف وقد نقل عن الصحابة والتابعين التصريح بخلاف ما يدعون؟

ثالثاً: بعد هذا كله مال ابن القيم إلى التفويض في المسألة إلى مشيئة الله فلا جزم بفناء النار، كما لا جزم بدوامها. قال في شفاء العليل: وأنا في هذه المسألة على قول أمير المؤمنين علي؛ فإنه ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ووصف ذلك أحسن صفة ثم قال: ويفعل الله بعد ذلك في خلقه ما يشاء، وعلى مذهب ابن عباس حيث يقول: لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا نارا. ذكره في تفسير قوله تعالى: (قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله)، وعلى مذهب أبي سعيد الخدري حيث يقول: انتهى القرآن كله إلى هذه الآية: (إن ربك فعال لما يريد)، وعلى مذهب قتادة حيث يقول: (إلا ما شاء ربك): الله أعلم اثنياه: علام وقعت؟، وعلى مذهب ابن زيد حيث يقول: أخبرنا الله بالذي يشاء لأهل الجنة فقال: (عطاء غير مجذوذ) ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار.

ثالثاً : القول في الحساب والميزان .

إن الاعتقاد بالحساب والجزاء ركن من إركان الايمان بهذا الدين العظيم الذي من خلاله يأخذ كل ذي حق حقه ، فينال الصالح في عمله الذي كان قد عمله في الدنيا الأجر والمثوبة والرضوان والحساب الميسر ، كما ينال الطالح والمسيء في

عمله الذي كان قد عمله في الدنيا العقاب والغضب والحساب العسير ،هكذا عند الله تعالى صاحب الابتلاء (الخير والشر) وصدق الله العظيم : ليبلوكم أيكم أحسن عملا . فقد افاضت آيات القرآن العزيز وأحاديث النبي الكريم ببيان أوصافه وأحواله ، كما تكلم فيه الكثير من الفرق الإسلامية والمتكلمين واختلفوا فيها ليس بالاختلاف النافي لحقيقته ولكن ربما كان الاختلاف في جزئية لم تكن مفهومة من ناحية الدليل وبيان ذلك يكون كما يلي :

ب–الحساب .

يقول القاضي عبد الجبار :" أما الحساب فمما لا يجوز إنكاره فقد قال تعالى : ﴿ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ ﴾ (الانشقاق الآيات ٧ – ٩) ،غير أن محاسبة الله– تعالى– إيانا لا تجري على حد ما تجري المحاسبة بين الشريكين أو المتعاملين فإن ذلك فيما بيننا إنما يكون بعقد الأصابع أو ما يجري مجراه وليس هكذا محاسبة الله– تعالى– عبادة فإن ذلك يكون بخلق العلم الضروري قي قلبه أن يستحق من الثواب كذا ومن العقوبه كذا ويسقط الأقل بالأكثر وعلى هذا صح ذلك بسرعة على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ (إبراهيم الآية ٥١) ،ومن هنا استدل بعض مشايخنا بهذه الآية على أنه – تعالى– لا يجوز لََ يكون جسماً وإلا كان لا يتأتى منه محاسبة الخلائق بسرعة ولا يمكنه خلق العلم فيهم فكان يتعذر عليه ولا يمكنه الا بمدة مديدة ،وزمان طويل وفي علمنا بأن الله تعالى سريع الحساب دليل على انه – تعالى– ليس من قبيل هذه الاجسام" ([1])

لذا فإن المتابع لآيات القرآن الكريم يجدها قد نبهت المؤمنين إلى أهمية اليوم الآخر، وما فيه من عوالم ومواقف رهيبة مخيفة وأحداث جسيمة عنيفة ونِعم كثيرة وخيرات وفيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة وجاءت كذلك الأحاديث الشريفة لتبين وتفصل تلك الأحداث شاخصة مجسمة بشكل دقيق مضبوط معبرة عن خطورة أمرها وعظم أحوالها وموضحة أين يكون موقف المؤمن بها. فمما لا شك فيه أن هذا كله ينبهنا وينبئنا عن خطورة وعظم ذلك العالم الأخروي وشدة هوله وعظم أمره ووجوب الإهتمام بأمره،فإذا كان ذلك واضحاً وشرفه معلوماً فإن البحث في هذه الجزئية منه بعد أن تحدثنا سابقاً عن أجزاءه التي تتقدم على الحساب وما فيه من ميزان وصراط وقنطرة وحوض وشفاعة ثم حال أصحاب الأعراف وما يقع فيه للخلق من الوقوف لرب العالمين من أولهم إلى آخرهم غنيهم وفقيرهم بارهم وفاجرهم في صعيد واحد لهو من الأهمية

---

[1] – القاضي عبدالجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص٧٣٦،مرجع سابق

بالمكان الأعلى، فإما الجزاء الوفير وإما الخسران المرير ، يقوله تعالى : ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (١)

فالجزاء : هو الحساب على الخير بالخير وعلى الشر بالشر ويؤكد ذلك قوله تعالى:﴿ ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿١﴾ مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلَّا ٱسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴾(٢)

فإن الإخبار من الله –تعالى–أن هناك حسلاباً ينتظر الناس ولكنهم في غفلة عن الذكر وفي إعراض عن الطاعة أنها آيات تهز الغافلين هزا فالحساب يقترب وهم في غفلة والآيات تعرض وهم معرضون عن الهدى والهداية .

فيوم الحشر يحشر الخلق جميعاً تمهيداً للحساب والجزاء ، يقول–تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾(٣)

ثم يكون عرض الأعمال من خلال السجل الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة فيقول عند ذلك الكفار والمجرمون :

﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ .(٤)

فالكتاب لا يغادر نظرة ولا غمزة ولا لمزة ولا ضربة ولا قتلة إلا وضعت فيه بأدق تفاصيلها . فهذا هو عملكم أحصي عليكم لتجزون من خلاله إن خيراً فخير وإن شراً فشر لقوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ .(٥)

---

(١) – سورة الجاثية الآية ٢١

(٢) – سورة الأنبياء الآية ١–٢

(٣) – سورة الكهف الآية ٤٧

(٤) – سورة الكهف الآية ٤٩

(٥) – سورة آل عمران الآية ٣٠

ولكن هيهات وهيهات ، وقد ورد في القرآن الكريم وفي أحاديث المصطفى الأمين ما فيه الكفاية والزيادة لأجل هداية الناس وإخراجهم من الظلمات إلى النور وتربية المسلم التربية الإيمانية الرادعة التي تشعره بالموقف أمام ربه يوم القيامة أنه سوف يحاسب على فعله وكسبه في هذه الدنيا "﴿ ثم توفى كل نفسٍ ما كسبت وهم لا يظلمون ﴾"[1]

فاليوم هو يوم للحساب والجزاء فلا مفر منه ، لذلك يجب الإيمان به وبمقتضاه ، وهو من مقتضيات الإيمان بالله-تعالى- وذلك لقوله- صلى الله عليه وسلم- في الحديث الذي يرويه أبو برزة الأسلمي قال ،قال: رسول الله -صلى الله عليه وسلم-" لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه وعن علمه فيم فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه " [2]

فالعمل في هذه الدنيا من مقتضيات الإيمان باليوم الآخر والحساب فيه ، وقد سمى الله -تعالى-ذلك اليوم بأسماء كثيرة منها يوم الجزاء والحق والعدل ويوم القضاء ويوم الفصل .

ولا بد أن يكون هناك قاعدة للحساب يحاسب من خلالها الخلق يوم القيامة فهي مقررة من خلال الآية القرآنية التي يقول الله -تعالى فيها ﴿ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ﴾[3]

و يقول سيد قطب في تفسيره " وحيث يقرر لهم قاعدة الحساب والجزاء في دار القرار -فذكر الآية الكريمة — ثم قال ثم أقتضى فضل الله أن تضاعف الحسنات ولا تضاعف السيئات رحمة من الله بعباده وتقديراً لضعفهم وللجواذب والموانع لهم في طريق الخير والاستقامة فضاعف لهم الحسنات وجعلها كفارة للسيئات، فإذا هم وصلوا إلى الجنة بعد الحساب رزقهم الله فيها بغير حساب ".[4]

١- قواعد الحساب :

أما القواعد التي يحاسب الخلق على أساسها يوم الحساب فمنها -والله أعلم- ما يلي :

- القاعدة الأولى :العدلُ التام الذي لا يشوبه ظلم .

---

[1] - سورة البقرة الآية ٢٨١

[2] - الترمذي ،سنن الترمذي،باب القيامة ،ج٤ ، ص٦١٢ ، تحقيق أحمد محمد شاكر وآخرون دار إحياء التراث العربي ،بيروت

[3] - سورة غافر الآية ٤٠

[4] - سيد قطب، في ظلال القرآن ،ص٢٥٩.

قال تعالى: ﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِۖ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨١﴾ ﴾ [1]

فاحذروا ياأيُّها النَّاس ذلك اليوم العظيم ، يوم القيامة الذي تتفرغون فيه من مشاغلكم الجسديَّة والدُّنيوية التي كانت تصرفكم عن ربكم في هذه الحياة الدُّنيا ، ويجازي الله كلابعمله ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، ولا تنقص نفس من ثوابها ، ولا يزاد في عقابها.

وقال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾ ﴾ [2]

فالله– تعالى– ينزه في هذه الآية رسُوله ُ الكريم عن أخذ شيء ٍ من المغنم خلسة َ(ِن الغ ُلُول ِ) ، وعن الخيانة في أداء الأمانة ، فقال تعالى ما ينبغي لنبيٍّ أن يغل لأن الله عصمه من ذلك ويهدد الله – تعالى–من يغل بأنّه سيأتي يوم القيامة وهو يحمل ما غل ليحاسب عليه ، والله لا يظلم أحداً من خلْقه .

فيوفيهم الحقُّ عز وجل يوم القيامة أجورهم كاملة غير منقوصة وإن كان مثقال حبة من خردل، قال تعالى:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [3]

فالله – تعالى– يخبر عباده ُ بأنه ُ سوف يوفيهم أجور أعمالهم كاملةً ، ولا يظلم ُ يوم القيامة أحداً من خلْقه مثقال أي ثقل حَبَّة خردل ، ولا مثقال ذرَّة ٍ ، وإنمَّا يوفي كُل عامل ٍ عمله ، ويضاعف الحسنات لفاعليها ، ويزيدهم من فضله ، ويؤتي من لدنه الجنة لعباده الصالحين ، وهي الأَجر ُ العظيم الذي وعدهم به .

وقال – تعالى– في موضع آخر ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ [4]

فمن علم عمل خير فإنه ُ سيجد ثوابه مهما كان حقيراً ، حتى ولو كانَ في وزن الذَّرة . فعن أبي ذر قال : قال لي النَّبي – صلى الله عليه وسلم – «لاَ تحَقْرِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ »[1]

---

[1] – سورة البقرة الآية ٢٨١

[2] – سورة آل عمران الآية ١٦١

[3] – سورة النساء الآية ٤٠

[4] – سورة الزلزلة الآية ٧–٨

ومن عمل مثقال ذرَّةٍ من سوءٍ فإنه ُ واجد جزاءه عند ربه في ذلك اليوم.ثم يكون الجزاء الحق من الله تعالى: ﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ ﴾ [٢]

ومن يعمل من ذكر أو أنثى عملاً صالحاً ، وهو مطمئن القلب بالإيمان بالله وكتبه ورسله ، فإنَّ الله يكافئه على أعماله الصالحة بإدخاله الجنَّة ، ولا ينقصه شيئاً من عمله ولو كان شيئاً بسيطاً جداً (نقيراً) .

النقير – نقطة داخل نواة التمر لا وزن لها .

– القاعدة الثانية : فلا يؤخذ أحد بذنب ومعصية غيره .

قال تعالى : ﴿ قُلۡ أَغَيۡرَ ٱللَّهِ أَبۡغِي رَبّٗا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيۡءٖۚ وَلَا تَكۡسِبُ كُلُّ نَفۡسٍ إِلَّا عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرۡجِعُكُمۡ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [٣] والله – تعالى– يُجازي كلَّ نفسٍ يوم القيامة ، على ما فعلته وكسبته في الدُّنيا ، إن خيراً فخيراً ، وإن شراً فشراً ، ولا يحمل أحدٌ من خطيئة أحد شيئاً ، وهذا من عدل الله – تعالى.ثم ترجعون إلى الله فيخبركم بما كنتم تخ ِفون فيه من أمر أديانكم المختلفة ، ويتولى ّ جزاءكم عليه وحده .

فهذا هو العدل الذي لا عدل فوقه ، فالمهتدي يقطف ثمار هدايته ، والضال ضلاله على نفسه قال تعالى :

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾ [٤]

يأمر الله رسوله – صلى الله عليه وسلم –أن يخبر النّاس جميعاً ، أنَّ الذي جاءهم به هو الحق الذي لا مرية فيه ، فمن اهتدى واتبعه ، فإنمّا يعود نفعه على نفسه ، ومن ضل عنه ، فإنما يرجع وبال ذلك عليه . كما أمره الله – تعالى– بأن يقول للنَّاس :أنّه رسول الله إلى الخلق كافةً ، وإنه نذير لهم غير موكل بهدايتهم ، ولا بمسيطر عليهم ، وإنما الهادي هو الله ُ

---

[١] – الإمام مسلم ، صحيح مسلم، رقم(٦٨٥٧) باب استحباب طلاقة الوجه عند اللقاء .

[٢] – سورة النساء الاية ١٢٤

[٣] – سورة الانعام الاية ١٦٤

[٤] – سورة الزمر الآية ٤١

.وقال تعالى : ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ (١)

من فاستقام على طريق الحق واتبعه ، واتبع النُّور الذي بعث به محمد – صلى الله عليه وسلم – فإنه يكون قد اهتدى، وتكون عاقبة هداه على نفسه ، ومن ضل عن الحق ، وزاغ عن سبيل الرشاد ، فإنما يجني على نفسه ، ويعود وبال سعيه عليه هو ، ولا يحمل أحد ذنب أحدٍ ، ولا يجني جان إلا على نفسه .

ويقول تعالى :إنه لا يعذب أحداً إلاَّ بعد قيام الحجة عليه بإرسال الرسل إليه ، يدعونه إلى الحق .

وهذه القاعدة العظيمة التي اتفقت الرسالات السماوية على تقريرها ، قال تعالى:﴿ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ ﴾ (٢)

﴿أَم لَمَ ينبَّأ ﴾ هذا المدعي ﴿ بما في صحف موسى وإبراهيم الذي وفى ﴾ أي: قام بجميع ما ابتلاه الله به، وأمره به من الشرائع وأصول الدين وفروعه، وفي تلك الصحف أحكام كثيرة من أهمها ما ذكره الله بقوله: ﴿ ألا تزر وازرة وزر أخرى وأن ليس للإسان إلا ما سعى ﴾ أي: كل عامل له عمله الحسن والسيئ، فليس له من عمل غيره وسعيهم شيء، ولا يتحمل أحد عن أحد ذنباً ،﴿ وأن سعيه سوف يرى ﴾ في الآخرة فيميز حسنة من سيئة، ﴿ ثم يجزاه الجزاء الأوفى ﴾ أي: المستكمل لجميع العمل الحسن الخالص بالحسنى، والسيئ الخالص بالسوأى ، والمشوب بحسبه، جزاء تقر بعدله وإحسانه الخليقة كلها، وتحمد الله عليه، حتى إن أهل النار ليدخلون النار، وإن قلوبهم مملوءة من حمد ربهم، والإقرار له بكمال الحكمة ومقت أنفسهم، وأنهم الذين أوصلوا أنفسهم وأوردوها شر الموارد، وقد استدل بقوله تعالى: ﴿ وأن ليس للإنسان إلا ما سعى ﴾، وقد يعارض البعض هذا القول بقوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟

---

(١) – سورة الإسراء الاية ١٥

(٢) – سورة النجم الآية ٣٦–٤١

سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾ (١)

وقال كفّار قريش لمن آمن منهم ، واتّبعوا الرسول – صلى الله عليه وسلم – : ارجعوا إلى دينكم الأول ، وعودوا فيه وإذا كان هناك بعث وحساب فإنهم سيحملون عنهم تبعة آثامهم ، وهي في رقابهم ، ويرد الله – تعالى – عليهم مكذباً : إنه لا يحمل أحد ، فكل امرئ بما اكتسب رهين .

وسيحمل الدُّعاة إلى الكفر والضّلالة ، يوم القيامة ، أوزار أنفسهم وخطاياهم ، ومثل أوزار من أضلوهم من النّاس ، وصرفوهم عن الهدى من غير أن ينقص من أوزار أولئك شيء ، وسيحاسب هؤلاء المضلون يوم القيامة على ما يختلقونه من البهتان ، ويعذبون به .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (٢)

وإذا قيل لهؤلاء المكذبين المستكبرين : ماذا أنزل ربكم على محمد – صلى الله عليه وسلم ؟

قالوا معرضين عن الجواب : لم ينزل شيئاً ، إنما هذا الذي نسمعه هو من أساطير الأولين ، مأخوذ من كتبهم وقصصهم .

ولقد قالوا ما قالوه عن الرسول وعن القرآن ، وعن رسالة الله ، لتكون عاقبتهم أن يتحملوا آثامهم وخطاياهم ، وأوزار كفرهم ، وليتحملوا معها من خطايا وأوزار الذي يضلونهم ، ويحملونهم على اتباعهم : ﴿ يَوْمَ القيامة حملاً ﴾ ،وهذا موافق لما تقدم وليس بمعارض ، فالإنسان يتحمل إثم ما ارتكب من ذنوب ، وإثم الذين أضلهم بقوله وفعله ، كما أن دعاة الهدى ينالون أجر ما عملوه ومثل أجر من إهتدى بهديهم ، فإضلال هؤلاء لغيرهم هو فعل يعاقبون عليه.

وقال قتادة : من دعا إلى ضلالة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها ولا ينقص من أوزارهم شيء .

(١) – سورة العنكبوت الآية ١٢–١٣

(٢) – سورة النحل الآية ٢٤–٢٥

ونظيره قوله تعالى :﴿ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾. ونظير هذا قوله عليه السلام: (من سنَّ في الإسلام سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء، ومن سنَّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء." روي من حديث أبي هريرة) ([1]).

– القاعدة الثالثة : اطلاع العباد على ما قدموه من أعمال .

من إعذار الله لخلقه ، وعدله في عباده أن يطلعهم على ما قدموه من صالح أعمالهم وطالحها ، حتى يحكموا على أنفسهم ، فلا يكون لهم بعد ذلك عذر ، قال تعالى:﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾ ﴾ ([2])

فحذر اللهُ – تعالى–الناس من هول يوم القيامة ، وهو يوم تجد فيه كل نفس ما عملت في الحياة الدُّنيا حاضراً أمامها ، فما رأته من أعمالها حسناً سرت به وفرحت ، وما رأته قبيحاً تود لو أنها تبرأت منه ، وأن يكون بينها وبينه أمد بعيد، ويحذر اللهُ الناس من نفسه ومن عقابه ، لأنه رؤوف رحيم يحب أن يستقيموا على صراطه المستقيم ، ودينه القويم . وقال تعالى:﴿ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴾ ([3])

وإذا تحركت الأرض بالقبور فتبعثرت ، وقلب ترابها ، وخرج الأموات منها .إذا حصل كل ذلك يكون موعد قيام الساعة قد حان ، وحان البعث والحساب وحينئذ تعلم كل نفسٍ ما قدَّمت من عملٍ ولم تقصر فيه ، وما أخرت من عمل وتكاسلت عن أدائه .

وقال تعالى :﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَـٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَـٰذَا ٱلْكِتَـٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ ([4])

---

[1] – الإمام مسلم ، صحيح مسلم ،باب من سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة ،رقم (٦٩٧٥) ج٨،ص٦١.

[2] – سورة آل عمران الآية ٣٠

[3] – سورة الإنفطار الآيتين ٤–٥

[4] – سورة الكهف الآية ٤٩

ووضع بين يدي كل فرد كتاب أعماله ، وفيه جميع ما عمله في حياته ، من حسن وقبيح ، ومن صغير وكبير . ويرى المجرمون أعمالهم القبيحة محصاة بتمامها ، لم ينقص منها شيء ، ويعلمون أن العذاب واقع بهم ، فيشفقون مما سيحل بهم ، ويقولون في أنفسهم : يا ويلتنا ، ويا حسرتنا ، على ما فرطنا في حياتنا الدنيا ، ما لهذا الكتاب لا يترك صغيراً من أعمالنا وذنوبنا ، ولا كبيراً إلا أحصاه ووعاه ووجدوا ما عملوا من خير وشر حاضراً ليحاسبوا عليه ، ولا يظلم ربك أحداً من خلقه ،وإنما حاسب العباد على أعمالهم بالعدل التام ،واطلاع العباد على ما قدموه يكون بإعطائهم صحائف أعمالهم. وقراءتهم لها كما قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ [1]

والإنْسان ملتزما بعمله ، ومسؤول عنه . وهذا العمل ملتصق بالإنسان ، وملازم له ملازمة القلادة للعنق ، لا ينفك عنه بحالى وسيؤاخذه اللهُ عليه يوم القيامة ، فيخرج له في ذلك اليوم صحيفة أعماله كلها ، لا يغيب عنها عمل صغير ولا كبير ، ليحاسب على هذه الأعمال جميعها .

وطائر الإنسان هنا عمله الذي سبب الخير والشر ، وكانت العرب تزجر الطير ، فإذا طار الطائر يميناً تيمنوا وتفاءلوا بالخير ، وإن طار شمالاً تشاءمُوا وتوجسوا خيفةً من الشر .

والعرب تضرب مثلاً للشيء الذي يلازم الإنسان ولا يفارقه أبداً ، فتقول :ألزمته إياه في عنقه .

ويقال لكل واحد يوم القيامة : اقرأ كتابك الذي يحوي أعمالك كلّها ، صغيرها وكبيرها ، يكفيك أن تكون أنت المحاسب على نفسك ، وقد عدل معك من جعلك حسيباً على نفسك .

–القاعدة الرابعة :مضاعفة الحسنات دون السيئات .

فمن رحمته – تعالى– أنه يضاعف أجر الأعمال الصالحة لأصحابها، قال تعالى: ﴿ إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٧ ﴾ [2]

فما أنفقتم من مال في طاعة الله ، وتقرّباً إليه ، فإنّ الله – تعالىيعدّ ذلك الإنفاق مقدّماً إليه – تعالى ، وهو يخلفه ويرده إلى المنفقين –أضعافاً كثيرةً — الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف – ويمحو عنكم بها سيئاتكم ، ويسترها

[1] – سورة الاسراء الآيتين ١٣–١٤

[2] – سورة التغابن الآية ١٧

عليكم ، والله شكور يجزي على القليل بالكثير ، وهو كثير الحلم والمغفرة ، يغفر ويستر ، ولا يعاجل بالعقوبة عباده على الذنوب والأخطاء لعلّهم يتوبون ويرجعون مستغفرين .

وأقل ما تضاعف به الحسنة عشرة أضعاف قال تعالى :﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾ ﴾[1]

فمن جاء يوم القيامة ربه بخصلة حسنة ، من خصال الطاعات ، جزاه الله بعشرة أمثالها ، من عطاء الله غير المحدود . ومن جاء بسيئة ، فلا يجازى إلا بعقوبة سيئة ، مثلها ، والله لا يظلم أحداً من خلقه عملاً عمله ، فلا يزيد في ذنب المسيء ، ولا يبخسه شيئاً من أعماله الحسنة .وهذا مقتضى عدله تبارك و– تعالى– وقد تصل مضاعفة الحسنة إلى سبعمائة ضعف ، وأكثر من ذلك كما قال تعالى: ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ ﴾[2]

فيحث الله– تعالى– من خلال هذه الآية المؤمنين على إنفاق أموالهم في سبيل الله ، وابتغاء مرضاته (في الحج وفي الجهاد وفي الزكاة والصدقات)ويضرب لهم الزرع مثلاً على تنميته – سبحانه وتعالى – الأعمال الصالحة لأصحابها ، فكما ينمو الزرع لمن بذره ، كذلك يتضاعف العمل الصالح عند الله ، والله يضاعف الأجر لمن يشاء من عباده ، فيزيده زيادةً لا حصر لها بحسب إخلاص العبد في عمله ، والله واسع الفضل لا ينحصر فضله ، ولا يحد عطاؤه ، وهو عليم بمن يستحق هذه المضاعفة وبمن لا يستحقها .

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة ومن همّ بحسنة فعملها كتبت له عشراً إلى سبعمائة ضعف ومن همَّ بسيِّئة فلم يعملها لم تكتب وإن عملها كتبت " ([3]).

وعن همام بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن محمد رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – فذكر أحاديث منها قال: قال: رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – قال الله عز وجل: إذا تحدث عبدي بأن يعمل حسنة فأنا أكتبها له حسنة ما لم يعمل فإذا عملها فأنا أكتبها بعشر أمثالها وإذا تحدث بأن يعمل سيئة فأنا أغفرها له ما لم يعملها فإذا عملها فأنا

[1] – سور ة الانعام الآية ١٦٠

[2] – سورة البقرة الآية ٢٦١

[3] – الإمام مسلم ، صحيح مسلم، رقم(٣٥٤) باب من هم بحسنة كتبت ومن هم بسيئة لم تكتب،ج١،ص٨٢ .

أكتبوها له بمثلها وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قالت الملائكة رب ذاك عبدك يريد أن يعمل سيئة وهو أبصر به فقال ارقبوه فإن عملها فاكتبوها له بمثلها وإن تركها فاكتبوها له حسنة إنما تركها من جرّاي وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا أحسن أحدكم إسلامه فكل حسنة يعملها تكتب بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف وكل سيئة يعملها تكتب بمثلها حتى يلقى الله "[1]

وعن المعرور بن سويد ، أن أبا ذر رضي اللّه عنه ، قال :حدّثنا الصادق المصدوق – صلى الله عليه وسلم – فيما يروي عن ربه –تبارك وتعالى –، أنه قال : الحسنة بعشر أمثالها ، أو أزيد ، والسيئة واحدة ، أو أغفرها ، ولو لقيتني بقراب الأرض خطايا ما لم تشرك بي ، لقيتك بقرابها مغفرة"[2]

ومن الأعمال التي أخبر عنه – صلى الله عليه وسلم – أنها تضاعف قراءة القرآن والذكر والإنفاق والجهاد والحج والصوم والصبر وغيرها كثير مما لم نحصره هنا ، وتتجلى رحمة الله –تعالى–وفضله على عباده أن المؤمن الذي يهمُّ بفعل الحسنة ثم لا يفعلها تكتب له حسنة تامة ، والذي يهم بفعل السيئة ثم لا يفعلها مخافة لله تكتب له حسنة تامة . ومن واسع رحمته وفضله– تبارك وتعالى– أن يبدل السيئات حسنات .

كما قال تعالى :﴿ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾[3]

إلا من تاب في الدّنيا ، وأخلص التوبةوهو مؤمن ، وقد عمل الصالحات ، ورجع إلى ربه مستغفراً منيباً ، فإنَّ الله – تعالى يتوبُ عليه ، ويحسن عاقبته ، (وفي ذلك دلالة على صحة توبة القاتل)وهؤلاء هم المؤمنون ، كانُوا قبلَ إيمانهم يعملون السيئات ، فحولهم الله – تعالى– إلى الحسنات ، وأبدلهم مكان السيئات الحسنات ، والله غفور لذنوب عباده ، رحيم بهم . فأي فضل بعد هذا الفضل؟

–القاعدة الخامسة :إقامة الشهود على الكفرة والمنافقين .

---

[1] – المرجع السابق، رقم(٣٥٣) الباب السابق ،ج١،ص٨٢.

[2] – الحاكم، مستدرك الحاكم، رقم (٧٦٠٥) كتاب التوبة والانابة،ج٤،ص ٢٦٩.

[3] – سورة الفرقان الآية ٧٠

ان الله تعالى يبين للخلق انه سيقيم الحجة عليهم وذلك بالشهود على العمل فتشهد الايدي على الاخذ وتشهد الارجل على المشي وتشهد الاعين على النظر وهذا فيه بيان ان الله تعالى يقرب اليه طبيعة الحساب وقواعده التي اعتاد عليه في حياته فلا يقام حساب إلا بالحجة الظاهرة وهي هنا الشهود على فعل الانسان .

قال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [1]

فالله – تعالى– يخبر بأنه عالم بجميع أحوال رسوله وأموره ، سواء منها ما هو خاص به ، أو ما هو متعلق بشؤون الدّعوة ، وأنه لا يتلو من أجل ذلك من قرآن أنزله عليه الله تعبداً وتهجداً به ، أو تبليغاً له للناس ، ولا يقوم أحد من النّاس ، من المؤمنين وغيرهم ، بعمل صالح أو غير صالح ، كبير أو صغير ، إلا كان الله – تعالى– رقيباً عليهم فيحفظه لهم ، ويجزيهم به ، وأنه – تعالى– لا يغيب عن علمه شيء صغر أو كبر حتى ولو كان مثقال ذرة ، أو أدنى من ذلك ، فكل شيء محصى عنده في كتاب مبين .

ولكن الله يحب الأعذار إلى خلقه فيبعث من مخلوقاته شهداء على المكذبين الجاحدين حتى لا يكون لهم عذر كما قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ ﴾ [2]

فالله – تعالى– يخبر عباده عن هول يوم القيامة وشدة أمره ، فإذا كان لا يضيع من عمل العامل مثقال ذرة فكيف يكون الأمر والحال ، يوم القيامة ، حين يجمع الله الخلائق ، ويجيء من كل أمة بشاهد عليها (نبيُّها) ، ويأتي بمحمد شاهداً على قومه (هؤلاء) ؟

وهذه الشّهادة هي عرض أعمال الأمم على أنبيائهم ، ومقابلة عقائدهم وأخلاقهم وأعمالهم بعقائد الأنبياء ، وأعمالهم وأخلاقهم ، فمن شهد له النّبي أنّه على ما جاء به ، وما أمر النّاس بالعمل به فهو ناج ، ومن تبرّأ منه الأنبياء فهو من الأخسرين .

[1] – سورة يونس الآية ٦١

[2] – سورة النساء الآيتين ٤١–٤٢

في ذلك اليوم يتمنى الذين كفروا بالله ، وعصوا رسوله ، لو أنَّ الأَرض انشقت وابتلعتهم مما يرون من هول الموقف ، ومما يحل بهم من الخزي والفضيحة والتَّوبيخ . ففي يوم القيامة يجمع الله الخلائق في بقيع واحد ، فيقول المشركون : إنَّ الله لا يقبل من أَحدٍ شيئاً إلا ممن وحده ، فتعالوا نجحد . فيسألهم ربهم ، فيقولون : والله ربِّنا ما كنَّا مشركين . فيختم الله على أفواههم ، ويستنطق جوارحهم ، فتشهد عليهم أنهم كانوا مشركين ، فعندئذ يتمنَّون لو أنَّ الأَرض سويت بهم ، ولا يكتمون الله حديثاً .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [1].

ويوم القيامة ينزع الله – تعالى من كلِّ أمة شاهداً عليها ، هو نبيُّها ، فيشهد عليها بما أجابته به أمَّته حين دعاها إلى الله، وأبلغها رسالات ربه ، ويقول الله – تعالى– للمخالفين منهم : هاتوا ما عندكم من حجة وبرهان على صحة ما ادعيتموه من أنَّ لله شركاء . وحينئذ يعلمون أنه لا إله إلا الله الملك الحق ، ولا حق غيره ، فلا ينطقون ، ولا يجيبون بشيء عن سؤال الرب العظيم ، ويتلاشى باطلهم ، وما كانوا يدعونه من دون الله .

وقال تعالى: ﴿ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ﴾ [2] ، وجاءت كل نفس في ذلك اليوم ربها ومعها سائق يسوقها إليه ، وشاهد يشهد عليها بما عملت في الدُّنيا من خير وشرٍّ .

ومن الأشهاد الأرض والليالي تشهد بما عمل فيها وعليها ، ويشهد المال على صاحبه، وتشهد الملائكة على العباد بما كانوا يعملون. فإذا لجَّ العبد في الخصومة وكذب ربه وكذب الشهود الذين شهدوا عليه ، أقام الله عليه شاهدا منه، فتشهد على المرء أعضاؤه ، كما قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَـٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [3]

حتىَّ إذا وصلوا إلى النار ووقفوا عليها شهدت عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يجترحون في الدّنيا من المعاصي ، وبما كانوا يعملون من أعمال ، لا يكتمون منها شيئاً .

---

[1] – سورة القصص الآية ٧٥

[2] – سورة ق الآية ٢١

[3] – سورة فصلت الآية ٢٠

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [1]

واذكرمحمد لهؤلاء المشركين المكذبين حال الكفَّار يوم القيامة لعلَّهم ينتهون ويرتدعون عن غواياتهم ، ففي ذلك اليوم يساق الكفرة أعداء الله إلى النَّار ، فتحبس الزبانية أولهم على آخرهم حتى يتلاحقوا ، ويتكامل جمعهم .

حتى إذا وصلوا إلى النار ووقفوا عليها شهدت عليهم جوارحهم (سمعهم وأبصارهم وجلودهم) بما كانوا يجترحون في الدنيا من المعاصي ، وبما كانوا يعملون من أعمال ، لا يكتمون منها شيئاً .

فيقول المجرمون لجلودهم ، وهم يلومونها على شهادتها عليهم :لماذا شهدتم علينا؟ فترد الجلود قائلةً : إن الله – تعالى– هو الذي أنطقها ، وهو – تعالى– الذي خلقها وخلقهم ، وإليه يرجعون ، فهو – تعالى– لا يخالف ولا يمانع . وعن أنس بن مالك رضي اللّه عنه ، قال : ضحك رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – ذات يوم أو تبسم ، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم – : ألا تسألوني من أي شيء ضحكت ؟ فقال : عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة ، يقول : يا رب ، أليس وعدتني أن لا تظلمني ؟ قال : بلى ، قال :فإني لا أقبل علي شهادة شاهدٍ إلا من نفسي ، فيقول : أو ليس كفى بي شهيداً ، وبالملائكة الكرام الكاتبين ؟ قال:فيردد هذا الكلام مراتٍ ، فيختم على فيه ، وتكلم أركانه بما كان يعمل ، فيقول بعداً لكم وسحقاً ، عنكم كنت أجادل" .[2]

٢–الأعمال التي نُسأل عنها .

أما ألأعمال التي يسأل عنها العبد يوم القيامة فهي كمايلي:

أولاً : عن جميع ما عمله في دنياه من عمل كثير أم قليل كبير أم صغير .

---

[1] – سورة فصلت الآية ١٩–٢٣

[2] – الحاكم ، مستدرك الحاكم رقم (٨٧٧٨)

يسأل العبد في يوم القيامة عن جميع أعماله التي عملها في الحياة الدنيا

كما قال تعالى:﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ ([1])

فيقسم الله – تعالى– بذاته الكريمة على أنه سيسأل هؤلاء المكذبين والمقتسمين . . . جميعاً عما كانوا يقولونه ويفعلونه فيما بعثناك به إليهم .

أي إن الله – تعالى–سيسأل هؤلاء الذين جعلوا القرآن عضين ، فآمنوا ببعضٍ وكفروا ببعضٍ ، عن جميع أعمالهم ، حينما يحشرهم للحساب يوم القيامة .

وقال تعالى :﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ ﴾ ([2])

فيقول – تعالى– : إنه سيسأل الأمم يوم القيامة عما أجابوا به رسلهم فيما أرسلهم الله به إليهم ، وسيسأل الرسل أيضاً عمّا بلغوه إلى الأمم من رسالات ربهم ، وعما أجابهم به أقوامهم .

وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ) ([3]).

والمتأمل الحديث يعلم السر في دعوة الرسول– عليه السلام – إلى التخفيف من المال ، فكلما كثر مال العبد كثر حسابه وطال ، وكلما قل ماله خف حسابه وأسرع به إلى الجنة ، وقد أخبر– عليه الصلاة والسلام– أن فقراء المهاجرين يسبقون أغنياءهم بأربعين سنة.

فعن محمود بن لبيد أن النبي – صلى الله عليه وسلم – قال: "اثْنَتَانِ يَكْرَهُهُمَا ابْنُ آدَمَ: الْمَوْتُ، وَالْمَوْتُ خَيْرٌ لِلْمُؤْمِنِ مِنَ الْفِتْنَةِ، وَيَكْرَهُ قِلَّةَ الْمَالِ، وَقِلَّةُ الْمَالِ أَقَلُّ لِلْحِسَابِ "([4]).

ثانياً : عن النعيم الذي كان يتمتع به .

فيسأل الله –تعالى– عباده يوم القيامة عن النعيم الذي خولهم إياه في الدنيا كما قال – تعالى: ﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ ﴾ ([1])

---

[1] – سورة الحجر الآيتان ٩٢–٩٣

[2] – سورة الاعراف الآية ٦

[3] –الإمام الترمذي ، سنن الترمذي، رقم (٢٤١٦) باب في القيامة .

[4] – الإمام أحمد ، مسند أحمد، رقم (٢٣٦٢٥) ،ج٣٩،ص٣٦.

فهذا النعم الذي تتفاخرون به ، وتعدونه سبباً من أسباب التباهي ، ستسألون عنه ماذا صنعتم به؟ وهل أدّيتم حق الله فيه؟ فإذا كنتم لم تفعلوا ذلك ، كان هذا النعيم لكم غاية الشقاء في الآخرة .

قال القرطبي [2]: " واختلف أهل التأويل في النعيم المسؤول عنه على عشرة أقوال :

١- الأمن والصحة ؛ قاله ابن مسعود ذلك .

٢- الصحة والفراغ ؛ قاله سعيد بن جبير . وفي البخاري عن ابن عباس – رضى الله عنهما – قال : قال النبي – صلى الله عليه وسلم (نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس ، الصحة والفراغ) [3]

٣- الإدراك بحواس السمع والبصر؛ قاله ابن عباس . وفي التنزيل :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [4].

وفي الصحيح عن أبي هريرة وعن أبي سعيد قالا : قال: رسول اللّه – صلى الله عليه وسلم – (يؤتى بالعبد يوم القيامة فيقول له ألم أجعل لك سمعا وبصرا ومالا وولدا وسخرت لك الأنعام والحرث وتركتك ترأس وتربع فكنت تظن أنك ملاقي يومك هذا فيقول لا فيقول له اليوم أنساك كما نسيتني) قال أبو عيسى هذا حديث صحيح غريب . ومعنى قوله اليوم أنساك يقول اليوم أتركك في العذاب " [5].

٤- ما لذ من المأكل والمشرب ؛ قاله جابر ابن عبد الله الأنصاري . وحديث أبي هريرةالسابق يدل عليه .

٥- أنه الغداء والعشاء.

٦- قول مكحول الشامي: إنه شبع البطون ، وبارد الشراب ، وظلال المساكن ، واعتدال الخُلق ، ولذة النوم.

٧- وقال مالك رحمه الله: إنه صحة البدن ، وطيب النفس.

٨- وقيل: النوم مع الأمن والعافية.

٩- وقال سفيان بن عيينة: إن ما سد الجوع وستر العورة من خشن الطعام واللباس، لا يسأل عنه المرء يوم القيامة، وإنما يسأل عن النعيم.

---

[1] – سورة التكاثر الآية ٨

[2] – القرطبي ،تفسير ،الجزء الثلاثين، ج٢،ص١٧٦-١٧٧ ،بتصرف

[3] – رواه البخاري في صحيحه رقم(٦٤١٢) كتاب الرقائق باب لاعيش الا عيش الآخرة،ج١٦ ص٢١٢.

[4] – سورة الاسراء الآية ٣٦

[5] – الإمام الترمذي ، سنن الترمذي، رقم(٢٤٢٨) كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ،ج٤،ص٦١٩ .

ثالثاً :عن العهود والمواثيق .

يسأل الله عباده عما عاهدوه عليه لقوله :﴿ وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا ﴿١٥﴾ ﴾ [1] ،وكان هؤلاء المستأذنون – وهم بنوا حارثة – قد هربوا من القتال يوم أحد ، وفروا من لقاء العدو ، ثم تابوا وعاهدوا الله على ألا يعودوا إلى مثلها ، ولا ينكصوا على أعقابهم ، ومن عاهد الله فإن الله سيسأله عن عهده يوم القيامة ، ويجزيه به .

وكل عهد مشروع بين العباد، فإن الله سائل العبد عن الوفاء به ، قال تعالى :﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ [2]

إنه يسأل عن الوفاء بالعهد ويحاسب عليه من ينكث به وينقضه .

رابعاً :عن السمع والبصر والفؤاد .

يسأل الله العباد عن جميع ما يقولونه ، ولذلك حذرهم من القول بلا علم :﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ [3]

فينهى الله – تعالى– العباد عن القول بلا علم ، وبدون تثبت ، فعلى المؤمن أن يمتنع عن الحديث في أمر على الظن والشبهة والتوهم .

وقال ابن عباس في تفسير هذه الآية : لا تشهد إلا بما رأت عيناك ، وسمعته أذناك ، ووعاه قلبك ويقول تعالى للعباد إنه سيسألهم عن أسماعهم وأبصارهم وأفئدتهم يوم القيامة،وعما اجترحته كل جارحة من هذه الجوارح .

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: (إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَا تَجَسَّسُوا) ([4])

---

[1] – سورة الاحزاب الآية ١٥

[2] – سورة الإسراء الآية ٣٤

[3] – سورة الإسراء الآية ٣٦

[4] – الإمام أبو داود ، سنن ابي داوود، رقم(٤٩١٩) باب الظن ج٤،ص٤٣٢.

وعن واثلة بن الأسقع ، قال : سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "إنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْفِرْيَةِ ثَلاثًا ، أَنْ يَفْتَرِيَ الرَّجُلُ عَلَى عَيْنَيْهِ ، يَقُولُ: رَأَيْتُ ، وَلَمْ يَرَ ، وَيَفْتَرِيَ عَلَى وَالِدَيْهِ ، فَيُدْعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ ، وَيَقُولُ: سَمِعَنِي ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنِّي ".[1]

خامساً : عن الكفر والشرك .

أعظم ما يسأل عنه العباد هو كفرهم وشركهم ، فيسألهم – تعالى– عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يعبدونهم من دون الله ،كما في قوله تعالى :﴿ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلۡ يَنصُرُونَكُمۡ أَوۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٩٣﴾ فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٩٤﴾ وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ ﴿٩٥﴾ ﴾[2]

وأبرزت جهنم ، وأظهرت لأهلها الكفرة الطغاة الغاوين ، لتكون بمرأى العين منهم ، وفي ذلك تعجيل لحسرتهم وغمهم وقيل لأهل النار تقريعاً وتوبيخاً : أين الآلهة الذين كنتم تعبدونهم من دون الله من أصنام وأنداد؟

لقد كنتم أنتم تعبدونهم في الدنيا من دون الله – تعالى–، وتعتقدون أنّهم سيشفعون لكم عند الله ، فهل يستطيعون اليوم نصركم أو نصر أنفسهم؟ وهل يستطيعون أن يدفعوا عذاب الله عنكم أو عن أنفسهم ؟

إنكم وإياهم صائرون إلىجهنم وساءت مصيراً ومستقراً . فألقوا في جهنم على وجوههم ، بعضهم فوق بعض (كُبْكِبُوا) هم وقادتهم وكبراؤهم ، الذين دعوهمإلى الشّرك . وقذف في النار معهم جنود إبليس الذين كانوا يزينون لهم الشرك والمعاصي ، فصاروا جميعاً في النار .

وقال تعالى :﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[3]

واذكر أيها الرسول حين يوبخ الله – تعالى– المشركين المضلين يوم القيامة ، فيسألهم قائلا : أين الآلهة التي كنتم تعبدونها في الدار الدنيا من الأصنام والأنداد والجن . . هل يدفعون عنكم اليوم ، أو يشفعون فيكم ؟.

وقال تعالى :﴿ وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾[4]

---

[1] – ابن حبان ، صحيح ابن حبان، رقم (٣٢)باب الاعتصام بالسنة نقلاً وامراً وزجراً ،ج١،ص٢١٥.

[2] – سورة الشعراء الآيات ٩١–٩٥.

[3] – سورة القصص الآية ٦٢

[4] – سورة القصص الآية ٧٤

ويوم القيامة ينادي الرب–تعالى المشركين على رؤوس الأشهاد موبخاً ومقرعاً ، فيقول لهم : أين الذين كنتم تزعمون في الدار الدنيا أنهم شركائي ، هلا دعوتموهم لِ يخلصوكم مما أنتم فيه اليوم ؟

ويسألون عن عبادتهم لغير الله من تقديم القرابين للآلهة التي كانوا يعبدونها ونحر الذبائح بأسمائها:﴿ وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾[1] ، فيخبر الله – تعالى– أن المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ، جعلوا للأصنام والأوثان التي لا يعلمون لها ضرا ولا نفعاً ، نصيباً مما رزقهم الله . فأقسم – تعالى– بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الافتراء والإفك ، وليقابلنهم عليه ، وليجازينهم أوفى الجزاء ، يوم القيامة .

قوله تعالى : ويجعلون لما لا يعلمون أي الآلهة التي عبدوها وهم لا يعلمون لها شيئاً من الصفات التي يجب أن تتوفر فيمن يعبد .

ويسألون عن تكذيبهم للرسل:﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴾[2] .

ثم ينادي الله – تعالى– المشركين ويسألهم عما أجابوا به على دعوة المرسلين إليهم ، وكيف كان حالهم معهم حينما أبلغوهم دعوة ربهم ؟

فلا يجدون ما يردون به على السؤال فيسكنون وتخفى عليهم الحجج وكل طرق العلم التي كانت تجُديهم نفعاً في الحياة الدنيا ، فلا يسأل بعضهم بعضاً ، لتساويهم جميعاً في عمى الأنباء عليهم ، والعجز عن الجواب .

ب–الميزان:

لقد جعل الله تعالى الميزان آلة الحساب وهو دليل العدل وأعطاء كل ذي حق حقه فالمحسن يجازى بالاحسان إحساناً وجناناً ويجازى المسيئ سيئة ونيراناً وبعد الميزان تكون نتيجة الجزاء بحسب العمل. "و لقد أحسن من قال :
تذكر يوم تأتي الله فرداً و قد نصبت موازين القضاء **و هتكت الستور عن المعاصي و جاء الذنب منكشف الغطاء"([3])

١– معنى الميزان في اللغة والاصطلاح :

في اللغة :– يقول الإمام الرازي :"قلت معناه يساوي درهماً في القيمة لا في الثقل كذا وقع لي".[1]

---

[1] – سورة النحل الآية ٥٦

[2] – سورة القصص الايتين ٦٥–٦٦

[3] – ابن كثير : التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة،ص٤٠٨،مرجع سابق .

أي معناه المساواة والعدل .

وذلك لقوله– صلى الله عليه وسلم – في الحديث لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافر شربة ماء " [٢] .

والمعنى في الحديث أي تعادل وتساوي .

في الاصطلاح :– للميزان عدة اصطلاحات ،وذلك لاختلاف العلماء فيه، وهي كما يلي :

– القول الأول : وهو قول الجمهور وذلك كما أشار إليه أكثر الكتاب ".[٣]

وهو أن المراد بالميزان في الاصطلاح الشرعي ، الميزان الذي أخبر الله عنه في كثير من آيات القرآن الكريم وأخبر عنه حضرة خاتم الأنبياء والمرسلين– صلى الله عليه وسلم –على أنه " ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها يوم القيامة وقد أخبر الله –تعالى– في كتابه إجمالاً دون تفصيل ثم فصّل ذلك المجمل النبي– محمد صلى الله عليه وسلم– لذا يقول الإمام الأشعري موضحاً للميزان على هذه الصفة "قال أهل الحق في تعريف الميزان :له لسان وكفّتان توزن في إحدى كفتيه الحسنات وفي أخرى السيئات فمن رجحت حسناته دخل الجنة ومن رجحت سيئاته دخل النار ومن تساوت حسناته وسيئاته تفضل الله عليه فأدخله الجنة".[٤]

فالميزان في عقيدة أهل الحق ميزان حسي له لسان وكفّتان إحداهما نيرّة وهي اليمنى المعدة للحسنات والأخرى مظلمة وهي اليسرى المعدة للسيئات ".[٥]

– القول الثاني : وهو بمعنى العدل والإنصاف والقضاء السوي لإن حمل الوزن على هذا المعنى سائغ في اللغة وذلك لإن العدل في الأخذ والإعطاء لا يظهر إلا بالكيل والوزن في الدنيا ،فلا يبعد جعل الوزن كناية عن العدل "[٦].

فمن خلال هذه الأقوال فالقول الأول الذي عليه الجمهور هو القول الراجح لإن المحاسبة لتقدير الأعمال والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها".[٧]

---

[١] – الرازي ، مختار الصحاح ، ص٧١٩ ،مادة وزن .

[٢] – ابن ماجه ،سنن ابن ماجة ،باب مثل الدنيا ج٢ ص١٣٧٦ رقم ٤١١٠،تحقيق محمد فؤاد ،دار الفكر .

[٣] – د. رشدي عليان و د. قحطان الدوري ،أصول الدين الإسلامي ، ص ٤٧٣ ط٤ دار الحكمه بغداد ١٩٩٠ م .

[٤] – الأشعري ،مقالات الإسلامين وإختلاف المصلّين ، ج٢ ،ص١٤٦ ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، ط٢ النهضه المصرية ١٩٦٩م

[٥] – محمد أمين الكردي الشافعي ،تنوير القلوب في معاملة علاّم الغيوب ، ص٧٢-٧٣،ط١ ، ١٣٨٤هـ

[٦] – السيد الشريف محمد الجرجاني ، شرح المواقف ، ج٨ ص٣٢١ دار الطباعة العامرة

[٧] – المرجع السابق ص٥٩٤

وذلك لقوله –تعالى:﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾.[1]

٢– <u>أدلة إثبات الميزان</u> :

وحيث ورد ذكر الميزان يوم القيامة في القرآن في أكثر من موضع وكذلك في السنة النبوية الشريفة مما يدل على ثبوته ثبوتاً واضحاً ، أما من القرآن الكريم .

فكانت كما يلي :–

١– قوله تعالى: ﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾[2]

ففي هذه الآية الكريمة تتجلى عظمة الفضل الإلهي وحقيقة العدل الإلهي على أن هذا الميزان يأتي على مثاقيل الحبات الصغيرة ومقادير الذرات التي لا تكاد تُرى . ويقول أبو السعود في تفسير هذه الآية " أي وإن كان في غاية القلة والحقارة فإن حبة الخردل مثلٌ في الصغر" [3].

٢–ويقول تعالى أيضاً في آية أخرى﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴾.[4]

و يؤكد الإمام القرطبي ذلك في تفسير هذه الآية فإن ابن عمر عبدالله يقول :" توزن صحائف الأعمال وهذا هو الصحيح وهو الذي ورد به الخبر ".[5]

٣– ويقول الله – تعالى– أيضاً :﴿ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ ﴾.[6]

ففي الآية الكريمة دليل على وجود الميزان يوم القيامة .

---

[1] – سورة الأنبياءالآية ٤٧

[2] – سورة الانبياء الآية ٤٧

[3] – ابي السعود ،تفسير ج٣ ،ص١٢٤ ،مطبوع بها مش الإمام الرازي ،ط١، دار الفكر بيروت

[4] – سورة الأعراف الآيات ٨–٩

[5] – أبي عبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن تفسير ، ج٧ ،ص١٦٥ ، دار إحياء التراث العربي ، تحقيق أحمد عبد العليم البيروني

[6] – سورة القارعة الآيات ٦ – ٩

٤ – وقوله تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ﴾[1].

أي لا نجعل لهم ثقلاً في الميزان ،أي : لا تثقل بهم موازينهم ،لإن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وهذا ما قاله الطبري عند تفسير " فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا".[2]

فإلالة الآيات الكريمة السابقة وغيرها على إثبات الميزان يوم القيامة أمرٌ ظاهرٌ فقد وصفت بالثقل والخفة حيث إن من ثقل ميزانه فقد أفلح وعاش عيشة راضية ومن خف ميزانه فقد خسر وهوى في جهنم ، فلا بد من العمل لتلك اللحظات .

فكما أن القرآن الكريم قد أكثر من ذكر الميزان والأعمال فيه، فكذلك السنة المطهرة ، فإن حديث النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– قد كثر في ذكر الميزان وأحوال الناس بعد الوزن في الأعمال فقد وصل ذلك إلى حد إجماع أهل العقائد .

فمن أدلة إثبات الميزان في السنة المباركة ما ورد أن النبي –صلى الله عليه وسلم – أخبر أن هناك أعمال تثقل الميزان وتكون ثقيلة عند الوزن ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة – رضي الله عنه–قال ، قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم– " كلمتان حبيبتان إلى الرحمن خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم".[3]

فقد بين – صلى الله عليه وسلم – من خلال هذا الحديث أن هناك كلمات ثقيلة الوزن في الميزان وهناك أخرى غير ذلك ، ومن تلك الأحاديث ،الحديث الذي يرويه أبي هريرة أيضاً عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– أنه قال :

" إنه لياتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة إقرؤو ا إن شئتم :

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا ١٠٥ ﴾.[4]

فمن خلال هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة تبين لنا أن هناك ميزان للوزن يوم القيامة ، ولكن الخلاف الذي حصل بين أهل العلم في ما هو الموزون في الميزان ؟ الصحف أم الأعمال أم العامل ؟

على أقوال خمس وهي كما يلي : [1]

---

[1] – سورة الكهف الآيات ١٠٥

[2] – محمد الطبري ،تفسير الطبري المسمى جامع البيان في تفسير القرآن ، ج١٦ ،ص٣٥،دار الحديث القاهرة

[3] – الإمام مسلم ،صحيح مسلم ،ج٥،ص٥٤٨ ،كتاب الذكر والدعاء والتوبة ،باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، مرجع سابق

[4] – سورة الكهف الآية ١٠٥

* صحيح مسلم ،ج٥، ص٦٥٥،كتاب صفات المنافقين،باب حدثنا أبو بكر بن إسحاق ،مرجع سابق

القول الأول : وزن العامل نفسه . أي : صاحب العمل هو الذي يوزن و هو قول ضعيف ليس لقائله دليل و لا نصير من العلماء .

القول الثاني : وزن العمل الذي يقوم به العامل. فقد قال به بعض المفسرين والعلماء.

القول الثالث : وزن صحف الأعمال وهو قول الجمهور كما يقول الألوسي في تفسيره.

القول الرابع :وز ن كل من العامل والصحف والأعمال ، يقول بذلك صاحب كتاب شرح الطحاوية "

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان ، والله أعلم لما وراء ذلك من الكيفيات"[٢]

القول الخامس :الوزن يكون لعلامات الأعمال . حيث إن العلامات هي التي توضع في كفتي الميزان .

والرأي الراجح- والله أعلم- القول الثالث الذي عليه الجمهور، والقائل بأن الوزن يكون لصحائف الأعمال .هذا وقد تناولنا سابقاً في الحديث عن الميزان الأدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة التي تثبت ذلك بصريحها و تناولنا أيضاً الحديث عن ماهية الموزون .

٣- الآراء الكلامية في الميزان:

أولاً :المثبتون للميزان : يشار إلى أن أصحاب هذا المذهب والقائلو ن به هم :" الرعيل الأول من الصحابة والتابعين لهم وجمهور المفسرين وغيرهم والسواد الأعظم من المسلمين، من الأشاعرة والماتريدة والحنابلة ".[٣]

١- أهل السنة والجماعة :

يقر أهل السنة من الأشاعرة وكما تقدم عند التعريف الاصطلاحي، بوجود الميزان يوم الجزاء على الصفة المذكوره في الأحاديث الشريفة لوزن أعمال الخلق ومن ينكره فهو كافر معاند لرب العالمين كما يؤكد ذلك الاعتقاد ويبينه صاحب العقيدة النظّامية بقوله : "وأما الميزان فهو كائن معترف به وإن جحده معاند وإن زعم أن الأعمال أعراض لا توزن، قيل الموزون صحائف الأعمال ثم الله يزنها ويخفظها في الميزان على قدار ز نتها في عمله وقد تواترت الأخبار في الميزان وصفته

---

١ – أنظر: مراد الجنابي ،كتاب الحوض والصراط والميزان في القرآن الكريم ، ص٢٨٠-٢٩٥، دار الكتب العلميةبمصر ف

٢ – ابن أبي العز الحنفي ، شرح العقيده الطحاوية ، ص٤٧٥،ط٤،المكتب الإسلامي ١٣٩١ هـ .

٣ – د. مراد الجنابي ،الحوض والصراط والميزان ، ص٣٤٦ ،مرجع سابق .

وذكر وصف كفتية وترجحهما بالطاعات والسيئات ومن أنكر هذه الأشياء فما أحراه بأن ينكر النشر والحشر وإحياء العظام وهي رميم وبدائع الآيات وفنون المعجزات أعاذنا الله من الضلالات بمنه ولطفه"[١].

و يعتقد علماء السلف نَّ الميزان موجود و أنه حقيقي و له عمود ولسان وكفتان وتوزن به أعمال العباد"[٢].

كما يشير إلى ذلك أيضاً صاحب شرح الطحاويةمثبتاً القول بأن الأعمال توزن في الميزان:

"والذي دلت عليه السنة أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان... ثم قام بالاستدلال على ذلك بأدلة كحديث البطاقة فقال:- فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال وثبت أن الميزان له كفتان والله - تعالى- أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات"[٣]

ويبين ذلك أيضاً صاحب لوامع الأنوار بقوله : "ونؤمن بأن الميزان توزن به الحسنات والسيئات حق ، قالوا:- وله لسان وكفتان توزن الحسنات في أحسن صور ة والسيئات في قبح صور ة،ثم يورد قول العلامة الشيخ مرعي في بهجته "الصحيح أن المراد بالميزان الميزان الحقيقي لا مجرد العدل خلافاً لبعضهم "[٤].

فتبين من خلال ذلك أن اعتقادالسلف في الميزان على نه حقيقي كالذي نعرفه في الدنيا.

٢- الشيعة:

لقد أثبت الشيعة الإمامية الميزان كما أثبته المعتزلة، ولكنهم اختلفوا في الكيفية التي يكون عليها في ذلك اليوم، و يبين ذلك ابن المطهر الحلي بقوله :"وقد أخبر الله تعالى بوقوعها فيجب التصديق بها لكن اختلفوا في كيفية الميزان وقال شيوخ المعتزلة : إنه يوضع ميزان حقيقي له كفتان يوزن به ما يتبين من حال المكلفين في ذلك الوقت لأهل الموقف بأن يوضع كتاب الطاعات في كفة الخير ويوضع كتاب المعاصي في كفة الشر ويجعل رجحان أحدهما دليلاً على إحدى الحالتين أو بنحو من ذلك لورود الميزان سمعاً ، والأصل في الكلام الحقيقة في إمكانها قال جماعة من البصريين و آخر ين من البغدادو ن المراد بالموازين ، العدل دون الحقيقة".[٥]

---

١ - الإمام الجويني ،العقيدة النظامية في الاركان الإسلامية، ص٧٩-٨٠، تحقيق محمد زاهد الكوثري ،. المكتبة الازهرية للتراث ١٩٩٢م

٢ - انظر،لمعة الاعتقاد، ص٢٢، مرجع سابق

٣ - انظر،شرح الطحاوية ص٣٣٦-٣٣٧ مرجع سابق .

٤ - شمس الدين أبو العون السفاريني لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الأثرية لشرح الدره المضية في عقد الفرقه المرضية ، ج٢ ص١٨٤،ط٢ ، مؤسسة الخافقين دمشق ١٩٨٢م.

٥ - ابن المطهر الحلي ،كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٣٣٨ مرجع سابق

فمن خلال هذا النص نجد ان الشيعة يقرون بالميزان بكفتين كفه يوزن فيها كتاب الخير وكفه يوزن فيها كتاب الشر كما هو الميزان المعروف لدينا في هذه الحياة.

وكما يؤكد ذلك صاحب كتاب الأساس حيث يورد قوله – تعالى– في التدليل على ذلك "والوزن يومئذ الحق "[1]

ثم يقول وهذا نص صريح أيضاً إن الموازين هي القسط والعدل ،وكان الميزان الذي انزله الله – تعالى– في الدنيا حيث قال : "وانزلنا معهم الكتاب والميزان "[2]

قالوا أي : أهل السنة أو من يطلق عليهم لقب الحشوية عن ابن عباس– رضي الله عنه –أنه قال في صفة الميزان دون العمود كما بين المشرق والمغرب وكفة الميزان كاطباق الدنيا قلنا لا وثوق برواية من روى هذا عنه"[3]

هذا وقد تناولنا في بداية هذا المبحث أدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ،وهذه هي ذاتها الأدلة التي اعتمدوا عليها في إثبات الميزان، وقالوا بها وهذا الرأي هو ما عليه الجمهور والإجماع .

ثانياً : المنكرون للميزان :

يقول ابن حزم : "وأما الميزان فقد أنكره قوم فخالفوا كلام الله جرأة وإقداماً فقال تعالى:

﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ﴾.[4]

ومن الذين أنكرو الميزان المعتزلة ، حيث وقع تضارب في الآراء حول اعتقادهم عند الإمام الإيجي، وكذلك عند القاضي عبد الجبار في شرح الأصول.

والرأيان مغايران بعضهما لبعض تماماً ولا بد من بيان ذلك ،أما الإمام الإيجي ، فيقول:" وأما الميزان فأنكره المعتزلة عن آخرهم ، لأن الأعمال أعراض ، وإن أمكن إعادتها لا يمكن وزنها إذ لا توصف بالخفة ولا الثقل، وأيضاً فالوزن بمقدارها وهي معلومة لله –تعالى–فلا فائدة فيه، فيكون قبيحاً تنزه عنه الرب تعالى"[5]

فمن خلال هذا الكلام نجد أنهم أنكروا الميزان وذلك لأسباب ثلاثة وهي :–

---

[1] – سورة الاعراف الآية ٨ .

[2] – سورة الحديد الآية ٢٥.

[3] – القاسم بن محمد علي ، الأساس لعقائد الأكياس ، تحقيق د. البير نصري ص٢٠١ ، دار الطليعة، بيروت ١٩٨٠م.

[4] – سورة النورالآية ١٥ * ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ،ابن حزم الأندلسي ،ص٦٥،ج٤،ط١،المطبعة الادبية ،١٣٢٠ هـ

[5] – عضد الدين الإيجي القاضي ،المواقف ، ص٣٨٤،المكتبه القادرية ،بغداد .

لأن الأعمال أعراض فإذا أمكن إعادتها لا يمكن وزنها .

لان الأعراض لا توصف بالخفة والثقل.

لإن الأعمال معلومة لله –تعالى– لذا فوزنها يكون عبثاً فلا فائدة منه .

وهؤلاء استندوا إلى هذه الأسباب التي لا تستند إلى دليل. فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية تثبت وجوده كما تقدم.

وهناك من يقول:الميزان هو عبارة عن ضربُ مَ ثل ، كما يقول:" مجاهد والضحاك والأعمش ، الميزان : بمعنى العدل والقضاء ".[1]

ولكننا نجد في شرح الأصول الخمسة غير هذا الذي تقدم حيث يقول شارح كتاب الأصول الخمسة موضحاً اعتقادهم في الميزان بقوله : "و أما وضع الموازيين فقد صرح الله – تعالى– في محكم كتابه ،قال تعالى :﴿ وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ﴾(سورة الأنبياء: ٤٧)

وقوله تعالى:﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ ﴾ (سورة لمؤمنون: ١٠٢)

إلى غير ذلك من الآيات التي تتضمن هذا المعنى، ولم يرد الله – تعالى– بالميزان الا المعقول منه المتعارف فيما بيننا دو ن العدل وغيره على ما يقوله بعض الناس لأن الميزان و إن ورد بمعنى العدل في قوله :﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ﴾ (سورة الحديد: ٢٥) فذلك على طريق التوسع والمجاز وكلام الله – تعالى– مهما أمكن حمله على الحقيقة لا يجوز أن يعدل به عنه إلى المجاز.

ثم يوضح الرد على من يقول إن الميزان هو العدل بقوله: "أنه لو كان الميزان إنما هو العدل ،لكان لا يثبت للثقل والخفة فيه معني ، فدل على أن المراد به الميزان المعروف الذي يشتمل على ما تشتمل عليه الموازين فيما بيننا"([2])

وهذا يوضح أن المعتزلة يثبتون الميزان على الشكل الذي هو معروف لدينا ومعقول عندنا . ويردون على من يقول إن الميزان هو المجاز وهو العدل وان الله – تعالى– قادر على أن يجعل الظلم له وزن كذلك الطاعه وغيرها .

وهذا ما أرجحه في اعتقادهم، وليس ما ورد آنفاً في كتاب الإيجي .

---

[1] – الحافظ القرطبي، التذكره في أحوال الموتى وأمور الآخرة ، ص٣١٣ ،دار ابن زيدون بيروت

[2] – القاضي عبد الجبار،شرح الاصول الخمسة ،ص٧٣٥،تعليق الإمام أحمد بن الحسينبن هاشم ،تحقيق د.عبد الكريم عثمان ،ط٣،مكتبة وهبة ،عابدين القاهرة ١٩٩٦م.

أما الخوارج فيقولون بوجود الميزان ولكن ليس كما نؤمن به نحن بل يؤمنون أن هناك تمييز بين الحسن والسيء في هذه الأعمال ويقولون إن الميزان ميزان معنوي وإنه ليس له عمود ولا لسان ولا كفتان كما هو مشهور وكما يؤكد ذلك صاحب النونية النفوسي بأبيات شعر بقوله:

فوزن أفاعيل العباد تميز ينظر في عقبى سيء ومحسن

وليس بميزات العمود وكفه بل الوزن للنيات من كل دين[1]

و كما يؤكد ذلك أيضاً النفي لصفة الميزان بالعمود والكفتين واللسان ،السالمي، وهو من شعراء الأباضية أيضاً بقوله:"

وما هنالك ميزان يقام كما قالوا عمود وكفات عملاً

و إنما الوزن حق منه عزا لم تسمع إلى آية الأعراف محتفلاً "[2]

لذا فإنا نجد هناك من يثبت الميزان ولكنه ينفي وزن الأعمال .ففيهم يقول الإمام الأشعري :"وقال قائلون بإثبات الميزان وأحالوا أن توزن الأعراض في كفتين، ولكن إذا كانت حسنات الإنسان أعظم من سيئاته رجحت إحدى الكفتين على الأخرى فكان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل الجنة وكذلك إذا رجحت الأخرى السوداء كان رجحانها دليلاً على أن الرجل من أهل النار".[3]

فهناك سؤال منطقي يتبادر إلى الذهن عند الرد عليهم. لماذايوجد ميزان بلا وزن ؟ فقولهم هذا مردودٌ عليهم.

ونجد هناك من قال إن الموازين موجودة ولكن بخلاف موازين الدنيا . وهذا القول قال به ابن حزم الظاهري :

" ونقطع أن تلك الموازين أشياء يبين الله –تعالى–بها مقادير أعمالهم من خيرٍ أو شرٍ من مقدار الذرة التي لا نحس وزنها في موازينا أصلاً فما زاد ولا ندري كيف تلك الموازين إلا أننا ندري أنها بخلاف موازين الدنيا وأن ميزان من تصدق بدينار أو بلؤلؤة أثقل ممن تصدق بكذانة* وليس هذا وزناً ... إلى أن قال ولو نصح المعتزلة أنفسهم لعلموا أن هذا عين العدل وأما من قال بما لا يدري أن ذلك الميزان ذو كفتين فإنما قاله قياساً على موازين الدنيا وقد أخطأ في قياسه إذ في موازين الدنيا ما لا كفة له كالقرسطون* وأما نحن فإنما اتبعنا النصوص الواردة في ذلك فقط ولا نقول إلا بما ورد به القرآن أو السنة

---

[1] –أنظر: الشيخ ابن نصر فتح بن نوح النفوسي، متن النونية في عقيدة التوحيد ،ص ٢٥،المطبعة العربية الجزائر .

[2] –أنظر: السالمي ، غاية المراد في نظم الاعتقاد، ص٩ ، مرجع سابق .

[3] – الأشعري ،مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلّين ، ج٢ ،ص١٤٦،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،ط٢ ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة .*كذانة:قطعة حجر رخوة .انظرالمحيط في اللغة ،إساعيل الطالقاني ج٦ *القرسطون: ميزان ليس له كفتان .

الصحيحة عن النبي– صلى الله عليه وسلم – ولا ننكر إلا ما لم يأت فيهما ولا نكذب إلا بما فيهما إبطاله وبالله – تعالى– التوفيق ."[1]

وهذا الرأي والذي يأخذ الوجهة الظاهرة ويلتزم بها فهو صحيح ونؤيده ولكن لا نؤيده مجرداً عن كل وصف، وهو ما عليه الجمهور والإجماع ، لذا فإن الإيمان بالميزان حسب ما ورد في الكتاب والسنة واجب ومعلوم من الدين بالضرورة.

وأختم كلامي بقول الشيخ أبو دقيقة :" لم ير د في وصفه (الميزان) ما يصح الاعتماد عليه فيجب الإيمان به وتفويض علم حقيقته إلى الله –تعالى–ولا داعي لصرف الآيات عن ظاهرها وتأويل الميزان بأنه العدل الثابت في كل شيء كما قالت المعتزلة ، وسبق الحديث عنه محتجين بأن الأعمال أعراض لا توزن فإن الآيات القرآنية يتبادر منها أن المراد بالميزان المعنى العرفي وهو ما يعرف بأعمال العباد من خير وشر وحيث إن القرآن أطلقه ، فالمتبادر للأذهان هو المعنى المتعارف عليه وعلى كل، فمنكر أصل الميزان كافر حيث إنه ورد في كتاب الله –تعالى–ما يثبت ".[2]

من الأمور الغيبية التي يجب الإيمان بها الميزان ، هو ميزان حقيقي له لسان وكفتان توزن بها صحائف أعمال العباد خيرها وشرها، وكما سبق فقد أخبر الله – تعالى–عنه في القر آن الكريم إخباراً مجملاً من غير تفصيل لحقيقة واقعة ومن ثم جاءت السنة النبوية الشريفة فبينت ذلك وقد أجمع المسلمون على القول بوجوده إلا قليلا.

---

[1] – ابن حزم الأندلسي ، الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ص٦٦–٦٧،ج٤ المطبعة الأدبية ١٣٢٠ هـ مرجع سابق.

[2] – محمود أبو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد ، ج٣ ص١٧٤ ،مرجع سابق

المبحث الثالث : الآراء الكلامية في:

المطلب الأول: الشفاعة .

المطلب الثاني : رؤية رب العزة سبحانه وتعالى .

المطلب الثالث: كلام رب العزة سبحانه وتعالى .

المطلب الأول: الشفاعة :

تمهيد :

أولاً : الشفاعة في اللغةو الاصطلاح والادلة عليها من القرآن والسنة.

أ- الشفاعة لغة .

ب-الشفاعة اصطلاحاً .

ج- الادلة على الشفاعة من القرآن والسنة والاجماع.

ثانياً : الشفاعة المتفق عليها والشفاعات المختلف فيها:

أ- الشفاعة المتفق عليها .

ب- الشفاعات المختلف فيها.

ثالثاً : المثبتون للشفاعة في العصاة والنافون لها .

أ- المثبتون للشفاعة في العصاة .

ب- النافون للشفاعة في العصاة .

تمهيد :

إن من رحمة الله -تعالى - أن جعل للمذنبين من الموحدين يوم الحشر الأكبر شفاعة . والشفاعة هي رجاء وضراعة يعطيها الله -تعالى - من شاء من عباده وهي ثابتة للشفعاء من الأصفياء يوم القيامة ،فيأذن الله -تعالى- لمن شاء بها

لقوله تعالى :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [(١)]

وقوله أيضاً ﴿ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [(٢)]

فهي بمثابة منحةٌ من الله عز وجل للمقربين أصحاب الوسيلة والفضيلة والدرجات العالية الرفيعة عند الله –تعالى – فيقبل الله –تعالى– رجاءهم فيشفعهم في من شاء سبحانه بفضله وبرحمته وبإذنه.

ولا بد في هذا المبحث أن أتناول مفهوم الشفاعه في اللغة والاصطلاح ، وكذلك الآيات القرآنية الدالة على الشفاعة وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة والقدسية و التي أكدت بدورها حقيقة الشفاعة وثبوتها لنبينا محمد– صلى الله عليه وسلم– ولغيره وبيان وجه الاستدلال بها .. ومن ثم بيان المثبتين للشفاعة .وأدلتهم وبيان المنكر ين النافين للشفاعة وأدلتهم وبعد ذلك بيان الرأي الراجح في هذه المسألة .

أولاً : الشفاعة في اللغةو الاصطلاح والادلة عليها من القرآن والسنة.

أ– الشفاعة لغة:

مأخوذة من الشفع وهو ضد الوتر أو خلاف الوتر نقول كان وتراً فشفعته شفعاً ."[(١)]

---

١ – سورة البقرة الآية ٢٥٥

٢ – سورة يونس الآية ٣

وفي لسان العرب وقد روي عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله –تعالى :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ ﴾ [2] ، قال الشفاعة الدعاء ها هنا" .[3]

وأنا أقول الشفاعة القوة أي تجعل الضعيف قوياً لوجود ما يبرر تلك الشفاعة أي التقوية بفعل الدعاء والطلب .

ب- الشفاعة في الاصطلاح :

وقد وردت عدة اصطلاحات للشفاعة وهي تدور حول معنى واحد وهو طلب الخير للغير أو دفع الضر عنه . لذا فيقول الإمام القرطبي* في بيان معنى الشفاعة "الشفاعة هي ضم غيرك إلى جاهك ووسيلتك فهي على التحقيق إظهار لمنزلة الشفيع عند المشفع وإيصال المنفعة إلى المشفوع له"[4]

وقد ورد في الأحاديث عن النبي– صلى الله عليه وسلم – ما يثبت هذا المعنى ويؤكده ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة*– رضي الله عنه –قال : "قال سمعت رسول الله– صلى الله عليه وسلم– يقول :في صلاة الجنازة : اللهم أنت ربها وأنت خلقتها وأنت هديتها للإسلام ، وأنت قبضت روحها وأنت أعلم بسرها وعلانيتها جئنا شفعاء فاغفر لها"[5]

ففي الحديث دليل على معنى الشفاعة في الاصطلاح كما مر إذ تدور الشفاعة حول التوسط بالخير عند صاحب الخير.

ج- الادلة على الشفاعة من القرآن والسنة والاجماع.

ولأدلة على الشفاعة الأخروية ثابتة في القرآن الكريم والسنة المطهرة و كذلك إجماع الأمة .

- أما الأدلة من القرآن الكريم فهي كما يلي:

---

[1] – الجوهري ،الصحاح تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ،ج٣،ص١٢٣٨،دار العلم للملايين ط،١٩٨٤م

[2] – سورة البقرة الآية ٢٥٥

[3] – ابن منظور ، لسان العرب، ج٨،ص١٨٤،مادة شفع ،دار صادر بيروت لبنان ،ط١، ١٩٥٥م

[4] – الجامع لأحكام القرآن القرطبي ،ج٥،ص٢٩٥،دار الفكر بيروت لبنان،ط١، ١٩٨٧ م

* الإمام القرطبي : هو أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري الأندلسي القرطبي المالكي الإمام المفسر الفقيه من مصنفاته الجامع لأحكام القرآن والتذكرة ....وغيرها ،توفي سنة ٦٧١هـ في شمال أسيوط بمصر (انظرشذرات الذهب) لابن عماد (ج٥،ص٣٣٥،مجلد ٣)

[5] – أخرجة الإمام أحمد ،ج٢، ٣٤٥-٣٦٣،حديث رقم ٨٥١٩، مسند المكثرين، مسند أبي هريرة ، دار صادر ،بيروت لبنان .

* أبو هريرة :اختلف في اسمه اختلافاً كبيراً وأرجح الأسماء عبد الرحمن بن صخر الدوسي ،كناه الرسول– صلى الله عليه وسلم– بأبي هريرة لهرة كان يحملها في كمه ، أسلم عام خيبر، كان من المكثرين للحديث وحفظه ،توفي سنة ٥٧-٥٨-٥٩ هـ وهو ابن ٧٨(انظرالإصابة في تمييز الصحابة ،ابن حجر ج ٤ ، ص٢٠٢-٢١١) ترجمة رقم ١١٩٠ دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان،ط ١ ،١٣٢٨هـ

قوله تعالى:﴿ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴾[١]

وقوله تعالى :﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾[٢]

وقوله تعالى:﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴾.[٣]

فهذه الآيات الكريمة تدل دلالة واضحة على أن الشفاعة ثابتة بإذن الله –تعالى – يوم القيامة وقد اقتصرت على هذه الآيات الكريمة لشمولها على المطلوب في المجال مع وجود الكثير من الآيات التي تحمل في طياتها إثبات الشفاعة .

– أما الأدلة من السنة النبوية الشريفة فمنها ما يلي:

لقد ورد فيها الأحاديث الكثيرة التي بلغت حد التواتر وهي أيضاً صحيحة وصريحة في إثبات الشفاعة يوم القيامة فلا بد من إيراد بعض هذه الأحاديث للاستشهاد بها .

ففي الحديث الذي يرويه أبو هريرة– رضي الله عنه– قال ، قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ،وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع ، وأول مشفع"[٤]

وفي الحديث الذي يرويه أنس بن مالك– رضي الله عنه– عن النبي– صلى الله عليه وسلم– قال: "لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيب فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة"[٥]

وكذلك في حديث الشفاعة الطويل الذي يقول فيه– صلى الله عليه وسلم :"... فأقول يا رب ائذن لي فيمن قال لا إله إلا الله ، فيقول وعزتي وجلالي وكبريائي وعظمتي لأخرجن منها من قال لا إله إلا الله"[٦]

فهذه بعض الأحاديث التي تثبت الشفاعة وسيأتي إيراد بعض الأحاديث الأخرى في مكانها عند الحديث عن الرد والرأي الراجح إن شاء الله تعالى .

---

[١] – سورة الأنبياء الآية ٢٨

[٢] – سورة طه الآية ١٠٩

[٣] – سورة النجم الآية ٢٦

[٤] – صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ،باب تفضيل نبينا– صلى الله عليه وسلم –على جميع الخلائق، ج٤،ص١٧٨٢،حديث رقم ٢٢٧٨

[٥] – المرجع السابق ،كتاب الإيمان،باب اختباء النبي– صلى الله عليه وسلم –دعوة الشفاعة لأمته ،ج١،ص١٨٩،حديث رقم ١٩٩

[٦] – المرجع السابق،كتاب الإيمان،باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها،ج١،ص١٨٢–١٨٤،حديث رقم ١٩٣،ورواية أنس بن مالك واللفظ للبخاري

- أما الإجماع : فقد أجمعت الأمة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد قال الإمام الأشعري في شأن ذلك الإجماع -رحمه الله - ،قوله: الإجماع الثاني والأربعو ن :" أجمعوا على أن شفاعة النبي - صلى الله عليه وسلم- لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً،..."[1]

وقال أيضاً "وقد أجمع المسلمون أن لرسول الله- صلى الله عليه وسلم - شفاعة"[2]

ويقول أيضاً الإمام السفاريني في كلامه عن الشفاعة "وانعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة"[3]

فهذه النصوص تبين أن الشفاعة قد أجمع عليها علماء هذه الأمة ولو أردنا استقصاء ما كتب وما قيل في الإجماع لوجدنا الشيء الكثير ، لذا فإنه يتبين لنا أن الإيمان بثبوت الشفاعة واجب على المؤمن طالب الحق بشروطها وأنواعها وأسبابها فلا يجوز إنكارها أو تكذيبها .

لذا يقول الإمام الجويني- رحمه الله- "فمذهب أهل الحق أن الشفاعة حق ..فإذا أثبت جواز التشفيع عقلاً فقد شهدت له سنن بلغت الاستفاضة "[4]

ثانياً : الشفاعة المتفق عليها والشفاعات المختلف فيها:

وبعد هذا لا بد من بيان أن هناك شفاعة متفق عليها عند علماء هذه الأمة وشفاعة مختلف فيها نتناولهما بالحديث على النحو التالي :

أ- الشفاعة المتفق عليها .

أما الشفاعة المتفق عليها عند علماء الأمة تنقسم إلى أكثر من شفاعة ،فمنها ما تعرف بالشفاعة العظمى أو الكبرى وهي التي تكون للناس جميعاً للنجاة من هول الموقف بتعجيل الحساب وتكون لسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم - عندما يعتذر عنها جميع الأنبياء من أبينا آدم إلى سيدنا عيسى- عليهم السلام- ،ومن الأدلة على تلك الشفاعة وهي

---

[1] - الأشعري، رسالة إلى أهل الثغر ، ص٢٨٨،تحقيق عبد الله شاكر،مؤسسة علوم القرآن ،بيروت لبنان ،ط١ ،١٩٨٨ م

[2] - أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص١٦٢،تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان ،دمشق ط٤ ، ١٩٩٩م

[3] - محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، ج٢،ص٢٠٨،تعليق الشيخ عبد الرحمن أبا بطين وسليمان بن سحمان ،المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط٣ ،١٩٩١ م

[4] - الإمام الجويني أبو المعالي، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص٣٣٠،تحقيق أسعد تميم ،مؤسسة الكتب الثقافية ،ط١ ،١٩٨٥ م

كثيرة ما ورد في صحيح البخاري في الحديث الذي يرويه أنس عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنه قال: "يجمع المؤمنون يوم القيامة كذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا فيأتون آدم فيقولون يا آدم . أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده وأسجد لك ملائكته وعلمك أسماء كل شيء اشفع لنا إلى ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا ، فيقول : لست هناك ويذكر لهم خطيئته التي أصاب ولكن ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض ،فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم ، ثم يأتون إبراهيم ثم يأتون موسى ثم يأتون عيسى فيقول لست هناكم ولكن ائتوا محمداً – صلى الله عليه وسلم–عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتونني فأنطلق فأستاذن على ربي، فيؤذن لي عليه فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال لي ارفع رأسك وقل يسمع وسل تعطه وإشفع تشفع وأحمد الله ربي. فأحمد الله بمحامد علمنيها ثم اشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة ثم أرجع فإذارأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع محمد وقل يسمع وسل تعطه واشفع تشفع فأحمد ربي بمحامد علمنيها ثم أشفع فيحد لي حدً فأدخلهم الجنة ثم أرجع فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"[1]

فهذا حديث صحيح ورد بأكثر من سند ومصدر وراوي يثبت شفاعة نبينا –صلى الله عليه وسلم– في تعجيل الحساب والإراحة من هول الموقف وقد أجمعت الأمة على ثبوت هذه الشفاعة.

أما الشفاعة الأخرى،فهي الشفاعة في زيادة ثواب ودرجات أهل الجنة من الشفاعات المتفق عليها أيضاً .

والدليل على هذه الشفاعة ما ورد في حديث أبي موسى الذي يرويه عن النبي– صلى الله عليه وسلم– "اللهم اغفر لعبيد أبي عامر واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك "[2]

فهي تأتي بمثابة الإكرام من الله –تعالى –للمؤمنين فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم زيادة في الدرجات .

ومن الشفاعات المتفق عليها أيظاً و التي تكون في أصحاب الحسنات والسيئات التي تساوت ، أي لم ترجح حسناتهم على سيئاتهم أو العكس.

وعلى أرجح الأقوال فهي تكون في أصحاب الأعراف قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة وهذا ما قاله ابن حجر .[3]

---

[1] – الإمام البخاري، صحيح البخاري،كتاب التوحيد ، ج١،ص٥٧٧،باب قوله –تعالى"لما خلقت بيدي(٧٤١٠) ط٢،دار الفيحاء دمشق ،١٩٩٩ م

[2] – المرجع السابق ، كتاب المغازي باب غزوة أوطاس ، ص٧٣١،رقم ٤٣٢٣.

[3] – فتح الباري في صحيح البخاري،ج١١،ص٤٨٣،كتاب الرقائق،باب القصاص يوم القيامة.

كما دل على تلك الشفاعة في هؤلاء الصنف من أمة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ما أخرجه الطبراني عن ابن عباس الذي قال"السابق بالخيرات يدخل الجنة بغير حساب والمقتصد يدخل الجنة برحمة الله والظالم لنفسه وأصحاب الأعراف يدخلون الجنة بشفاعة- محمد صلى الله عليه وسلم"[1]

وكذلك فإن من الشفاعات المتفق عليها لنبينا محمد- صلى الله عليه وسلم -الشفاعة بفتح أبواب الجنة ودخولها لصنفين : صنف يدخل الجنة بغير حساب وقد أشار إليهم النبي- محمد صلى الله عليه وسلم — بأنهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب وهو الحديث المشهور عن عكاشة بن محصن الذي دعا به الرسول -صلى الله عليه وسلم- أن يجعله منهم السبعين والحديث موجود كاملاً في صحيح البخاري في كتاب الرقائق تحت باب يدخل الجنة سبعون ألفاً بغير حساب رقم (٦٥٤١) ص١١٣٢.

وصنف آخر ، يؤذن لجميع المؤمنين في دخول الجنة برحمة الله -تعالى - وشفاعة النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- أو طلب النبي- صلى الله عليه وسلم- من ربه الزيادة على هؤلاء الذين أشرنا اليهم ، وهذا ما قال به ابن حجر في فتح الباري " ويظهر لي أن دليله سؤاله الزيادة على السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب "[2]

فهذه الشفاعات للنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يختلف فيها اثنان كما هو واضح وذلك لما في هذه الشفاعة من بيان قدر النبي -صلى الله عليه وسلم- عند الله -تعالى - وفضله- صلى الله عليه وسلم- على سائر خلق الله -تعالى - ومن ثم حبه الخير للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله وقدموا لأنفسهم في الآخرة فالنبي- صلى الله عليه وسلم-أولى بهم.

فبعد أن تعرفنا آنفاً على الشفاعة النبوية المتفق عليها والتي كانت متمثلة في الإراحة من هول الموقف للخلق جميعاً ، وذلك لقوله -تعالى :﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [3]

وكذلك الشفاعة في زيادة درجات وحسنات أهل الجنة ومنها أيضاً الشفاعة في الذين تساوت حسناتهم وسيئاتهم وقمنا بإيراد الأدلة على تلك الشفاعات وكان هذا بمثابة مقدمة ليقودنا الحديث عن الشفاعات التي اختلف فيها و التي من خلالها ينقسم علماؤنا فيها إلى قسمين ، قسم يثبت هذه الشفاعات ويدلل عليها وقسم آخر ينفي هذه الشفاعات ويدلل على نفيه .

---

[1] - سليمان بن أحمد الطبراني،المعجم الكبير، تحقيق طارق عوض وعبد المحسن،ط١،ص١٨٩،دار الحرمين القاهرة ١٩٩٥ م

[2] - أحمد بن حجر ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، ج١١،ص٤٢٨،المكتبه السلفية

[3] - سورة الأنبياء الآية ١٠٧

ب- الشفاعات المختلف فيها:

أما الشفاعات التي وقع الاختلاف فيها فهي كما يلي :

الأول: متمثل في تخفيف العذاب عن بعض الكفار الذين ماتوا وهم مصرّون على كفرهم وهذا كما حصل مع أبي طالب عم النبي- صلى الله عليه وسلم- ، وقد ورد في شأن ذلك ما في صحيح مسلم: حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي عُمَرَ حَدَّثَنَا سُفْيَانُ عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ عُمَيْرٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: سَمِعْتُ الْعَبَّاسَ يَقُولُ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ أَبَا طَالِبٍ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَنْصُرُكَ فَهَلْ نَفَعَهُ ذَلِكَ؟ قَالَ: « نَعَمْ وَجَدْتُهُ فِي غَمَرَاتٍ مِنَ النَّارِ فَأَخْرَجْتُهُ إِلَى ضَحْضَاحٍ ».

والضحضاح : هو مارق من الماء و استعير هنا في النار." [1]

إذن فحديث النبي- صلى الله عليه وسلم-واضح في أنه قد نفعه ،وجعله من النار العظيمة إلى النار القليلة الرقيقة منها.

يقول أبو العباس القرطبي في بيان الرد على من خالف هذا الحديث،وأختلف فيه "أي في جواز هذه الشفاعة

" فإن تنزلنا على أنه حقيقة وأنه- صلى الله عليه وسلم- شفع لأبي طالب بالدعاء والرغبة حتى شفع عارضه ، قوله تعالى : { فما تنفعهم شفاعة الشافعين } ، وقوله : {ولا يشفعون إلا لمن ارتضى } ، وما في معناه ويكون الجواب من أوجه (أي الرد) ،أقربها أن الشفاعة المنفية إنما هي شفاعة خاصة وهي التي تخلص من العذاب ، وغاية ما ذكر من المعارضة إنما هي بين خصوص وعموم ولا تعارض بينهم ، إذ البناء والجمع ممكن ،وإن تنزلنا على أنه لسان حال ، فيكون معناه أن أبا طالب لما بالغ في إكرام النبي- صلى الله عليه وسلم- والذب عنه خفف عنه بسبب ذلك ما كان يستحقه ، بسبب كفره مع ما يحمله عنده من معرفة صدق النبي- صلى الله عليه وسلم- كما قدمناه ولما كان ذلك بسبب وجود النبي- صلى الله عليه وسلم- وببركة الحنو عليه نسبه النبي- صلى الله عليه وسلم- إلى نفسه ولا يستبعد إطلاق الشفاعة على مثل هذا المعنى فقد سلك الشعراء هذا المعنى". [2]

وهذا يعني أنه وقع خلاف في هذه الشفاعة من العلماء لمعارضتها لصريح آيات القرآن الكريم كما بين الإمام أحمد القرطبي آنفاًأن الشفاعة هي التخفيف المعني في ذلك وكما صرّح أن يطلق على مثل ذلك شفاعة ،كما استعملها الشعراء في شعرهم وكذلك فإنه من قبيل التخفيف الخاص المخصوص به النبي- صلى الله عليه وسلم -وعمه أبو طالب لدفاعة عنه في الدنيا.

---

[1] -الإمام مسلم، صحيح مسلم،كتاب الإيمان،باب شفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم- لأبي طالب والتخفيف عنه بسببه ، ج١،ص١٩٢، رقم ٢٠٩،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،دار إحياء التراث العربي.

[2] - أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي ، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، ط١ ،ج١، ص٤٥٧،دار ابن كثير بيروت ١٩٩٦ م،مع الاختصار

والخلاصة في هذه المسألة فإن أبا طالب عم النبي- صلى الله عليه وسلم- قد مات على الكفر، ومن مات على الكفر فإنه خالد مخلّد في النار كما أخبر بذلك القرآن الكريم، ولكن موقف أبي طالب من النبي محمد- صلى الله عليه وسلم- ودفاعه عنه كان له الأثر في أن يخفف عنه العذاب كما أخبر بذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- وهي خاصة للنبي - صلى الله عليه وسلم- مع عمه فلا تسمى شفاعة .

- الثاني:الشفاعة التي تكون للمصر ّ ين على الكبائر من هذه الأمة .

فهذه الشفاعة وقع خلاف كبير بين الفرق الإسلامية فيها ،ويعود الخلاف إلى أصول اعتقاد كل فرقة فبناء على هذا الاعتقاد يبنى الحكم في هذه المسألة .

فحكم فاعل الكبيرة على سبيل المثال عند الخوارج كافر مشرك، وهو خالد مخلد في النار، حيث يقول الإمام الأشعري عنهم : "أجمعوا على أن كل كبيرة كفر إلا النجدات، فإنها لا تقول ذلك وأجمعوا على أن الله –سبحانه- يعذب أصحاب الكبائر عذاباً دائما إلا النجدات أصحاب نجدة"[1]

فمرتكب الكبيرة عند الخوارج كافر كفر شرك وهو خالد مخلد في النار.

أما المعتزلة ، فإنها تقول إن صاحب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين لذلك يقول القاضي عبد الجبار: "صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين،ولا يكون اسمه اسم كافر ولا اسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقاً ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث"[2]

بينما "مرتكب الكبيرة عند الأشاعر ة والماتريدية والشيعة الإمامية فإنه مؤمن إذ إن العمل ليس ركناً من الإيمان ولكن به يتفاضل الناس ".[3]

فهذا البيان يوضح أن هناك اختلافاً عند الفرق الإسلامية في اعتبار وتعريف الكبيرة والحكم على صاحبها.

ولا بد هنا أن نبين الفريق الذي أثبت الشفاعة ،وكذلك الفريق الذي نفى الشفاعة ،وأدلة كل فريق على ما يقول، وهذا هو محور الخلاف في الشفاعة كما أسلفت بين الفرق الإسلامية.

---

[1] - أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ، ص١٦٨،ط١، ج١،المكتبة العصرية بيروت محمد محيي الدين عبد الحميد

[2] - القاضي عبد الجبار،شرح الأصول الخمسة ، ص٦٩٧،ط٢،مكتبة وهبة القاهرة.

[3] - سلطان الحراصي،الشفاعة الأخروية دراسة عقائدية ، ط٢٠٠٢،١،ص١٢٧،رسالة ماجستير

ثالثاً : المثبو ن للشفاعة في العصاة والنافون لها .

أ- المثبو ن للشفاعة في العصاة.

فالذين قالوا بهذه الشفاعة وأثبتوها هم :

١- الشيعة الإمامية :

و يقول في ذلك صاحب كتاب أوائل المقالات في المذاهب المختارات "و اتفقت الإمامية على أن رسول الله يشفع يوم القيامة لجماعة من مرتكبي الكبائر من أمته، وأن أمير المؤمنين يشفع في أصحاب الذنوب من شيعته، وأن آل محمد- صلى الله عليه وسلم-يشفعون كذلك وينجي الله بشفاعتهم كثيراً من الخاطئين"[١]

و يثبت الشيعة الشفاعة لسيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم- و يستدلون على ثبوتها بآيات كثيرة كما يبين ذلك الشيخ الحلي مستشهداً بقوله تعالى:﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ﴾[٢].

ثم يبين ذلك الاستشهاد بقوله:المقام المحمود قيل و له للشفاعة و اختلفوا فقالت الوعيدية: إنها عبارة عن طلب زيادة المنافع للمؤمنين المستحقين للثواب، وذهبت التفضيلية إلى أن الشفاعة للفساق من هذه الأمة في إسقاط عقابهم وهو الحق، وأبطل المصنف بأن الشفاعة لو كانت في زيادة للمنافع لا غير لكنا شافعين في النبي- صلى الله عليه وسلم -حيث يطلب له من الله – تعالى- علو الدرجات،والتالي باطل قطعاً لأن الشافع أعلى من المشفوع فيه فالمقدم مثله"[٣]

ومن فرق الشيعة الزيدية التي تثبت الشفاعة، ولكن برفع الدرجات للمؤمنين وليس لمن دخل النار، وذلك بقول أئمتهم "وشفاعة النبي-صلى الله عليه وسلم و آله- لأهل الجنة من أمته رقّيهم الله – تعالى- بها من درجة إلى أعلى منها ومن نعيم إلى أسنى منه . "[٤]

فالشفاعة عندهم ثابتة للمؤمنين في الجنة دون أصحاب النار وتكون لهم برفع الدرجات.

٢-أهل السنة والجماعة :

يقول أهل السنة والجماعة أن الشفاعة المتفق عليها هي التي تكون للعصاة من المؤمنين المذنبين

---

[١] – المفيد محمد بن محمد النعمان ،أوائل المقالات في المذاهب المختارات ، ص٥٠،دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٩٨٣ م.

[٢] – سورة الاسراء الآية ٧٩.

[٣] – ابن المطهر الحلي ، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٣٣٠، مرجع سابق.

[٤] – القاسم ين محمد ، الأساس لعقائد الأكياس، تحقيق ،البير نصري، ص٩٩، دار الطليعة بيروت ١٩٨٠م.

و يوضح الإمام الماتريدي اعتقاده بشفاعة النبي– صلى الله عليه وسلم– بقوله :"و أما عندنا فإن الشفاعة تكون لأهل الذنوب لأن من لا ذنب له لا حاجة له إلى شفاعة ، وقوله:" للذين آمنوا .....(و) تابوا واتبعوا سبيلك تكون لهم ذنوب في أحوال التوبة فإنما يغفر لهم ذنوبهم التي كانت لهم فقد ظهر الاستغفار لأهل الذنوب فعلى ذلك تكون الشفاعة ، والشفاعة التي يستوجبها أهل الذنوب إنما وجبت بالطاعات التي كانت لهم لأن أهل الإيمان وإن ارتكبوا مآثم ومعاصي فإن لهم طاعات، فبتلك الطاعات يستوجبون الشفاعة"[١]

ويقول : " والشفاعة من أعظم ما احتج بها ، وقد جاء القرآن بها والآثار عن الرسول –صلى الله عليه وسلم– والشفاعة في المعهود والمتعالم من الأمر تكون عند زلات يستوجب بها المقت والعقوبة، فيعفى عن مرتكبها بشفاعة الأخيار وأهل الرضا "[٢]

فالشفاعة عندالإمام الماتريدي إذاً تكون لأهل المعاصي والكبائر من المؤمنين،ولا تكون للكفار مطلقاً .

ويقول الإمام الجويني : "إذا ثبت جواز الغفران، وقد شهدت له شواهد من الكتاب والسنة لم نذكرها لشهرتها، فيترتب على ذلك تشفيع الشفعاء، وحط أوزار المجرمين بشفاعتهم"[٣]

فهناك إذن شفاعة لوجود المغفرة وقبولها عند الله وثبوتها في الكتاب والسنة لتزول خطايا المخطئين بهذه الشفاعة .

و كما يشير إلى هذا أيضاً الإمام الباقلاني الذي يعد من أعيان الأشاعرة من أن الشفاعة تكون لأهل الكبائر من هذه الأمة.وذلك بقوله :"ومما يدل على جواز الغفران لعصاة أهل الملة ما ورد من الأخبار الثابتة المتظاهرة في إثبات شفاعة الرسول –صلى الله عليه وسلم– في أهل الكبائر نحو قوله –صلى الله عليه وسلم – ادخرت شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي "[٤]

و قد أخذت الماتريدية بما أخذت به الأشاعرة في إثبات الشفاعة ، فبهذا يخالف الأشاعرة والماتريدية اعتقاد المعتزلة والمرجئة الذين لا يقولون بالشفاعة لأهل الكبائر.

---

[١] – أبو منصور محمد الماتريدي (ت٣٣٣هـ)،تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي ، تحقيق ابراهيم عوضين ،ص٥٩٠–٥٩١ ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧١م

[٢] – أبو منصور الماتريدي،كتاب التوحيد ، ص٣٦٥،تحقيق د. فتح الله خليف ،دار الجامعات المصرية

[٣] – عبد الملك الجويني، الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد، ص٣٣٠،تحقيق أسعد تميم،ط١،مؤسسة الكتب الثقافية ١٩٨٥ م

[٤] – محمد أبو بكر الباقلاني تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، ص٤١٦، تحقيق عماد الدين أحمد بن صدر، ط١ مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ١٩٨٧م.

فيتضح لنا من خلال ما سبق من نصوص أن الذين قالوا بإثبات هذه الشفاعة الأشاعرة والماتريدية والمرجئة والشيعة الإمامية .

وقد استدل هؤلاء بأدلة كثيرة نذكر دليلين من القرآن ومن السنة كذلك، ووجه الاستدلال لكل دليل .

- أما من القرآن الكريم .

الأول: استدلوا بقوله تعالى : ﴿ يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴿٨٧﴾ ﴾[1]

فيقول الإمام الرازي في بيان وجه الاستدلال بهذه الآية على أنها دليل لأصحاب هذا الرأي:

"إن المجرمين لا يستحقون أن يشفع لهم غيرهم ،إلا إذا كانوا قد اتخذوا عند الرحمن عهداً ،وكل من اتخذ عند الرحمن عهداً وجب دخوله فيه ،وصاحب الكبيرة اتخذ عند الرحمن عهداً وهو التوحيد والإسلام فوجب أن يكون داخلاً تحته"[2]

الثاني: يستدلون بقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾[3] .

وقد وضح الاستدلال في هذه الآية أيضاً الفخر الرازي فيقول :" وصاحب الكبيرة من جملة المؤمنين فوجب دخوله في جملة من تستغفر الملائكة لهم ،وأقصى ما في الباب : إنه ورد بعد ذلك قوله : "فاغفر للذين تابوا و اتبعوا سبيلك"

إلا أن هذا لا يقضي تخصيص ذلك العام لما ثبت في أصول الفقه : إن اللفظ العام إذا ذكر بعض أقسامه فإن ذلك لا يوجب تخصيص ذلك العام بذلك الخاص"[4]

والآيات الدالة على هذه الشفاعة والمثبته لها كثيرة،و لا مجال لاستقصائها في هذا الموضع.

- الأدلة على هذه الشفاعة من السنة النبوية الشريفة :

---

[1] - سورة مريم الآية ٨٥ .

[2] - محمد بن عمر الرازي،الشفاعة العظمى يوم القيامة، ص٤٥،تحقيق أحمد حجازي أحمد السقا،ط١،مطبعة التضامن القاهرة ١٩٨٨م

[3] - سورة غافر الآية ٧

[4] - المرجع السابق ص٥٠-٥١

الأول :في الحديث الذي يرويه ابن عمر عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال :خيرت بين الشفاعة أو يدخل نصف أمتي الجنة فاخترت الشفاعة لأنها أعم وأكفى، أترونها للمتقين لا ولكنها للمتلوثين الخطائين"[1]

فهذا الحديث يوضح أن الشفاعة تكون لأصحاب الذنوب والمعاصي، وهو باختيار النبي محمد -صلى الله عليه وسلم.

الثاني : في الحديث الذي يرويه أبو هريرة- رضي الله عنه -يقول : قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- :"لكل نبي دعوة مستجابة ، فتعجل كل نبي دعوته، وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله من مات من أمتي لا يشرك بالله شيئا"[2]

فيقول الإمام الرازي في الاستدلال بهذا الحديث على صحة الشفاعة للعصاة وأصحاب الكبائر ، بعد ذكر هذا الحديث: إن شفاعته تنال كل من مات من أمته لا يشرك بالله شيئا، وصاحب الكبيرة كذلك، فوجب أن تناله الشفاعة." [3]

لذا فإنه من المعقول أن تكون الشفاعة لأصحاب الذنوب والكبائر ، شفاعة النبي- صلى الله عليه وسلم- ثابتة إما بزيادة الدرجات ،أو دفع المضار، أي: النار والعذاب.

ب- النافو ن للشفاعة في العصاة :

هناك فرق قالت بنفي الشفاعة للعصاة، مثل الزيدية والأباضية والمعتزلة والخوارج وسنبين ذلك فيما يلي :

١ -الزيدية :

يقول الإمام الزيدي : "وشفاعة النبي -صلى الله عليه وسلم - لأهل الجنة من أمتهيرقّيهم الله -تعالى-بها من درجة إلى أعلى منها ، ومن نعيم إلى أسنى منه، ومن أدخله الله -تعالى - النار فهو خالد فيها أبدا" [4]

فهذا دليل على أن الزيدية تنكر الشفاعة لمن دخل النار بسبب الكبيرة .

٢ -الأباضية :

---

[1] - الإمام أحمد، مسند الإمام أحمد، ج٩،ص٣٢٧،تحقيق شعيب الأرناؤوط تحت مسند عبد الله بن عمر،مؤسسة الرسالة ،ط٢، ١٩٩٩م،رقم الحديث ٥٤٥٢

[2] -الإمام البخاري ، أخرجه البخاري في كتاب الدعوات ،باب لكل نبي دعوة مستجابة رقم الحديث(٦٣٠٤) ص١٠٩٦ .

[3] - الرازي،مفاتيح الغيب ،ج٣،ص٦٠،ط١،دار الكتب العلمية بيروت،٢٠٠٠م مرجع سابق .

[4] - القاسم بن محمد بن علي الزيدي،الأساس لعقائد الأكياس، ص١٩٩،تحقيق الدكتور ألبير نصري نادر،ط١،دار الطليعة للنشر ،بيروت ١٩٨٠ م * وللتعريف بالقاسم الزيدي ينظر إلى مقدمة كتاب الأساس السابق فهو من أئمة المذهب الزيدي وإليه ينتسب.

أما فرقة الأباضية فإنهم يثبتونها للمتقين، ولا يثبتونها للعصاة ، كما يتضح لنا من خلال كتاب الأديان "والشفاعة حق للمتقين وليست حقاً للعاصين" [1]

فقد جاء في كتاب قاموس الشريعة ما يوضح عقيدة الأباضية في هذه الشفاعة : "الشفاعة حق لا تكذيب فيها ولكنها للمؤمنين المطيعين دون أهل الكبائر من العاصين والفاسقين. وهذا حكي عن جابر بن زيد أنه قال :الشفاعة حق فمن كذّب بها فقد كذّب بالقرآن لأن الله -تعالى- أخبر في كتابه أن أهل الكبائر يخلدون لقوله تعالى :﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ ﴾"[2]

فهذا النص صريح في بيان عقيدة المذهب الأباضي في هذه الشفاعة و نفيها عن أصحاب الكبائر.

٣- المعتزلة :

نجد أن هناك نصوصاً تبين المذهب المعتزلي في هذه الشفاعة، منها ما ذكره القاضي عبد الجبار موضحاً مذهبهم: "أما قولنا في إثبات الشفاعة فهو معروف، ونزعم أن من أنكره قد أخطأ الخطأ العظيم، لكنا نقول لأهل الثواب دون أهل العقاب ولأولياء الله دون أعدائه ويشفع- صلى الله عليه وسلم في أن يزيدهم تفضيلاً عظيماً "[3]

فالقاضي عبد الجبار يصور ويبين اعتقاد المعتزلة في نفي هذه الشفاعة وعدم إثباتها لأصحاب الكبائر.

٤-الخوارج :

ينكر الخوارج الاستدلال بالآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي يُستدل بها لشفاعة النبي- صلى الله عليه وسلم -في أهل المعاصي من أمته ، والتي أجمعت الأمة على الاستدلال بها لإثبات الشفاعة ،كما يبين ذلك شارح العقيدة الطحاوية في أثناء حديثة عن الفرق التي نفت الشفاعة بقوله: "والمعتزلة والخوارج أنكروا شفاعة نبينا محمد-صلى الله عليه وسلم- وغيره من أهل الكبائر"[4]

---

[1] -الأديان ، ص ٥٣ نقلاً عن كتاب الفرق الإسلامية واصولها ،عبد الفتاح أحمد.

[2] - سورةالانفطار الآية ١٤*قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة،جميل بن خميس السعدي،ص٥٠٦،وزارة التراث القومي،سلطنة عُمان ١٩٨٣ م

[3] - عبد الجبار بن أحمد الهمذاني القاضي ، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة ، ص٢٠٧،تحقيق فؤاد سيد ،ط١،الدار التونسية للنشر

[4] - ابن أبي العز، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، ص١٨١ ، مرجع سابق .

كما يشير إلى ذلك ويؤكد هذا الاعتقاد ابن حزم في قوله: "قال أبو محمد: اختلف الناس في الشفاعة، فأنكرها قوم هم المعتزلة، والخوارج وكل من تبعهم، أن يخرج أحد من النار بعد دخولها"[1]

وقد استند هؤلاء إلى الآيات من القرآن الكريم في استدلالهم على نفي الشفاعة كما يذكر ذلك ابن حزم و منها قوله تعالى :﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾[2]

ومنها قوله تعالى:﴿ وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾[3]

وقوله تعالى :﴿ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ ﴾[4][5]

فنجد أن الخوارج يؤمنون بوجود الشفاعة للمؤمنين برفع درجاتهم، وليس لمن دخل النار من عصاة المؤمنين أي أصحاب الكبائر.

ويرد عليهم في استدلالهم بالآيات الكريمة السابقة شارح العقيدة الواسطية حيث يقول :" بأن هذه الآيات واردة في نفي الشفاعة عند أهل الشرك والكفر".[6]

وكيقول صاحب كتاب لوامع الأنوار عن الخوارج بأنهم من نفاة هذه الشفاعة وأن المصر ّ ين من المؤمنين خلود في النار كما يزعمون ، أي: أصحاب الكبائر.

فيتبين لنا مما سبق أن الذين نفوا هذه الشفاعة (المعتزلة ، والزيدية ، والأباضية ، والخوارج).

وقد استدلوا بأدلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، نذكر من القرآن الكريم اثنين ومن السنة الشريفة اثنين لإيضاح استدلالاتهم التي استدلوا بها ،وهي كالآتي :

١- القرآن الكريم :

فقد استدلوا بعدة أدلة على نفي هذه الشفاعة :

---

[1] - ابن حزم، الفصل ، ج٤ ،ص٦٣ ،مرجع سابق.

[2] - سورة المدثر الآية ٤٨

[3] - سورة البقره الآية ١٢٣

[4] - سورة الشعراء الآية ١٠٠

[5] - المرجع السابق نفس الصفحة والجزء.

[6] - ابن تيمية ،انظرشرح العقيدة الواسطية ، شرح محمد خليل الهراس، ص١٢٨ ،بتصرف

كما في قوله تعالى :﴿ وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾.[1]

يقول القاضي عبد الجبار في بيان وجه الاستدلال بهذه الآية: "يدل على أن من استحق العذاب لا يشفع النبي– صلى الله عليه وسلم– له ،ولا ينصره لأن الآية وردت في صفة اليوم ولا تخصيص فيها فلا يمكن صرفها إلى الكفار دون أهل الثواب ،وهي واردة في من يستحق العذاب في ذلك اليوم ، لأن هذا الخطاب لا يليق إلا بهم، فليس لأحد أن يطعن في ما قلناه بأنه يمنع الشفاعة للمؤمنين أيضاً ، ولو كان النبي –صلى الله عليه وسلم– يشفع لهم لكان قد أغنى عنهم وأجزى ..... ثم يقول : "ولأن قبول الشفاعة وإسقاط العقاب إلى المغفرة أعظم من كل فداء يسقط به ما قد استحقوه من المعزة ولما صح أن يقول "ولا هم ينصرون" وأعظم النصرة تخليصهم من العذاب الدائم بالشفاعة ، فالآية الكريمة دالة على ما نقوله من جميع هذه الوجوه".[2]

فالقاضي عبد الجبار المعتزلي من الذين ينكرون هذه الشفاعة لهؤلاء الفئة من الناس ،يقول: إن الآية الكريمة صريحة في نفي هذه الشفاعة والنصرة عن أصحاب الكبائر من المؤمنين، ولأنها لم ترد مخصصة للكفار فلا يجوز صرفها عن ظاهرها...

كما استدلوا أيضاً بقوله :﴿ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[3] .

ويقول القاضي عبد الجبار أيضاً عند تعليقه على هذه الآية مبيناً وجه الاستدلال فيها على نفي الشفاعة لأصحاب الكبائر: "إن الله –تعالى– نفى شفاعة الملائكة إلا لمن ارتضى من عباده ،وكذا الأنبياء لعدم الفارق بينهم والله –تعالى– لا يرضى إلا الأبرار دون الفجار"[4]

- الرد عليهم في الدليل الأول : في قوله "و اتقوا يوما ..."

---

[1] – سورة البقرة الآية ٤٨

[2] – القاضي عبد الجبار الهمذاني، متشابه القرآن، تحقيق د. عدنان زرزور،ص٩٠،القسم الأول دار التراث القاهرة باختصار.

[3] – سورة الأنبياء الآية ٢٨

[4] – القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني، فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة تحقيق فؤاد سيد ط١ ، ص٢٠٧ الدار التونسية للنشربتصرف.

حيث يقول الإمام الطبري في تفسيره: "إن الله –تعالى – خاطب أهل هذه الآية بما خاطبهم به فيها، لا إنهم كانوا من يهود بني إسرائيل وكانوا يقولون :نحن أبناء الله وأحباؤه و أولاد أنبيائه، وسيشفع لنا عنده أباؤنا ، فأخبرهم الله عز وجل أن نفساً لا تجزي عن نفس شيئاً في القيامة ولا يقبل منها شفاعة أحد فيها يستوفي لكل ذي حق منها حقه"[1]

فكما هو ظاهر أن الشفاعة التي نفاها الله –تعالى – إنما هي التي تكون للكافرين واليهود منهم والشفاعة التي نتحدث عنها هي الشفاعة لأصحاب الكبائر من المؤمنين فلا وجه للاستدلال بهذا الدليل .

أما الرد على دليلهم الثاني في قوله تعالى :"لا يشفعون إلا لمن ارتضى"

فيكون ، بأن الدليل قائم ضدهم إذ أن أصل الشفاعة موجود بنص الآية الكريمة ، ولكن موقوف كباقي الأعمال يوم القيامة على موافقة رب العالمين جل جلاله على هذه الشفاعة .

وحيث إن الشفاعة قد قام الدليل على ثبوتها فهي ثابتة وليس منفية .

ويؤكد ذلك ما ذكرة الإمام الباقلاني في كتابه الإنصاف في رده على المنكر ين الذين احتجوا بهذه الآية على الإنكار: "قيل معناه الرد على من أنكر أصل الشفاعة فأخبر–تعالى – أن ثم شفاعة لكن لمن أراد –تعالى — أن يشفع له وأذن في ذلك ولم يرد إلا لمن رضي سائر عمله لأن من رضي سائر عمله، لا يحتاج إلى شفاعة ،ويحتمل أن يكون ((لا يشفعون إلا لمن ارتضى))يعني لمن كان عاصياً فاسقاً وهو(التوحيد والتصديق). وقوله ((لا إله إلا الله)) والذي لا يرضى عمله أجمع هو الكافر فصح ما قلناه"[2]

فنلاحظ من خلال كلام الباقلاني تأكيد الشفاعة للمؤمنين العصاة الموحدين ، ونفيها عن الكفرة .

٢— السنة الشريفة: أما ما استدلوا به من الأحاديث النبوية الشريفة فهي أيضاً كثير وهي مؤيدة لآيات القرآن الكريم التي نفت الشفاعة عن أصحاب الكبائر صراحة كما يستدل بها أصحابها، ومن هذه الأحاديث ما رواه سهل ابن سعد عن النبي – صلى الله عليه وسلم–: "أنا فرطكم على الحوض، من ورده شرب منه،ومن شرب منه لم يظمأ بعده أبداً ويردون عليّ أقوام أعرفهم ويعرفونني ثم يحال بيني وبينهم"[3]

---

[1] – محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن ، ج١ ،ص٣٠٦ .

[2] – القاضي أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق محمد زاهد الكوثري ،ص١٧٣،ط٢،مؤسسة الخانجي ١٩٦٣ م

[3] – الإمام البخاري، صحيح البخاري، كتاب الفتن ،برقم ٩٢،باب ما جاء في قوله –تعالى –"وأتقوا فتنه لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة" رقم الحديث ٧٠٥٠،ص١٢١٦

ثم يقول في بيان وجه الاستدلال في هذا الحديث أن النبي– صلى الله عليه وسلم– لم يرض أن ينال هؤلاء شربة ماء فكيف يشفع لهم ؟ مع أنه يعرفهم ويعرفونه بل جاء في رواية أبي سعيد الخدري– رضي الله عنه– أن النبي– صلى الله عليه وسلم– يقول :"إنهم مني فيقال: إنك لا تدري ما بدلوا بعدك فأقول: سحقاً لمن بدل بعدي"[١]

وفي حديث آخر ترويه السيدة عائشة– رضي الله عنها أنها قالت لما نزل قوله تعالى:﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [٢]

فقد قام النبي– صلى الله عليه وسلم – على الصفا فقال :"يا فاطمة بنت محمد، ويا صفية بنت عبد المطلب، ويا بني عبد المطلب،لا أملك لكم من الله شيئاً ، سلوني من مالي ما شئتم"[٣]

فنجد من خلال هذه الأحاديث أن النبي –صلى الله عليه وسلم– كان قد حذر أقاربه بمن فيهم فاطمة– رضي الله عنها – من الاتكال على نسبهم من النبي محمد– صلى الله عليه وسلم– وعدم فعل المطلوب منهم وبعدهم عن فعل الطاعات وبالمقابل فقد قال لهم إذا أردتم أن تطلبوا شيئاً من أموال الدنيا التي هي لي لا يكون عليّ حرج في إعطائها لكم أما عند حقوق الله فأنا لا استطيع ذلك أو كما قال–صلى الله عليه وسلم .

ففي الرد على ما أورده هذا الفريق من أحاديث في نفيهم هذه الشفاعة ،أن هناك من قام بالرد عليهم بشكل عام ، كما في كتابالإحسان فقد عقّب صاحبه بعد الحديث عن الشفاعة بقوله : " قال أبو حاتم هذا منسوخ، إذ أن فيه أنه لا يشفع لأحد،و اختيار الشفاعة كانت بالمدينة بعده ".[٤]

وربما نجد أن هذه الأحاديث قد وردت في حق الذين لم يُسلموا بعد، وتكون لهم إذا أصروا على الكفر كما هو واضح من رد الذين قالوا بأنها منسوخة .

أما في الحديث الثاني، فالخطاب موجه إلى فاطمة– رضي الله عنها – بعد أن نزلت الآية الكريمة" وأنذر عشيرتك الأقربين" ومن المعلوم أن فاطمة– رضي الله عنها– لم تكن حينها مصرة على الكفر بل كانت من المؤمنين" [٥]

لذا فيكون هذا الرد إجمالاً على هذه الأدلة من الأحاديث النبوية التي استدلوا بها على نفي الشفاعة.

---

[١] – المرجع السابق ص١٢١٧

[٢] – سورة الشعراء الآية ٢١٤

[٣] – الإمام مسلم ،في كتاب الإيمان،باب في قوله –تعالى (وأنذر عشيرتك الأقربين)ج١،ص١٣٣

[٤] – علاء الدين علي الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، ص 414 ،ج٢، تحقيق شعيب الارناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت، ط١ ١٩٨٨م

[٥] – سلطان الحراصي ، الشفاعة الأخروية ، ص١٧٣مرجع سابق

ولكن يتبين لنا بناء على ما تقدم أن الشفاعة تكون لأهل التوحيد الذين استوجبوا النار ودخلوها، فتكون بإخراجهم، ولا تكون في منعهم من دخول النار ،ولا يوجد ما ينص على أن الشفاعة تمنع من الدخول في النار لمن استحقها ولكن تخرج بعد الدخول. والراجح من هذه الأقوال هو قول الذين أثبتوا هذه الشفاعة ،وكما يقول الإمام الباقلاني :" اعلم أن أهل السنة والجماعة أجمعوا على صحة الشفاعة منه –صلى الله عليه وسلم– لأهل الكبائر من هذه الأمة"[1]

[1] – أبو بكر الباقلاني، الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ،ص١٦٨ ، ط٢ ، مؤسسة الخانجي ١٩٦٣م

المطلب الثاني : رؤية رب العزة سبحانه وتعالى .

تمهيد :

أولاً : معنى الرؤية في اللغة والاصطلاح والأدلة على ثبوتها.

ثانياً :آراء الفرق الكلامية في هذه المسألة .

تمهيد :

من أحوال الجزاء الأخروي التي حصل فيها خلاف كبير بين العلماء رؤية رب العزة –سبحانه وتعالى ، ووجه الربط بينها وبين الجزاء كونها مثوبة لمن أثبتها وللطائعين ،وعقوبة بالحجاب لمن أنكرها وللكفارين، وحيث أن فهذه المسألة من مسائل النزاع بين الفرق الإسلامية ،من المثبتين والنافين ، فكل فريق يعتمد على دليل مرالقرآن الكريم ثم يؤو ّ ل إن كان من المؤو ّ لين أو يأخذ بظاهر النص إن كان ظاهرياً أو أن يأخذ النصوص دون تكييف أو تأويل .

ولبيان هذه المملقأ نأخذ أولاً معنى الرؤية لغةً واصطلاحاً ، ثم نأخذ الأدلة من القرآن الكريم والسنة النبوية التي تثبت الرؤية ثم نبين موقف النافين وأدلتهم وبعد ذلك نرد على هذه الأدلة ونرجح الر أي الراجح .

أولاً : معنى الرؤية في اللغة والاصطلاح والأدلة على ثبوتها:

أ- الرؤية في اللغة :

يقول ابن منظور في بيان الرؤية " الرؤية بالعين تتعدى مفعول واحد ، و بمعنى العلم تتعدى إلى مفعولين . يقال : رأى زيداً عالماً "[1]

أي أن الرؤية إما أن تكون بالعين بمعنى الإبصار و اما أن تكون بمعنى العلم القلبي من خلال التصور والتفكير .

ب- الرؤية في الاصطلاح :

[1] - ابن منظور ، لسان العرب ، ج١٤ ،ص٢٩١،دار صادر ،بيروت ،ط١ ،تحت كلمة (رأى)

لقد ورد للمتكلمين اصطلاحات عديدة وكثيرة في معنى الرؤية منها .

ما قاله الإيجي في المواقف ، أن الرؤية هي" إنطباع صورة المرئي في الحاسة "[1]

أي أن الرؤية عبارة عن إنطباع صورة الواقع عليه النظر في حاسة الواقع منه النظر .

وكما يقول الإمام الغزالي– رحمه الله–أيضاً عن تعريف الرؤية في الاصطلاح :

"ولا يرجع التفرقة إلى اختلاف بين الصورتين لأن الصورة المرئية تكون موافقة للمتخيلة وإنما الافتراق بمزيد الوضوح والكشف فإن صورة المرئي صارت بالرؤية أتم تكشافاً ووضوحاً "

ثم يقول مبينا ذلك :" فإذا كان الخيال هو أول الإدراك والرؤية هو استكمال إدراك الخيال وهو غاية الكشف لإنه في العين ، بل لو خلق الله –تعالى– هذا الإدراك الكامل المكشوف في الجبهة أو الصدر مثلاً استحق أن يسمى رؤية ، لأنها غاية الكشف وكما أن سنة الله جارية بأن تطبيق الأجفان يمنع من تمام الكشف بالرؤية ويكون حجاباً بين البصر والمرئي ، ولا بد من ارتفاع الحجاب لحصول الرؤية وما لم يرتفع كان الإدراك الحاصل مجرد التخيل "[2]

فيتبين لنا من تعريف الرؤية في اللغة والاصطلاح أن ما ورد في الاصطلاح مؤكد لما ورد في اللغة من بيان أن المعاني الاصطلاحية تحدد المعاني اللغوية وتقيد عمومها وذلك بحسب ما يقتضيه السياق لذا فإنها تدل في النهاية على أن المعنى اللغوي يفيد الإبصار بالعين ويؤكده المعنى الاصطلاحي بالقرينة والسياق .

ج– أدلة إثبات الرؤية لله تعالى :

هناك أدلة كيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة تثبت وقوع الرؤية نذكرها أولاً ثم نبين بعد ذلك الآية الكريمة التي تشتمل على الوضوح في تأكيد الرؤية بعد التفسير والتي وقع فيها الإشكال .

١– يقول تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ [3]

٢– وقوله تعالى:﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.[4]

٣– وقوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ۖ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ .[1]

---

[1] – عضد الدين الإيجي ، المواقف في علم الكلام ، ص٣٠٨ ،عالم الكتب ، مرجع سابق.

[2] – أبو حامد الغزالي ،معارج القدس في مدارج معرفة النفس ، ص١٥٧–١٥٨،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ،دار الآفاق بيروت ،ط٥ ،١٩٨١م

[3] – سورة القيامة الآيات ٢٢–٢٣

[4] – سورة يونس الآية ٢٦

ففي الآية الكريمة الأولى في قوله تعالى :" وجوه يومئذ ناضرة "،يقول الإمام الرازي في تفسيره لهذه الآية :إن النظر المقرون بحرف "إلى" المعدى إلى الوجوه ليس بمعنى الرؤية فوجب أن لا يرد بمعنى الانتظار دفعاً للاشتراك " .[٢]

إذن فالنظر في هذه الآية يأتي بمعنى النظر إلى وجه الله –تعالى–وليس بمعنى الانتظار كما يدعي البعض ،و يؤكد ذلك الإمام البغدادي بقوله :" فإن تأولوا الآية على معنى الانتظار بالثواب فإن نظر الانتظار لا يقرن بحرف إلى ولا بالوجه "[٣]

أما وجه الاستدلال في هذه الآية﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾و كما يقول المفسرون كابن جرير الطبري وابن كثير وغيرهما في روايات كثيرة عن النبي– صلى الله عليه وسلم– أنهم يفسرون الزيادة الواردة بأنها النظر إلى وجه الله –تعالى–والتمتع به "[٤]

أما الآية الثالثة في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾

فالآية تتحدث عن الإدارك والإبصار ،و لا بد من بيان معنى الإدراك وكذلك معنى الرؤية ليكتمل المعنى من خلاله ويتضح. فالإدراك كما يقول الراغب : "أدرك بلغ أقصى الشيء ، وأدرك الصبي بلغ غاية الصبا وذلك حين البلوغ ، لقوله–تعالى:" حتى إذا أدركه الغرق "وقوله "لا تدركه الأبصار" .[٥]

إذاً فالإدراك هو بلوغ غاية الشيء ونهايته والعلم به . فيتبين لنا أن هناك فرقاً بين الإدراك والإبصار بمعنى الرؤية ،كما يوضحه الإمام الثعالبي في تفسيره حيث يقول: "فإنا نفرق بين معنى الإدراك ومعنى الرؤية ونقول انه عز وجل تراه الأبصار ولا تدركه وذلك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى أعماقه وحوزه من جميع جهاته وذلك كله محال في أوصاف الله–تعالى–والرؤية لا تفتقر إلى أن يحيط الر ائي بالمرئي ويبلغ غايته وعلى هذا التأويل يترتب العكس في قوله : "وهو يدرك الأبصار " ويحسن معناه ونحو هذا ما روي عن ابن عباس وقتادة وعطية العوفي أنهم فرقوا بين الرؤية والإدراك" .[٦]

---

[١] – سورة الأنعام الآية ١٠٣

[٢] – الرازي،التفسير الكبير ، ج٣٠،ص٢٢٨–٢٢٩،مرجع سابق ،المجلد ١٠،ص٧٣٢ دار إحياء التراث ط٢، ١٩٩٧م

[٣] – الإمام عبد القاهر البغدادي، أصول الدين ، ص١٠٠ ، ط٢ ،دار الكتب العلمية بيروت

[٤] –الإمام الطبري، انظرتفسير الطبري،جامع البيان،تحقيق محمود محمد شاكر،ج١٥،ص٦٥–٦٦ وكذلك تفسير ابن كثير، ج٢ ص٤١٤

[٥] – الراغب الاصفهاني، المفردات في غريب القرآن، ص١٦٨ تحقيق: محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ،القاهرة ،١٣٨١ هـ

[٦] – عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١ ،ص٥٤٨–٥٤٩،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

وذلك كما تقدم في بيان معنى الرؤية ومعنى الإدراك وقد اختلف العلماء في تفسير هذه الآية الكريمة على أقوال :

منهم من قال إن الإدارك في هذه الآية يعني الإحاطة كما في تفسير الطبري ".[1]

ومنهم من قال إن الإدراك في هذه الآية أن الله سبحانه لا تراه الأبصار في الدنيا خاصة ولكنه يرى في الآخرة ومن الذين قالوا بهذا القول السيدة عائشة كما في صحيح البخاري .[2]

ومن الذين قالوا بهذا القول أيضاً ابن عباس ومقاتل فقالوا لا تدركه الأبصار في الدنيا وهو يرى في الآخرة .[3]

ومنهم من قال إن الله– سبحانه وتعالى–لا يرى وأن رؤيته مستحيلة وهذا القول في نظر القائلين به لتنزيه الله –سبحانه وتعالى–عن المشابهة بخلقه .

" والقائلون بهذا القول المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة والسبب في قولهم هذا أن الله سبحانه أخبر أن الأبصار لا تدركه وإدراك البصرعبارة عن الرؤية إذ لا فرق بين قوله أدركته ببصري ور أيته ببصري فثبت بذلك أن قوله تعالى: " لا تدركه الأبصار" بمعنى لا تراه الأبصار وهذا يفيد العموم".[4]

فمما تقدم من بيان لمعنى الإدراك و الرؤية والإحاطة ، فإن قول الإمام الطبري يشتمل على ما قالت به السيدة عائشة – رضي الله عنها– وقول ابن عباس ومقاتل –رضي الله عنهمجميعاً – في أن الإدراك يعني الإحاطة وقول ابن جرير الطبري ، ثم فسرها ابن عباس ومقاتل – رضي الله عنهم– بأنها الرؤية في الآخرة لا في الدنيا وكما بين ذلك الإمام الطبري بقوله :" والصواب من القول في ذلك عندنا ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أنه قال :(إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر وكما ترون الشمس ليس دونها سحاب فالمؤمنون يرونه ، والكافرون عنه يومئذ محجوبون) " [5]

---

[1] – أبي جعفر محمد الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج٧،ص٢٩٩ ، طبعة دار الفكر بيروت ١٤٠٥هـ

[2] – انظر:صحيح البخاري، باب تفسير سورة النجم ،ج٤، ١٨٤٠، رقم الحديث ٤٥٧٤

[3] – أنظر: تفسير البغوي ،ج٢ ،ص١٢٠

[4] – أنظر: تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ،علي بن محمد الشهير بالخازن،ج٢،ص١٦٦،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،ط٢ ،١٩٥٥ م

[5] –ابن جرير الطبري، تفسير الطبري ،جامع البيان ،مجلد ٥ ،ص٢٩٧ ،سورة الأنعام الآية ١٠٣ ،دار الكتب العلمية ،ط٣ ،١٩٩٩ م

وهو بمثابة إجماع على هذا الرأي ، مخالف لما عليه القائلون بأن الإدراك هذا يفيد العموم في النفي ، كما قالت بهذا المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة وهما من نفاة الرؤية ، وسنوضح ذلك في أثناء الحديث عن نفاة الرؤية من هذا المبحث إن شاء الله تعالى.

أما ما ورد من أحاديث شريفة في إثبات رؤية الله–تعالى–فهي كثيرة منها مايدل دلالة صريحة ومنها ما يدل دلالة ضمنية وهي كذلك أحاديث مشهورة ويؤكد ذلك صاحب شرح العقيدة الطحاوية بقوله : "وأما الأحاديث عن النبي– صلى الله عليه وسلم –وعن أصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة ورواها أصحاب الصحاح والمسانيد والسنن ".[1]

وكما يذكر ذلك الإمام ابن كثير في تفسيره :"وقد ثبت رؤية المؤمنين لله عزوجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحيحة من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها"

ثم يبين أن هذا الأمر مجمع عليه فيقول: "ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها و ألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن ولكن ذكرنا ذلك مفرقاً في مواضع من هذا التفسير وبالله التوفيق ، وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام وهداة الأنام ".[2]

و نذكر منها على سبيل المثال الحديث الذي يرويه أبو هريرة–رضي الله عنه– أنه قال : : أن الناس قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه و سلم (هل تضارون في القمر ليلة البدر) . قالوا لا يا رسول الله قال (فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب) . قالوا لا يا رسول الله قال (فإنكم ترونه كذلك يجمع الله الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئا فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس ويتبع من كان يعبد القمر القمر ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت وتبقى هذه الأمة فيها شافعوها أو منافقوها – شك إبراهيم – فيأتيهم الله فيقول أنا ربكم فيقولون هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاءنا ربنا عرفناه فيأتيهم الله في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا فيتبعونه...".[3]

والأحاديث في ذلك كثيرة فهذا الحديث صحيح وهو صريح في بيان الرؤية يوم القيامة وقد ورد في أكثر من موضع وفي أكثر من صيغة ورواية ولكن إيرادنا إياه للاستدلال لا للحصر.

---

[1] – ابن ابي العز الحنفي،شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٠٩،تحقيق جماعة من العلماء ،المكتب الإسلامي،ط٥ ،١٣٩٩هـ

[2] – ابن كثير،تفسيرالقرآن العظيم ، ، ج٤ ،ص٥٤٢،دار المعرفه بيروت ١٤٠٣ هـ

[3] – محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري ج٦ ، ص٢٧٠٤–٢٧٠٥،باب وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة ضبط د. مصطفى ديب البغا ،دار القلم بيروت ط١ ١٩٨١م والحديث له تكملة طويلة رقم (٧٠٠٠) كتاب التوحيد .

ثانياً :آراء الفرق الكلامية في هذه المسألة :

بعد هذا التوضيح نأتي إلى بيان آراء الفرق الكلامية في هذه المسألة حيث إنهم انقسموا إلى فريقين فريق يثبت وفريق آخر ينفي .

فنتناول أولاً فريق النفاة ومن ثم فريق المثبتين وبعده الرأي الراجح:

أ–المنكرون أو النافون للرؤية .

إن الفرق الكلامية التي قامت بنفي رؤية الله–تعالى– لم تنفها إلا لعدم مقدرة عقولهم على تصور رؤية رب العالمين ، وتنزيهاً له سبحانه عن مشابهة خلقه كما سيتبين لنا في بيان هذه الفرق وأدلتها على النفي .

وهذه الفرقهي كما يقول ابن أبي العز:"والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية".[1]

ومن هؤلاء النفاة :

١–المعتزلة .[2]

[1]– ابن أبي العز، شرح الطحاوية، ص٢٠٤ ،مرجع سابق

[2]– المعتزلة : هم الذين اعتزلوا الحسن البصري ومجلسه بزعامة واصل بن عطاء عند السؤال عن حكم الكبيرة التي صارت فيما بعد المنزلة بين المنزلتين وهي من المسائل المشهورة في مذهب المعتزله.*انظرالملل والنحل الشهرستاني،ج١،ص٤٦

لقد نفت المعتزلة رؤيه الله– سبحانه تعالى–حيث إن القاضي عبدالجبار توسع في بيان نفي المعتزلة وتأكيده فأفرد فصلاً حول نفي رؤية الله تعالى فقال: "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية وهذه مسألة خلاف بين الناس وفي الحقيقة الخلاف في هذه المسألة إنما يتحقق بيننا وبين هؤلاء الأشعرية الذين لا يكيفون الرؤية" ([1])

ويبين القاضي عبد الجبار كيفية الاستدلال بالآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾ (الأنعام الآية ١٠٣)

"إن وجه الدلالة في الآية ثبت من أن الإدراك إذا اقترن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصر ونجد في ذلك تمدحاً راجعاً إلى ذاته وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً إلى ذاته كان إثباته نقصاً والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال" ([2])

فمما سبق يتبين لنا أن المعتزلة ينكرون رؤية الله تعالى بما يتناسب مع الأصول الخمسة ويوافقها ونفي أي معنى من معاني الجسمية عن ذات الله تعالى وقاموا بتأويل كل النصوص الواردة التي تشير إلى الرؤية.

يقول ابن رشد في حديثه عن المعتزلة كونهم من نفاة الرؤية :" ليس لنا أن نتوقع من هؤلاء سوى أن ينكروا رؤية الله –تعالى في الحياة الدنيا والآخرة سواءً بسواء ، فإنهم يحترمون مبادءهم ويستنبطون منها نتائجها المنطقية لأن من يبدأ بنفي الجسمية ثم يثني بنفي الجهة سينتهي لا محالة إلى إنكار رؤية الذات الإلهية ، وحيث أن للرؤية شروطها الخاصة كوجود الشيء المرئي في جهة مقابله للرائي وكاللون والضوء ، وهذا كله محال في حقه –تعالى–لأن شروط الرؤية إنما تصدق بالنسبة إلى الأجسام والله ليس بجسم وهذا ما بينه الله –تعالى– عنه في قوله :﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾

وقوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الاعراف ١٤٣).فلو كانت الرؤية ممكنة لما نفاها على وجه التأكيد بقوله :

"لن تراني".

[1] – القاضي عبدالجبار ، شرح الأصول الخمسة ، ص٢٣٢،مرجع سابق

[2] –المرجع السابق .ص٢٣٣،

ثم قالوا عن الآية الكريمة :﴿وجوه يومئذ ناظرة ﴾ ، إنه يجب تأويلها لأن معنى النظر هنا التوقع والانتظار لا الرؤية البصرية ،وقاموا بر د الأحاديث التي وردت في مجال الرؤية لأنها أخبار آحاد لا يصح الاحتجاج بها ضد صريح القرآن مثل قوله – تعالى :" لا تدركه الأبصار" لكن إذا كانت رؤية الله–تعالى –بالبصر أمراً مستحيلاً فإن ذلك لا يكون حائلاً دون إمكان رؤية من نوع آخر وهي الرؤية القلبية ويريدون بها زيادة علم يفرضه الله على قلوب المقربين"[1]

هذا ومن الذين قرروا نفي الرؤية من المعتزلة بشكل واضح في أكثر من موضع في كتبهم هو القاضي عبد الجبار، وذلك محاولةً منه في إقناع كل من يقرأ كتبه بأن الرؤية مستحيلة سواء في كتابه "المغني في أبواب التوحيد والعدل " أم في كتابه " شرح الأصول الخمسة " ومثال ذلك عند تأويلهم الآية الكريمة في قوله –تعالى: " وجوه يومئذ ناضرة " فنفى القاضي عبد الجبار أن يكون النظر بمعنى الرؤية وقال يكون بمعنى الانتظار بدليل قوله –تعالى: ﴿ وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ ﴾.[2]

وقالوا أيضاً بتأويل (إلى) بمعنى الآلآء التي هي النعم).[3]

إذن فالمعتزلة ينفون الرؤية المعروفة "المقابلة بالحدقة" حدقة العين ويقولون برؤية من نوع آخر وهي القلبية التي تحصل بالقلب أي الخيال .

فلا تتحقق الرؤية بناء على قولهم إلا بين جسمين متقابلين والجسمية على الله –تعالى– محالة ، فالرؤية محالة على الله –تعالى–عندهم .

٢–الشيعة :

يقول الكليني مبيناً رأي الشيعة الامامية وباقي آراء الفرق الاسلامية في رؤية الله تعالى بقوله :"واعلم أن الأمة اختلفوا في رؤية الله سبحانه وتعالى عن ذلك على أقوال ، فذهب المشبهة والكرامية إلى جواز رؤيته في الدارين من الجهة والمكان لكونه تعالى عندهم جسماً ، وذهب الأشاعرة إلى جواز رؤيته تعالى في الآخرة منزهاً عن المقابلة والجهة والمكان ، وذهب المعتزلة والإمامية إلى امتناعها في الدنيا والآخرة وقد دلت الآيات الكريمة والبراهين العقلية والأخبار المتواترة عن أهل بيت

---

[1] – ابن رشد ،الكشف عن منهاج الأدلة في عقائد الملة ، مع مقدمة في نقد مدارس علم الكلام ،ص٨١–٨٢،تحقيق د.محمود قاسم ط ٢

[2] – سورة البقرة الآية ٢٨٠

[3] – القاضي عبد الجبار ، شرح الأصول الخمسة، ص٢٤٥–٢٤٦،فصل في نفي الرؤية، مرجع سابق .

رسول الله- صلى الله عليه وسلم- على امتناعها مطلقا"...ثم يورد بعد ذلك بعض الأدله العقلية التي تثبت ذلك ومنها :

-" إن كل من استضاء بنور العقل يعلم أن الرؤية البصرية لا يمكن وقوعها ولا تصورها إلا أن يكون المرئي في جهة ومكان ومسافة خاصة بينه وبين ر ائيه ولا بد أن يكون مقابلاً لعين الرائي وكل ذلك ممتنع على الله تعالى مستحيل بإجماع أهل التنزية من الأشاعرة وغيرهم ، ومنها أن كل مرئي بجارحة العين مشار إليه بحدقتها وأهل التنزية من الأشاعرة وغيرهم يتنزهون عن الإشارة إليه بأصبع أو غيرها.

- ومنها : أن الرؤية بالعين الباصرة لا يكون في حيز الممكنات ما لم تتصل أشعة البصر بالمرئي ،ومنزهوا الله تعالى من الأشاعرة وغيرهم مجمعون على امتناع اتصال شيء ما بذاته جل وعلا.

- ومنها: أن الاستقرار يشهد أن كل متصورلا بد أن يكون إما محسوساً أو متخيلاً من أشياء محسوسة أو قائما في نفس المتصور بفطرته التي فطر عليها فالأول كالأجرام و ألوانها المحسوسة بالبصر،وكالحلاوة والمرارة ونحوهما من المحسوسة بالذائقة، والثاني كقول القائل :أإيلام يا قوت نشر ن على رماح زبردج" . ونحوه مما تدركه المخيله مركباً من عدة أشياء أدركه البصر ، والثالث كالألم و الذة والراحة والعناء والسرور والحزن ونحوها مما يدركه الإنسان من نفسه بفطرته وحيث إن الله سبحانه وتعالى متعال عن هذا كله لم يكن تصوره ممكناً "[1].

و قد برهن علماء الشيعة على إنكارهم للرؤية بآيات كثيرة ويؤولون النصوص فيها ليوافق رأيهم كما يتضح من خلال كلام المطهر الحلي عند الاستدلال بالنظر في الآيه الكريمة على عدم الرؤية فيقول :"والنظر لا يدل على الرؤية مع قبول التأويل... وتعليق الرؤية بلستقرار المتحرك لا يدل على الإمكان و اشتراك المعلولات لا يدل على اشتراك العلل مع منع التعليل والحصر ." [2]

ومما سبق يتبين لنا أن الامور التي نفاها الشيعة واعتبروها لا تجوز بحق الله تعالى تنزيهاً له سبحانه على مشابهة الخلق والتجسيم والجهة رؤيته في الدنيا والآخرة .و يؤكد ذلك أيضاً أحد أئمة الشيعة محمد الطوسي بقوله :"لأن من شروط

---

[1] – أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ)، الأصول من الكافي ، تصحيح الشيخ محمد الأخوندي ج١ ص٩٥ تحت باب في إبطال الرؤية ، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨هـ.

[2] – الحسن بن المطهر الحلي، كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، ص٢٣٠-٢٣١ مكتبة المصطفوي ، قم .

صحة الرؤية أن يكون المرئي نفسه أو محله مقابلاً بحاسة أو في حكم المقابل والمقابلة تستحيل عليه لأنه لو كان مرئيا لرأيناه مع صحة حواسنا "[1]

ومن فرق الشيعة الذين أنكروا الرؤية فرقة الزيدية وكان ذلك من خلال رد أئمتهم على أهل السنة الذين يثبتون الرؤية في الآخرة لله تعالى : بـ"إن الذين يقولون إن اللهُ رى يوم القيامة قد وافقوا الكفار في قولهم أن الله يرى ، كما في قوله تعالى :

﴿ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ﴾ [2].

وكذلك قول الصفاتية يصلح أن يُرى الله، بل إننا نراه في الآخرة قطعاً وإنما يراه المؤمنون دون المعاقبين... إلى نهاية قولهم .... وهذا قول مردود".[3].

وقد أتى هؤلاء بنفس الحجج التي أتى بها المعتزلة فكان الرد عليهم بطرية واحدةً من الذين أثبتوا الرؤية.

فهم يتبنون نفس الآراء التي تبناها المعتزلة في نفيهم الرؤية ،ولتأكيد معتقدهم هذا وتأويلهم للآيات الدالة على الرؤية من القرآن الكريم .

و قد بين ابن الجوزية عقيدتهم في الرؤية وذلك في قوله: " وأنكرها أهل البدع ... والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون"[4]

٣– الجهمية :

"نسبة للجهم بن صفوان له آراءٌ ضالةٌ و قد ظهرت بدعته بترمذ بمرو وقتله مسلم بن أحوز المازني في آخر ملك بني أمية وهو من الجبرية الخالصة ".[5]

و هؤلاء قاموا بنفي الرؤية مطلقاً كما نفوا كثيراً من الصفات وقرر عنهم ذلك شمس الدين ابن قيم في معرض أمثلته "

المثال السادس : رد الجهمية النصوص المحكمة التي بلغت في صراحتها ...وصحتها إلى أعلى الدرجات في رؤية المؤمنين ربهم تبارك وتعالى في عرصات القيامة وفي الجنة كالمتشابه من قوله : { وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ } ،

---

[1] – محمد بن الحسن الطوسي، الاقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، ص٧٥، مطبعة الآداب النجف الأشرف ١٩٧٩م .

[2] – سورة النساء الآية ١٥٣

[3] – عبد الفتاح أحمد فؤاد، الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية ، ص٢٤٥،ج٢ ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

[4] – ابن قيم ، حادي الأرواح، ص١٩٦، مرجع سابق .

[5] – الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج١ ، ص٨٦ ،مرجع سابق .

وقوله: {وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ}[1]ونحوها ثم أحالوا المحكم متشابهاً وردوا الجميع." [2]

٤–الخوارج :

هم الذين خرجوا على الإمام علي بن أبي طالب– رضي الله عنه– بقيادة زعيمهم عبدالله بن وهب الراسبي وحاربوه في النهروان ."[3]

وهم من المنكرين للرؤية كالمعتزلة ، ويقولون باستحالتها على الله –تعالى–كما يتضح لنا من خلال النصوص التي سنوردها أنهم يذهبون إلى القول باستحالة رؤية الله تعالى وذلك للتنزيه ويؤكد ذلك ما أورده الإمام النووي بقوله :"وزعمت طائفة من اهل البدع المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة ان الله تعالى لا يراه احد من خلقه وان رؤيته مستحيلةعقلاً "[4]

فهم كما يبين النووي يقررون لستحالة رؤية الله تعالى عقلاً .

ويوضح ذلك أيضا ابن أبي العز بقوله: "والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والإمامية"[5]

والاباضية من فرق الخوارج فقد استدلوا على رأيهم هذا في النفي بأدلة من القرآن الكريم ومنها:

قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[6]

وكما يستدلون أيضا بقوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى ۚ ﴾ .[7] [8]

وقد اكد صاحب كتاب الأديان على أدلتهم التي استدلوا بها وقال: إن الدليل في قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار" ، حيث إن الله تعالى نفى عن نفسه الرؤية بآيه محكمة غير متشابهة ولا متصرفة في المعاني وهو قوله تعالى: "لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار" كما يثبت الاستدلال بالآية القرآنية الكريمة في قوله تعالى :

---

[1] – سورة الشورى الآية ٥١

[2] – ابن قيم الجوزية ،إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد ،ج٢، ص٢٩٥ ،دار الجيل بيروت ١٩٧٣ م

[3] – غالب علي عواجي ،الخوارج تاريخهم وآراؤهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها ، ص ١٧٠–٢١ ،رسالة ماجستيربتصر ّف

[4] – الإمام محيي الدين يحيى بن شرف النووي ،شرح النووي على صحيح مسلم ، ج٣، ص١٥، المطبعة المصرية ومكتبتها.

[5] – القاضي علي الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تحقيق أحمد شاكر ،ص ١٢٩، مكتبة الرياض الحديثة.

[6] – سورة الأنعام الآية ١٠٣

[7] – سورة الأعراف الآية ١٤٣

[8] – غالب علي عواجي، الخوارج تاريخهم وآراؤهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، ص٢٤٩–٢٥٠

جُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾[1] على نفي الرؤية ويرد على من استدل بها على أنها دليل على إثبات الرؤيه بقوله "تأويل الآيه تأويلاً لا يخفى فيه التكلف والتعسف وهو من التأويلات المذمومة ولكنه فسر ناضرة على أنها حسنه مشرقة مستبشرة بثواب ربها كما أنه فسر "إلى ربها ناظرة"أي منتظرة لما يأتيها من خيره وإحسانه وقد استشهد بأبيات شعرية على أن ناظرة تأتي بمعنى منتظرة ومن هذه الأبيات قول الشاعر:

فإما يك صدر هذا اليوم ولى فإن غدا لناظره قريب

ثم يختم حديثه بعد أن أورد الأدلة بقوله "فقد دل الكتاب واللغة على صحة ما ذهبنا إليه وبطلان ما ذهب إليه مخالفونا"[2]

فالواضح عندهم أنهم ينفون الرؤية مطلقاً عن رب العالمين حيث أن فرق الخوارج تلتقي جميعاً على نفي الرؤية عن رب العالمين وتلتقي على تأويلها بما يأتي بشيء غير الرؤية بالإبصار.

وقد قام ابن قيم بتقسيم الخوارج إلى قسمين في هذه المسألة . الأول : من يزعم أن الله –تعالى- يُرى في الدنيا ويحاضر ويسامر، والثاني : من يزعم أن الله –تعالى- لا يُرى في الآخرة ألبتة ولا يكلم عباده ، ثم يكمل الحديث بقوله : " وقد أخبر الله –تعالى– ورسوله –صلى الله عليه وسلم– وأجمع عليه الصحابة على قول مخالف لهؤلاء ويكذب اعتقادهم ."[3]

."[3]

فهم كما يقول ابن قيم الجوزية على فريقين، فريق يزعم برؤيته وكلامه، وفريق يزعم أن الله –تعالى- لا يُرى ولا يُكلم عباده فهم من النافين للرؤية في الأغلب .

وقد استدل هؤلاء النفاة بأدلة كثيرةً ، فمن القرآن الكريم على سبيل المثال استدلوا بقوله –تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾.[4]

فيقول القاضي عبد الجبار في كيفية الاستدلال بهذه الآية : " فإن قيل النظر المذكور في الآية إذا لم يفد الرؤية فما تأويل الآية ؟ قيل لهم : قد قيل إن النظر المذكور ههنا بمعنى الانتظار، فكأنه –تعالى– قال : وجوه يومئذ ناضرة لثواب ربها

---

[1] – سورة القيامة الآيات ٢٢-٢٣

[2] –كتاب الأديان والفرق، ص٥١-٥٢ نقلاً عن كتاب الفرق الإسلامية وأصولها الإسلامية عبد الفتاح أحمد حسن

[3] – ابن قيم ، حادي الأرواح، ص٢٤١، دار الكتب العلمية ، مرجع سابق

[4] – سورة القيامه الآيات ٢٢-٢٣

منتظرة والنظر بمعنى الانتظار قد ورد قوله تعالى :" فنظرة إلى ميسرة " .أي فانتظار وقال جل وعز فيما حكى عن بلقيس

﴿ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾.[1] أي منتظرة ." ([2])

وكنا قد تناولنا ذلك مفصلاً عند حديثنا عن رأي المعتزلة في هذه المسألة .

والجدير بالإشارة أن هذه الآية الكريمة هي من أهم الآيات التي يستدل بها المثبتون للرؤية ولكن نفاة الرؤية يؤولون النظر بالانتظار ليوافق ما يعتقدون به .

أما السنة النبوية الشريفة فإنهم لم يقوموا بالاستدلال بها وقالوا إن هذه الأحاديث أو أكثرها تتضمن تشبيه الله– سبحانه وتعالى– بخلقه وخصوصاً الحديث الذي فيه قوله– صلى الله عليه وسلم :" إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر ليلة البدر " .([3]) .[4]

ب– المثبتون للرؤية .

يقول الإمام النووي– رحمه الله تعالى" وقد تظاهرت أدلة الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، ومن بعدهم من سلف الأمة على إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة للمؤمنين ورواها نحو من عشرين صحابياً عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم ".[5]

فهذا بمثابة إجماع من الصحابة الكرام على جواز رؤية الله –تعالى–وعدم اختلافهم في هذه المسألة ، وكما هو الحال في إجماع أكثر علماء هذه الأمة إلا من قال بنفي الرؤية كما تقدم .

– أهل السنة :

يثبت الأشاعرة والماتريدية رؤية الله تعالى يوم القيامة واستدلوا بأدلة كثيرة تدلل على اعتقادهم ثم أن الإمام الباقلاني يبين أن الحجب للكفار يوم القيامة عن رؤية الله سبحانه وتعالى دليل على السخط وعدم الرضى منه سبحانه عليهم وهو عذاب

---

[1] – سورة النمل الآية ٣٥

[2] – القاضي عبد الجبار ،شرح الأصول الخمسة ، ص٢٤٥

[3] – رواه البخاري ، في باب قوله تعالى: " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة " ج ٦ ،ص ٢٧٠٣ رقم ٦٩٩٧، ٦٩٩٩

[4] – أنظر، القاضي عبد الجبار ،شرح الأصول الخمسة،ص٢٦٨ باختصار .

[5] – يحيى بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي ، ج٣ ، ص١٥، دار إحياء التراث بيروت ط٢ ١٣٩٢هـ

لهم ، و نجده يبين ذلك بقوله: "والحجب للكفار عن رؤيته عذاب فدل على أن المؤمنين غير محجوبين ولا يعذبون بعذاب الحجاب، فاعلم ذلك . "[1]

ويؤكد هذا أيضاً الإمام الغزالي في أن الزيادة في قوله تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة"هي بمعنى النظر إلى وجه الله تعالى وهي اللذة الكبرى التي ينسى فيها نعيم أهل الجنة وهي غاية الحسنى ونهاية النعمى وكل ما فصلناه من التنعيم عند هذه النعمه ينسى"[2]

وكما يتبنى ذلك الرأي الإمام الماتريدي حيث إنه يثبت الرؤية ويتوسع في إيراد الأدلة على لزومها يوم القيامة فيقول "القول في رؤية الرب عزوجل عندنا لازم وحق من غير إدراك ولا تفسير فأما الدليل على الرؤية قوله تعالى:

﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾[3]

فلو كان لا يرى لم يكن لنفي الإدراك حكمة إذ يدرك غيره بغير رؤية فموضوع نفي الإدراك وغيره من الخلق لا يدرك إلا بالرؤية لا معنى له ...والثاني: قول موسى عليه السلام" رب أرني أنظر إليك "[4]

ولو كان لا يجوز الرؤية لكان ذلك السؤال منه جهلاً بربه ومن يجهله لا يحتمل لم يكون موضعاً لرسالته أميناً على وصيته ،وبعد فإن الله تعالى لم ينهه يائسه... فإن قيل : لعله سأل آية يعلم بها، قيل : لا يحتمل هذا الوجه ، لأنه قال: "لن تراني وقد أراه"[5]

فاعتقاد الماتريدية والأشاعرة بلزوم رؤيته يوم القيامة بلا كيف وبغير تشبيه أو تعطيل أو تجسيم.

وكما يبين ذلك الإمام الجويني بقوله: "مذهب أهل الحق أن الباري تعالى مرئي ويجوز أن يراه الراؤو ن بالأبصار "- ثم يدلل على ذلك -والدليل على جواز الرؤية عقلاً أن الرب سبحانه موجود وكل موجود مرئي وبيان ذلك أنا نرى الجواهر والآلوان شاهداً "[6].

---

[1] – محمد ابو بكر الباقلاني ،الإنصاف فيما يجب الاعتقاد به ولا يجوز الجهل به ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ، ص١٨١ ، مؤسسة الخانجي القاهرة ١٩٦٣م.

[2] – أبو حامد الغزالي ،احياء علوم الدين، ص١٩٦ ،ط٣ ،ج٦ ،دار الخير بيروت ١٩٩٤م

[3] – سورة الانعام الآية ١٠٣

[4] – سورة الأعراف الآية ١٤٣

[5] – الماتريدي أبو منصور محمد الماتريدي ، التوحيد، تحقيق فتح الله خليف ، ص٧٧-٧٨، دار الجامعات المصرية الاسكندرية.

[6] – عبد الملك الجويني، لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ، ص ١١٥ ،تحقيق د. فوقيه حسين محمود ، الدار القومية القاهرة ١٩٦٥م .

ويبين الإمام الآمدي هذا ويؤكده بقوله : " والذي عليه إجماع الأئمة من أصحابنا أن رؤية الله –تعالى-غير ممتنعة عقلاً بل هي جائزة في الدنيا والأخرى " .[1]

وقد بين ذلك أيضاً الإمام أبو الحسن الأشعري فقال : "وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله–عز وجل –يوم القيامة بأعين وجوههم" [2]

ثم يتمنى الامام رؤية الله تعالى :" إن المسلمين اتفقوا على أن الجنة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر من العيش السليم والنعيم المقيم وليس نعيم في الجنة أفضل من رؤية الله –تعالى–بالأبصار وأكثر من عبد الله –تعالى-جَدَّ للنظر إلى وجهه الكريم أرانا الله إياه بفضله ." [3]

هذا وقد قام الإمام الآمدي بتوضيح منهج الإمام الأشعري وتفسير الأدلة التي استدل بها في إثباته للرؤية .

والذين أخذوا في هذا الر أي –رأي الإمام الأشعري– و في هذه المسألة ،حجة الإسلام الإمام الغزالي والإمام الفخر الرازي والإمام عزالدين التفتازاني وغيرهم كما يتضح لنا، فهؤلاء يمثلون بأقوالهم المذهب الأشعري فالإمام الغزالي يقول:" الرؤية نوع علم لا يوجب تعلقه بالمرئي تغير صفة ولا يدل على حدوث ."[4]

ويقول الإمام فخر الدين الرازي أيضاً : (هل يمكن أن يحصل للبشر نوع إدراك نسبته إلى ذات الله –تعالى– كنسبة الإبصار إلى المبصرات في قوة الظهور والجلاء ؟ وهذا هو المراد من قولنا إنه تصح رؤية الله –تعالى–أم لا ؟ عند هذا يظهر أن من قال العلم الضروري حاصل بامتناعه فهو جاهل مكابر).[5]

ويؤكد ذلك أيضاً الإمام التفتازاني بقوله:" ورؤية الله –تعالى– بمعنى الانكشاف التام بالبصر وهو معنى إدراك الشيء كما هو بحاسة البصر ".[6]

فالأشاعرة متفقون على أن رؤية الله –تعالى–من باب الأفعال الإلهية التي يخلقها الله سبحانه في أبصار العباد وكل فعل إلهي فهو جائز على الله –تعالى–لا واجب عليه فجعله الأشاعرة من باب الأفعال الجائزة على الله –تعالى– فنجد أن

---

[1] – الإمام أبو الحسن الآمدي ، أبكار الأفكار في أصول الدين ، تحقيق أحمد المزيدي، ص٣٩٠، المجلد الأول، دار الكتب العلمية لبنان، ط١، ٢٠٠٣ م

[2] – أبو الحسن الأشعري،رسالة إلى أهل الثغر ، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، ص٢٣٧، مكتبة العلوم والحكم، دمشق ،ط ١ ، ١٩٨٨م

[3] – أبو الحسن الأشعري، الإبانة عن أصول الديانة، ص٥٤

[4] – الإمام أبو حامد الغزالي ، الاقتصاد في الاعتقاد، ص٣٤ ،دار الكتب العلمية بيروت ،ط١ ،٢٠٠٤م.

[5] – فخر الدين الرازي ،معالم أصول الدين ، ص٧٤،مكتبة الإيمان ،مصر ،ط١، ١٩٩٩ م

[6] – سعد الدين التفتازاني ، شرح العقائد النسفية ، ص٧٤، ط١، ١٣٢٦ هـ تركيا

الأشاعرة قد اتجهوا في هذه المسألة الاتجاه الوسط بين القائلين بالنفي ومن وافقهم وبين القائلين بالرؤية بالكيف والحد وهم المشبهة ومن وافقهم وقد احتجوا على الجواز بأدلة عقلية كما يقول ابن رشد في مناهج الأدلة: "كذلك احتج بأدلة عقلية أهمها أن كل موجود فهو مرئي من حيث هو موجود لا من حيث هو جواهر وأعراض والله موجود إذن فهو مرئي ومنها " أي الأدلة العقلية" أن الله يرى الأشياء فهو يرى نفسه ويجوز أن يرينا نفسه ."[1]

ويقول الحنابلة إن رؤية الله سبحانة وتعالى في اليوم الآخر بالأبصار دون حاجز وذلك كما يرى القمر ليلة البدر وحيث يؤكد ذلك الاعتقادابن القيم في قوله :"في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرُى القمر ليلة البدر وتجليه ضاحكا لهم"[2].

وقام الإمام ابن تيمية في الرد على نفلقؤاية بناءً على ما أوردو ه من شبه وذلك من عدة وجوه:

١-إنه لا يظن بكليم الله ورسوله الكريم ، وهو أعلم الناس بربه في وقته، أن يسأل ما لا يجوز عليه.

٢-إن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله كما أنكر على نوح سؤاله تجاه ابنه، بقوله :﴿ قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾[3].

٣-إنه تعالى قال :"لن تراني" ولم يقل: إني لن أرى أو لا تجوز رؤيتي أو لست بمر ئي ، والفرق بين الجوابين ظاهر ألا ترى أن من كان في كمة حجر فظنه رجل طعاما، فقال : أطعمينه، فالجواب : الصحيح أنه لا يؤكل أما إذا كان طعاماً صح أن يقال إنك لن تأكله، وهذا يدل على أنه- سبحانه- مرئي ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوى البشر فيها عن رؤيته تعالى.

٤-قوله تعالى :﴿ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ ﴾[4]

فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت للتجلي في هذه الدار فكيف بالبشر الذي خلق من ضعف؟.

---

[1] – ابن رشد، مناهج الأدله في عقائد الملة، ص ٨٣-٨٤، تحقيق د. محمود قاسم ط٢ ، ١٩٦٤ م

[2] – ابن القيم: محمد بن ابي بكر ابن القيم الجوزية ، حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، ص١٩٦ الباب الخامس والستون ، دار الكتب العلمية بيروت

[3] – سورة هود الآية ٤٦

[4] – سورة الأعراف الآية ١٤٣

٥–قوله تعالى :﴿ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا ۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبْحَٰنَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾ الأعراف الآية ١٤٣

فإذا جاز أن يتجلى ربه للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لرسله و أوليائه في دار الكرامة؟

٦–إن الله تعالى كلّم موسى وناداه وناجاه ومن جاز عليه التكلم و أن يسمع مخاطبة كلامه بغير واسطة، فرؤيته أولى بالجواز. ولهذا لا يتم إنكار رؤيته بإنكار كلامه، وقد جمعوا بينهما .

٧–وأما دعواهم تأكيد النفي بلفظ "لن" وأن ذلك يدل على نفي الرؤية في الآخرة ففاسد لأن "لن" لا تقتضي النفي المؤبد لمثل قوله تعالى :﴿ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴾ [1].

وقد تبين من ذلك أن علماء السلف يثبتون رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة ويستدلون على ذلك بكثير من الأدلةالسمعية كقوله تعالى :﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ﴾ [2].

وكما يقول ابن تيمية في تفسير هذه الآية الكريمة: (إن فيها دلالة على أن أولياء الله يرون ربهم يوم القيامة.

ويؤكده في موضع آخر بقوله : (وإنه –تعالى-يُرى في الآخرة كما أخبر في كتابه وذكره رسوله – صلى الله عليه وسلم– هذا قولنا وقول أئمتنا)[3]

كما يبين ذلك ابن أبي العز الحنفي حيث يقول : (والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا " وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة") وتفسيره على ما أراد الله –تعالى– وعلمه .[4]

لذا فإن هذه الآراء من هؤلاء العلماء كلها مؤيدة لإثبات رؤية الله – سبحانه وتعالى –في الآخرة فجمهور الأشاعرة ومن وافقهم متفقون على أن صحة الرؤية متوقفة على الوجود، فرؤية الله –تعالى–عند الأشاعرة رؤية بلا مكان وبلا جهة وبلا حد وبلا جسم وبلا عَرض لأن تصور الأشاعرة لوجود الله –تعالى–أنه وجود مخالف لوجود الأجسام ، والعقل بدليلهم دل على استحالة الجسمية على الله –تعالى– فتكون الرؤية عندهم كما يقول صاحب العقيدة النسفية التي هي ممثلة لمذهب الأشاعرة بما يلي :" ورؤية الله –تعالى–جائزة في العقل وواجبة في النقل وقد ورد الدليل السمعي بإيجاب رؤية

[1] – سورة يوسف الآية٨٠ ، انظر ،فتاوى، ابن تيمية ، ج، ص٤٦٢ وكذلك انظر:حادي الأرواح ابن القيم ص٣٢٨ بتصرف

[2] – سورة المطففين الآيات ١٥–١٦

[3] – ابن تيمية،رسالة الفتوى الحموية الكبرى ويليها الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله تعالى ،ص ٦٣،تعليق عبد الرزاق حمزة ، مطبعة المدني.

[4] – ابن أبي العز الحنفي ، العقيدة الطحاوية، شرح محمد ناصر الدين الألباني ،ص ٢٦ ،المكتب الإسلامي بيروت ،ط١ ، ١٩٧٨ م

المؤمنين الله–تعالى–في الدار الآخرة فيرُى لا في مكان ولا على جهة من مقابلة أو اتصال شعاع أو ثبوت مسافة بين الرائي وبين الله –تعالى ".[1]

لذا فإن الرد على من نفى الرؤية من خلال العقل الذي ليس بموسوعه و استطاعته استيعاب ما هو أكبر من تفكيره ، فتفكيره محدود قولاً واحداً ، فهؤلاء قدموا العقل على النقل في أغلب مسائل العقيدة فوقعوا وأوقعوا في الضلال والبعد عن الصواب لأنهم قاسوا الغائب على الشاهد، والخالق على المخلوق ، فيحسن بنا أن نورد ما قاله عثمان الدارمي في رده عليهم حيث قال : " هاهنا ضللتم عن سواء السبيل ووقعتم في تيه لا مخرج لكم منه لأن المعقول ليس شئياً واحد موصوفاً بحدود عند جميع الناس فيقتصر عليه ولو كان كذلك كان راحة للناس ولقلنا به ولم نعد ، ولم يكن الله–تعالى– قال: ﴿ كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.[2] فوجدنا المعقول عند كل جماعة ما هم عليه من اعتقاد والمجهول عندهم ما خالفهم... إلى أن قال فالمعقول عندنا ما وافق هديهم والمجهول ما خالفهم ولا سبيل إلى معرفة هديهم وطريقتهم إلا هذه الآثار وقد لسلختم منها و انتفيتم منها بزعمكم فأنى تهتدون ."[3]

وخلاصة الكلام في هذه المسألة أن الرأي الراجح هو ما عليه الإمام الأشعري وأتباعه بجواز رؤية الله –تعالى– بالعين لمن شاء الله من خلقه في الدار الآخرة لما عليه صريح القرآن الكريم والسنة الشريفة كما سبق ، أما الكيفية التي تكون عليها هذه الرؤية فهي أيضاً كما قالت الأشاعرة بأنها ستكون بلا كيف ولا إحاطة من الرائي بالله–تعالى–فهذا الرأي هو ما يميل إليه القلب ويطمئن إليه ، وإن كانت هذه المسألة مسألة سمعية بحتة ليس لنا فيها إلا ما ورد بشأنها من دليل والحقيقة تظهر لنا جميعاً في الدار الآخرة والله–تعالى–الموفق .

---

[1] – الدكتور عبد الملك السعدي ، انظر:شرح العقيده النسفية في العقيدة الإسلامية، ص٩٠،مطبعة الأزهر،، الأردن ، ط٢، ٢٠٠٨م

[2] – سورة المؤمنون الآية ٥٣.

[3] – عثمان الدارمي ،الرد على الجهمية، تحقيق زهير الشاويش، ص٦٦–٦٧،المكتب الإسلامي بيروت، ط٤، ١٩٨٢ م ،باختصار.

المطلب الثالث: كلام رب العزة سبحانه وتعالى .

أولاً –إثبات صفة الكلام لله–تعالى .

ثانياً – انقسام الأمة في كيفية الكلام .

ثالثاً – أدلة إثبات كلام الله –تعالى–يوم القيامة .

رابعاً – مواقف من كلام الله تعالى لعباده .

ووجه الربط بين الجزاء وصفة الكلام للحق عزوجل كون الناس يوم القيامة بين أن يكون أهلاً لخطابه عزوجل أو لا ينالون هذا الشرف وهذا يقتضي منا الحديث عن هذه الصفة على النحو التالي :

أولاً – إثبات صفة الكلام لله–تعالى .

لقد ثبتت صفة الكلام لله–تعالى – في القرآن الكريم وللسنة الشريفة و الإجماع.

- فقد وردت آيات كثيرة دالة على ذلك منها :

١– قوله تعالى:﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴿١٦٤﴾ ﴾[1]

٢– قوله تعالى:﴿ ۞ تِلۡكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۘ مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ وَرَفَعَ بَعۡضَهُمۡ دَرَجَٰتٖۚ ﴾[2]

٣– قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ ﴾[3]

وغيرها التي تدل صراحة على إثبات صفة كلام الله –تعالى – وأنه متكلم.

- أما من السنة الشريفة فقد وردت كذلك أحاديث كثيرة أيضاً تثبت صفة الكلام لله –تعالى– وتؤيد ما ورد في الآيات القرآنية ،فمن هذه الأحاديث :

١– ما ورد في الحديث القدسي الذي يرويه أبو هريرة عن النبي –صلى الله عليه وسلم –أنه قال، قال الله–تعالى:

" يشتمني ابن آدم ،وما ينبغي له أن يشتمني ، ويكذبني ، وما ينبغي له . أما شتمه فقوله : إن لي ولداً وأما تكذيبه فقوله: ليس يعيدني كما بدأني"[4]

٢–وفي الحديث الذي يرويه أيضاً أبو هريرة عن النبي عليه السلام قال:" يتنزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول من يدعوني فأستجيب له؟ من يسألني فأعطيه؟ من يستغفرني فأغفر له "[1]

---

[1] – سورة النساء الآية ١٦٤

[2] – سورة البقرة الآية ٢٥٣

[3] – سورةالأعراف الآية ١٤٣

[4] – مختصر صحيح البخاري المسمى(التجريد الصريح)، تحقيق وتعليق.مصطفى البغا،كتاب بدء الخلق ،رقم الحديث ١٢٨٨،ص٤٢٩

٢-   وكذلك في الحديث الذي يرويه أبو هريرة عن النبي- صلى الله عليه وسلم - أنه قال : "إن الله تبارك وتعالى-إذا أحب عبداً نادى جبريل أن الله قد أحب فلاناً فأحبه فيحبه جبريل، ثم ينادي جبريل في السماء أن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ويوضع له القبول في الأرض "[٢]

والأحاديث الشريفة الواردة في هذا الموضوع كثيرة لا مجال لحصرها وهي جميعها متفقة مع آيات القرآن الكريم في إثبات صفة الكلام لله-تعالى.

- أما ما ورد من إجماع الأمة على إثبات صفة الكلام لله-تعالى- فيوضحه الآمدي بقوله :" وقد أجمع المسلمون قاطبة على اتصاف الرب -تعالى- بكونه متكلما وأنه تكلم ويتكلم غير الإسكافي من المعتزلة فإنه نازع من كونه يتكلم متحكماً في الفرق بين تكلم ويتكلم."[٣]

كما يؤكد ذلك أيضاً الإمام الرازي :" اعلم أن الأمة متفقة على إطلاق لفظ المتكلم على الله-تعالى-إلا أن هذا الاتفاق ليس إلا في اللفظ وأما المعنى فغير متفق عليه ".[٤]

فمن خلال هذه النصوص تبين لنا ثبوت صفة الكلام لله-تعالى- فهذه الصفة من صفات الكمال والعكس من أوصاف النقص والله -تعالى- منزه عن النقص وهو الخالق المتصف بالكمال في كل شيء .

ثانياً - إنقسام الأمة في كيفية الكلام :

أما ما وقع من خلاف بين المتكلمين فكان في كيفية كلامه-تعالى-وهل صفة الكلام صفة حادثة أم قديمة وهذا ما سنبينه في هذا المطلب إن شاء الله -تعالى-وهنا انقسمت الأمة إلى ثلاثة أقسام :-

القسم الأول:-   وقد أطلق عليهم اسم المشبهة لأن رأيهم في هذه المسألة أخذ طابع التشبيه (أي تشبيه الخالق بالمخلوق) كما في غيرها من الصفات ، ويؤكد ذلك الإمام الشهرستاني حيث يقول: " وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن : إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم".[٥]

فهؤلاء يقولون بأن صفات الرب سبحانه قديمة أزلية ومن هذه الصفات صفة الكلام .

---

[١] - الحافظ المنذري ، مختصر صحيح مسلم، تحقيق د. مصطفى البغا ،كتاب الدعاء ،باب الترغيب في الدعاء ،ص ٥٦٠ ،رقم الحديث ١٨٨٠ ، دار العلوم الانسانية .

[٢] - مختصر صحيح البخاري (التجريد) ص٤٣٢ ،رقم الحديث ١٢٩٥ ،مرجع سابق .

[٣] - الآمدي ،أبكار الأفكار ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ،المجلد الأول ،ص٢٦٥

[٤] - الإمام فخر الدين الرازي ،كتاب الأربعين في أصول الدين ، تحقيق د. أحمد السقا ،ص١٧٠،دار الجيل بيروت ،ط١، ٢٠٠٤ م

[٥] - محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ،الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني، ص٧٨

وقد أكد ذلك الإمام التفتازاني بقوله :" إن بعض هذه الفرقة زاد في الغلو فذهب إلى أن جلدة المصحف التي تضمه وكذلك الغلاف الذي يوضع فيه كلاهما أزلي قديم ! .كما ذهب آخرون إلى أن المادة ، التي كتب بها القرآن (الحبر مثلاً)فصار حروفاً وكلمات وهو بعينه كلام الله وصار قديماً بعد أن كان حادثاً ".[1]

فأصحاب هذا الر أي قد غالوا وذهبوا إلى غير المعقول بلا دليل يدل على رأيهم الذي تبنوه بل قاسوا الغائب على الشاهد في جل أفكارهم وآرائهم وجعلوا الخالق كالمخلوق في كل صفة وردت بشأنه– سبحانه وتعالى .

القسم الثاني :– ويمثله فرقة المعتزلة ومن وافقهم فهم مخالفون للقسم الأول في حكمهم في كيفية كلام الله –تعالى– فالمشبهه كما تقدم قالوا إن كلام الله– سبحانه وتعالى– قديم أزلي وقالت المعتزلة ومن وافقهم إن كلام الله سبحانه حادث مخلوق كما هو كل شي دون ذات الله –تعالى– في هذا الوجود مخلوق ، فكلامه مخلوق .

فيقول القاضي عبد الجبار في بيان ذلك و إثباته " وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله –تعالى–ووحيه وهو مخلوق محدث ".[2]

وقد أشار الأستاذ أبودقيقة عند بيانه لمفهوم كلام الرب– سبحانه وتعالى–عند المعتزلة (وقالت المعتزلة إنه حادث وقائم بغير ذاته–تعالى– ومعنى كونه متكلماً إنه موجود ذلك الكلام المؤلف من الكلمات المرتبة في أجسام مخصوصة مثل اللوح المحفوظ" [3]

وقد احتج هؤلاء (المعتزلة) على رأيهم وتمسكوا به بعدة أدلة منها :

- إن هذه الصفة في هذه الكيفية (القدم) تلزم من الله– سبحانه وتعالى–التشبيه والتجسيم .[4]

- الرد : وحيث إن هذا إدعاء باطل فلا يستلزم أن يكون كلامه —سبحانه– مشابه لكلام خلقه .

ولايلزم أن يكون صدور الكلام منه سبحانه بواسطة فم ولسان وشفتين ويؤيد ذلك قوله تعالى :﴿ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾ ([5])

وما ورد أيضاً في السنة من تسبيح الحصى والطعام دون فم ولسان وشفتين وغيرذلك".[1]

---

[1] – سعد الدين التفتازاني ،المقاصد ، ج٢،ص٧٤ ،تحيق إبراهيم شمس الدين دار الكتاب العلمية ،بيروت ٢٠٠١م بتصر ّف

[2] – القاضي عبدالجبار،شرح الأصول الخمسة،تحيق د. عبدالكريم عثمان وأحمد الحسي،ص٥٢٨،ط٣ ،١٩٩٦م، مكتبه وهبة ،القاهرة

[3] – محمود أبو دقيقة ،القول السديد في علم التوحيد ، ص٤٨،ج٢الإدارة العامة لإحياء التراث

[4] – القاضي بن أبي العز، شرح الطحاوية ، تحقيق عبدالله التركي وشعيب الأرناؤوط ،ص١٧٥،ج١،ط١،مؤسسة الرسالة ١٩٨٨ م

[5] – سورة يس الآية ٦٥

ويقول الإيجي موضحاً موقف المعتزلة من صفة كلام الله —تعالى" وقالت المعتزلة :أصوات وحروف يخلقها في غيره كاللوح أوجبريل أو النبي وهو حادث ... ثم يقول ومانقوله من كلام النفس فهم ينكرون ثبوته.ولو سلموه ، لم ينفوا قدمه فصار محل النزاع نفي المعنى وإثباته" .[٢]

فبهذه الطريقة يستدل المعتزلة بأدلتهم من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية على ما ذهبوا إليه من أن القرآن الكريم محدثٌ مخلوق لله –تعالى –وليس قديماً أزلياً ولو قالوا إنه قديم لتعدد القدماء وهو ما يتنافى مع الأصل الأول من أصولهم وهو التوحيد الكامل.

هذا وقد احتجوا وقدموا أدلةً كثيرةً على اعتقادهم والأدلة قائمة ضدهم فلا داعي لحصرها وذكرها والرد عليها ولكن للمزيد من هذه الأدلة التي قدموها يراجع تفسير الزمخشري. وللاطلاع كيف أن الإمام الرازي قام بتفنيد هذه الأدلة يراجع تفسير الرازي .

ونلخص كذلك الرد على كل ما استدل به المعتزلة بأن كلامه –تعالى– حادث بما يلي : أن القرآن هو بمعنى الكلام النفسي القائم بذات الله–تعالى –قديم والحادث منه هي الكلمات التي تكتب والأصوات التي تسمع .

والله تعالى أعلم .

القسم الثالث :– وأصحاب هذا الرأي أخذوا الموقف أو الرأي الوسط ، وهم الأشاعرة.

فيقول الأستاذ أبو دقيقة في تقرير وبيان مذهبم في كلام الله –تعالى: (إن لله —تعالى– كلاماً نفسياً ليس بحرف ولا صوت ، قائماً بذاته –تعالى) .

ثم يضيف (وقالت الأشاعرة : كلام الله –تعالى–صفة أزلية قائمة بذاته–تعالى– ليست بحرف ولا صوت منزهة عن التقدم والتأخر ولوازم الكلام اللفظي ومنزهة عن السكوت النفسي ، وعن الآفة الباطنية ." والسكوت النفسي :هو عدم إرادة الكلام مع القدرة عليه. والآفة الباطنية : حالة تمنعه عن الكلام وتسلب عنه القدرة عليه كالخرس ."وكلام الله بهذا المعنى يسمى كلاماً نفسياً ، ويدل عليه الكلام اللفظي دلالةً التزاميةً عرفاً فإن من أضيف له كلام لفظ دل عرفاً على أن له كلاماً نفسياً ، وقد أضيف لله –تعالى– كلام لفظي كالقرآن ، فيدل لتزاماً عرفاً على كلام نفسي لله تعالى .

أما المدلول الوضعي للقرآن المقروء الملفوظ به فبعضه حادث كطلب إقامة الصلاة وبعضه قديم كوحدانية الله تعالى "[١]

---

[١] – القاضي بن أبي العز، شرح الطحاوية ،ص ١٧٥ بتصرّف ،مرجع سابق

[٢] – عضد الدين الإيجي ، كتاب المواقف ، تحقيق د. عبدالرحمن عميرة ،مجلد ٣ ،ص١٢٩ دار الجيل بيروت ،شرح الشريف الجرجاني .

ويؤكد ذلك الإيجي بقوله " تنبيه : كلامه واحد عندنا لما مر في القدرة و انقسامه إلى الأمر والنهي والاستفهام والخبر والنداء بحسب التعلق"[٢]

لذا يتبين لنا من هذه النصوص أن الأشاعرة وقفوا الموقف الوسط بين الذين قالوا بقدم القرآن وحروفه وبين الذين قالوا بحدوثه حيث إنهم وزنوا ما استدلوا به من أدلة كل فريق بميزان دقيق من العقل والإنصاف والنزاهة .

فقالوا إن الأصوات التي نسمعها من القراء إنما هو القرآن القديم كلام الله القائم بذاته ووافقوا المعتزلة في أن الكلام المؤلف من الحروف والكلمات والأصوات على ما نعرف من الترتيب في القرآن فهو حادث .

فالأشاعرة لم يقولوا بخلق القرآن بالصفة التي قالت بها المعتزلة بشكل عام ولم يقولوا أيضاً بقدم كل ما يتصل به كالجلدة والغلاف كما ذهب المشبهة .

وهذا هو ملخص الكلام عند الإيجي والإمام التفتازاني ومقالات الأشعري كذلك .

فهذا بمثابة تلخيص لانقسام الأمة في مسألة كلام الله –تعالى –وبيان رأي كل قسم من هذه المسألة والراجح فيه هو ما عليه الأشاعرة وأتباعهم الذين اتخذوا الموقف الوسط من الآراء .

ثالثاً – أدلة إثبات كلام الله –تعالى–يوم القيامة :

لقد تبين لنا مما سبق ثبوت صفة الكلام لله –تعالى– لما ورد في ذلك من أدلة من القرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الأمة على أن هذه الصفة من صفات الكمال والضد منها من صفات النقص ،ولا بد من بيان وإثبات كلام الله –تعالى– لخلقه يوم القيامة بإيراد الأدلة من القرآن والسنة .

١– من القرآن الكريم :

حيث يقول–تعالى:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا عِلْمَ لَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾.[٣] وكذلك في قوله–تعالى:﴿ فوربك لنسألنهم أجمعين ﴾ .[١]

---

[١] – أبو دقيقة ، القول السديد في علم التوحيد ، ص٤٩،ج٢،تحقيق د. عوض الله جاد حجازي، الإدارة العامة لإحياء التراث ،ط١، ١٩٩٥م

[٢] – عضد الدين عبدالرحمن الإيجي ، المواقف في علم الكلام ، ص٢٩٥ عالم الكتب بيروت .مرجع سابق

[٣] – سورة المائدة الآية ١٠٩

إن الآيتين السابقتين تدلان دلالة واضحة على ثبوت كلام الله –تعالى– لخلقه يوم القيامة بالقول والسؤال ،وهما من دلالات الكلام ويكون ذلك بعد جمعهم وهذا الجمع لا يكون إلا يوم القيامة .

٢– أما من السنة النبوية الشريفة :

فقد وردت أحاديث كثيرة تدل على أحوال ومواقف كلام الله –تعالى – لخلقه يوم القيامة فمنها ما يكون لأهل الجنة خاصة للتشريف ، ومنها ما يكون لأهل النار للتحقير والتوبيخ ، و منها ما يكون للرسل–عليهم السلام، ومنها ما يكون للخلق جميعاً ،كما سيظهر لنا أثناء البحث إن شاء الله تعالى،ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال :" أول من يؤتى يوم القيامة فيقال هذا أبوكم آدم فيقال : هذا أبوكم آدم فيقول رب لبيك وسعديك ، فيقول له ربنا :أخرج نصيب جهنم من ذريتك فيقول يا رب وكم ؟ فيقول من كل مائة تسع وتسعين فقلنا يا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أرأيت إذا أخذ من كل مائة تسعة وتسعين فماذا بقي منا ؟ قال : إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " .[٢]فهذا الكلام من رب العالمين لأبينا آدم يثبت كلام الله –تعالى– يوم القيامة ، فهناك مواقف يوم القيامة يكون كلام الله تعالى من خلالها.

رابعاً – مواقف من كلام الله تعالى لعباده :

- الموقف الأول هو الذي يكون لأهل الجنة عموماً .

وقد ورد في ذلك آيات كثيرة وأحاديث شريفة صحيحة أيضاً تدل وتثبت تكريم الله –تعالى– لأهل الجنة والتفضل عليهم بالكلام ولكن الآيات لم تكن صريحة كما هو الحال في الأحاديث الشريفة فنذكر الحديث الشريف الذي يرويه أبو سعيد الخدري– رضي الله عنه– الذي يقول فيه: قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم:" إن الله –تبارك وتعالى –يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة ، فيقولون لبيك ربنا وسعديك ، فيقول : هل رضيتم ؟

فيقولون : وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك ؟

فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟

قالوا : يا رب وأي شيء أفضل من ذلك ؟

---

[١] – سورة الحجر الآية ٩٢

[٢] – الإمام أحمد، مسند أحمد ،ج٢،ص٣٨٨،محمد السعيد زغلول ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ،١٩٨٥ م.

فيقول: أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً ".[1]

فهذا الحديث صحيح وقد ورد في أكثر من موضع وهو صريح ببيان كيفية كلام الله –تعالى– لأهل الجنة جعلَنا الله من أهلها وجميع المسلمين .

وكذلك ما يكون من كلامه– سبحانه وتعالى– لأهل الجنة كلامه للأنبياء والمرسلين ومن آدم عليه السلام كما مر آنفا ونوح وعيسى وموسى ومحمد –عليهم السلام جميعاً –كذلك العلماء والفضلاء من الخلق .

ففي كلامه مع عيسى– عليه السلام– على سبيل المثال يقول–تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ ﴾.[2]

هذا والأمثلة كثيرة من القرآن الكريم والسنة الشريفة على كلام الله –تعالى–لأهل الجنة والأنبياء والمرسلين يوم القيامة لا مجال لحصرها في هذا المطلب .

- الموقف الثاني :– والمتمثل في كلام الله–تعالى–لأهل النار عموماً .

فإذا كان كلامه –تعالى–لأهل الجنة إكراماً وتكريماً وزيادةً في الفضل فإن كلامه–تعالى–لأهل النار من باب العذاب والتقريع والتوبيخ ، وقد ورد في شأن ذلك الآيات القرآنية الصريحة والأحاديث الشريفة .

فقال تعالى: ﴿ قَالَ ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ .[3]

- الموقف الثالث :– والذي يكون من كلام لرب العزة – سبحانه وتعالى– للناس جميعاً عند الحشر .

ويؤكد ذلك ما أخرجه البخاري عن عبدالله بن أنيس أنه قال: سمعت رسول الله –صلى الله عليه وسلم– يقول :

" يحشر الله العباد فيناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما سمعه من قرب أنا الملك أنا الديّان " .[1]

---

[1] – الحافظ زكي المنذري ، مختصر صحيح مسلم ، تحقيق د.مصطفى البغا ،كتاب : صفة الجنة باب : إحلال الرضوان على أهل الجنة ،ص٥٨٩،رقم الحديث ١٩٦٠ م دار العلوم الإنسانية ،دمشق .

[2] – سورة المائدة الآية ١١٦

[3] – سورة المؤمنون الآيات ١٠٨-١٠٩

وكذلك ما يكون من كلام للرب سبحانه لسائر الخلق ففي الحديث القدسي الطويل الذي يرويه أبو ذر عن الرسول- صلى الله عليه وسلم- أن الله -تعالى- يقول :" يا عبادي : إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه".[٢]

فهذه أدلةٌ واضحةٌ على أن هناك كلام لرب العالمين يوم القيامة في مواقف مخصوصة ومع فئات مخصوصة في الجنة كما هي في النار كما يكون للخلق جميعاً في محشرهم .

لذا فإن كثيراً من العلماء قد عنونوا في مصنفاتهم عناوين تدل على ذلك . ومنهم الإمام البخاري على سبيل المثال ، في قوله :(باب : كلام الرب عز وجل يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم) .[٣]

وقوله :(باب : كلام الرب مع جبريل ، ونداء الله الملائكة)[٤]

وقوله :(باب : كلام الرب مع اهل الجنة)[٥]

وقوله :(باب : ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه)[٦]

فهذا ما سار عليه كثير من المصنفين والعلماء في كتبهم ومصنفاتهم فاشتهر .و اشتهاره يدل على ثباته .

ففي نهاية هذا المطلب لا بد من بيان أن صفة الكلام ثابتة لله -تعالى- بالقرآن الكريم والسنة الشريفة وإجماع الأمة. ولكن وقع الخلاف كماتقدم في كيفية كلام الله- سبحانه وتعالى -، *فجماعة* تأخذ ما ورد من أدلة على الظاهر منها وتجعله الطريق الوحيد لها في الاستدلال فوقعوا في أخطاء ولم يكونوا متعمدين في ذلك إلا أنهم رأوا أن الحق هكذا ، وجماعة أخرى أرادوا أن يبعدوا الخالق عن كل صفة تشبيه بالمخلوقات حيث قدموا العقل في أدلتهم على النقل فوقعوا أيضاً في الخطأ ، فالجماعة الأولى والجماعة الثانية أرادوا التنزيه ولم يوفقوا ولكن برز من بينهم جماعة اتخذت الموقف الوسط وكان رجحانه وقبوله عند الغالبية ، وهو مذهب الأشاعرة ، وقد تقدم استدلال كل فريق والرد والترجيح في موقعه .

والله تعالى أعلم

---

[١] - محمد بن إسماعيل صحيح البخاري ،الجامع الصحيح المختصر ،ج٦ ،ص٢٧١٩،باب قوله الله -تعالى " ولا تنفع الشفاعة عنده تحقيق د.مصطفى البغا ،دار ابن كثير ١٩٨٧ م،

[٢] - الحافظ المنذري مختصر صحيح مسلم ، ،تحقيق د.مصطفى البغا ،كتاب الظلم ، باب في تحريم الظلم ص٥٤٦ ،دار العلوم الإنسانية

[٣] - صحيح البخاري ج١٣،ص٤٧٣

[٤] - المرجع السابق ج١٣،ص٤٦٠

[٥] - المرجع السابق ج١٣،ص٤٨٧

[٦] - المرجع السابق ج٨ ،ص٣٠٢

الباب الثالث: الجزاء عند الفلاسفة المسلمين .

مدخل:الجزاء عند فلاسفة اليونان .

المبحث الأول :الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المشرق .

المبحث الثاني:الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المغرب .

مدخل :الجزاء عند فلاسفة اليونان .

أولاً :تمهيد:

ثانياً : تصور فلاسفة اليونان للروح بعد الموت و خلودها :

أولاً :تمهيد:

كان اليونان يعتقدون في الحساب الأخروي ومحكمة عالم الأرواح المشكّلة من الملك (إياكوس) ملك إيجينيا والملك (مينوس) ملك كريت وشقيقه (راد مانثيوس) وقد نصبتهم الأساطير في هذه المناصب نظراً لنزاهتهم وعدالتهم واستقامتهم." ([1])

[1] – روز هيرءت جينكر،الديانة اليونانية القديمة،ص٣٣-٣٧،ص١٩١-١٩٤ ،ترجمة رمزي عبده جرجس ، دار النهضة مصر ، ١٩٦٥م

أما ما يخص مبدأ الثواب والعقاب الأخروي فقد كانت أفكارهم يسودها شيء من الغموض وعدم الوضوح إذ أن القليل منهم اعتقدوا بأنهم سوف يثابون على ما اقترفت أيديهم في الحياة الدنيا وآخرون خفضوا من غلوائهم بالاعتقادأنه سوف تنتقل القلة المختارة من الأبطال إلى جزيرة الربيع السرمدي في البحر الغربي غير أن السواد الأعظم كان يعتقد أن العالم الآخر لا يمكن تصور جحيمه أو نعيمه، وذلك لأنه عالم مليء بالأسرار يتحول فيه المرء إلى شبح في ظلمة لايسمع فيها إلا الصراخ والتأوهات من فرط العذاب والقليل من الأبطال هم الذين ينعمون بالفردوس " ([1])

ويؤكد ذلك صاحب كتاب المعتقدات الإغريقية عندما تحدث عن العالم الأخروي فقال :" لم تكن هناك أفكار دقيقة حول العالم الآخر عند الإغريق فقد رأى بعضهم أنه يقع تحت الأرض ورأى بعضهم الآخر أنه في الغرب البعيد ولكن هوميروس في ملحمة الأوديسا أعطانا تصوراً يجمع بين الرأيين السابقين فقد رأى أن المدخل الرئيسي إلى عالم الموتى (الأخرى) يقع في أقصى الغرب وراء نهر الاقيانوس ثم إن هناك مكانين عالم هاديس وهو الجحيم حيث تذهب إليه أرواح الموتى من البشر العاديين وتعيش فيه الأطياف أو الأشباح حياة مملة موحشة لا طعم فيها ولا رغبات وتلقى الروح الآثمة عذاباً منوعاً أما الروح الطيبة من الناس فتبقى تتجول في هذا العالم القاسي .

والعالم الثاني : هو عالم الاليزيون الذي هو بمثابة الفردوس الذي يعيش فيه عدد قليل من الأبطال والصالحين (جسداً ا وروحياً) في مكان يسوده الهناء التام و النعيم الأبدي " ([2]).

أما بالنسبة لخلود الإنسان في الحياة الأخرى ،في الجنة والنار، كما يعتقد اليونان فقد رفضوا عقيدة الخلود في الحياة الأخرى بعد الموت التي تضمنتها ديانة ديونيسوس في أول الأمر ولكن للإطلاع على آراء الفلاسفة في النفس وخلودها لا بد من عرض آراء عدد من الفلاسفة اليونان في هذه المسأله للوقوف على تصور عام فيه ، والفلاسفة هم : فيثاغورس ، سقراط ، أفلاطون ، أرسطو ، أبيقور ، وأفلوطين .

ثانياً : تصور فلاسفة اليونان للروح بعد الموت و خلودها :

---

[1] – بورا سيرموريس ، التجربة اليونانية ، ترجمة أحمد سلامة ، الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ١٩٨٩م .

[2] – خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية ،ص١٥٨، ط١،الإصدار الأول،دار الشروق مرجع سابق .

لقد كان في اعتقادفلاسفة اليونان بشأن الروح وما يترتب عليها بعد انتقالها من الجسد بالموت الأثر في اعتقادهم بوجود حساب و عذاب لها .أما كيف كان هذا التصور والتفسير للروح ؟ فيتبين لنا من خلال عرض آراء فلاسفتهم وهي كما يلي :

١-فيثاغورس :([1])

رأيه في الروح وخلودها :

يعتبر فيثاغورس من أوائل الفلاسفة الذين اعتقدوا في خلود الروح وعودتها مره ثانية إلى النور الإلهي الذي انبثقت عنه وذلك بعد حيوات متعدده تتقمص فيها الروح أجساداً مختلفة لكي تتطهر من خطاياها لتتخلص من آثامها ويبدو مدى تأثره بخلود الروح والديانة الهندية ولا سيما عقيدة الكارما المبنية على تناسخ الأرواح ومبدأ الجزاء من جنس العمل."([2])

من هذا يتبين لنا أن فيثاغورس مؤمن أن هناك حساباً للروح مع الجسد بعد الموت ولكن بعد أن تتقمص هذه الروح أجساداً مختلفة بهدف التطهر من الخطايا و الآثام .

ولكن وبحسب الدراسات فإن هذا الاعتقادعند فيثاغورس لم يؤثر على اعتقادالعوام بل تأثر به القلة القليلة من الفلاسفة وأخذوا به بينما بقي المفهوم العام للموت لأنه فناء للروح والجسد معاً .

٢-سقراط : .([3])

رأيه في الروح وخلودها :

هذا الفيلسوف أكد ما قاله واعتقد به فيثاغورس،بشأن خلود الروح بعد الموت فقال:"إن الموت لا يوجد مبرراً للخوف منه إلا الجهل به وبطبيعته موضحاً أن الموت في رأيه لا يعدو سوى ترحالٍ تقوم به الروح من حياة إلى حياة"([4]).

---

[1] – نشأ فيثاغورس في ساموس،وكانت جزيرة ايونية مشهورة ببحريتها وتجارتها وتقدم الفنون فيها طوف في أنحاء الشرق ولما ناهز الأربعين قصد إيطالياً الجنوبية، وكان المهاجرون اليونان قد بلغو فيها درجة عالية من المدنية والثقافة ونزل ثغر اقروطونا وما لبث حتى عُرف بالعلم والفضل للمزيد أنظر، تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص٢٥ .

[2] – عبد الله أباحي ، المذهب الروحاني ، ص٣٦٢- ٣٦٣ ، ١٩٦٦م

[3] – ولد سقراط في أثينا تعلم فيها واتهم بالإلحاد وحكم عليه بالإعدام وكان اسمه له الأثر من الإعجاب و العداوة في آن واحد بحيث كان يشطر الفلسفة اليونانية إلى شطرين ما قبله وما بعده للمزيد أنظر، تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص٦٣. مرجع سابق

[4] – جاك شورن ، الموت في الفكر الغربي ، ص٣٧-٤٩ ،ترجمة يوسف حسين ، ط٢، دار الفارس عمان ،٢٠٠٠م بتصرّف .

والدليل على قوله بالحياة الأخرى بعد الموت ماذكره صاحب كتاب تاريخ الفلسفة اليونانية فأمر سقراط بالسم، فأحضر له مسحوقاً في كأس، فتناولها بثبات ،فدعا الآلهة أن يوفقوه بهذا الرحيل من العالم الفاني إلى العالم الباقي " ([1])

فاعتقاده بأن الروح خالدة بعد مفارقتها للجسد في حياة أخرى والخلود يترتب عليه أحداث إما في نعيم الفردوس أو غيره .

٣-أفلاطون :([2])

رأيه في الروح وخلودها :

نجد أن افلاطون عند حديثه عن الروح وخلودها قد قام بتقسيم الروح إلى قسمين :

١- روح عاقلة وهي الروح الخالدة ، ومكانها الدماغ .

٢- روح غير عاقلة وهي غير خالدة وقام بتقسيمها إلى قسمين :

أ- غضبية ومستقرها الصدر .

ب- شهوية ومكانها البطن ." ([3])

وقد قام أفلاطون عن طريق نظرية التذكر والمثل ببيان أن الروح سابقة على البدن، وذلك بالمعارف التي حصلتها في عالم المثل الشاغل بالحقائق المجردة وقد وصف الروح بأنها بسيطة غير مركبة وأنها الجوهر الذي يتحكم في حركة البدن و المصدر المباشر للحياة وأكد أن الموت لا يعدو أن يكون عملية انفصال الروح عن الجسد الهالك الفاني و انطلاقاً من عالم الخلود طلباً للحقيقة وعشقاً لمثال الخير وعلى ذلك فيجب على الفيلسوف الحق (في نظره) التأهب إلى هذه المرحلة يعني الانتقال من العالم المادي إلى العالم المجرد حيث الوصول إلى ضالته ،وينبغي عليه أيضا ألا يجزع من الموت إلا بقدر خوفه مما يجهل" ([4]).

---

[1] - يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص٧٣ ، مرجع سابق .

[2] - ولد أفلاطون في أثينا أو في أجينا ،سنه ٤٢٧ ق.م في أسرة عريقة الحسب كان لبعض أفردها المقام الأول في الحزب الأروستقراطي وشأن كبير في السياسه الأثينية تتفق كأحسن ما يتفق أبناء طبقته ،وقرأ شعراء اليونان وعلى الخصوص هوميروس ... في سن العشرين تعرف إلى سقراط ... وله مؤلفات كثيرة " للمزيد أنظر، تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص٧٥-٧٦. بتصرف مرجع سابق .

[3] - أحمد حسن الشيخ ، جروس برس ، تحضير الأرواح ، ص٢١.

[4] - جاك شورن ، الموت في الفكر الغربي ، ص٥٢-٧٥ ،ترجمة يوسف حسين ، ط٢، دار الفارس عمان ،٢٠٠٠م ، مرجع سابق.

فالنفس (الروح) عند أفلاطون خالدة فقط هي الروح التي يكون لها علاقة بالدماغ وهي النفس العاقلة أما التي تتعلق بالصدر و البطن فليست بخالدة وهذا الخلود عنده يدل على أن هناك حياة أخرى والبعث عنده يكون للروح التي دلل عليها بالنفس العاقلة أما الجسد فلا ودلل عليه بالنفس غير العاقلة (الشهوانية) .

٤- أرسطو :([١])

رأيه في الروح وخلودها:

قام أرسطو بتعريف النفس(الروح) بأنها كمال أول لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة".([٢])

وهو لا يسلم بإمكانيه حياة الروح بعد مفارقتها للبدن بالموت".([٣])

وإن كان في بعض كتاباته قد أشار إلى ذلك متاثراً باستاذه أفلاطون فهو يصف العقل الإنساني بأنه قبس إلهي خالد مستقل عن الجسم وعلى ذلك يسلم بوجود عالم عقلي مغاير لعالم الحس والمادة لا يخضع للفناء ." ([٤])

فنجد أن هذا الفيلسوف مضطرب في تحديد معنى النفس الحقيقية، فتارة يصفها بالخلود متاثراً بأستاذه أفلاطون وتارة أخرى يصفها بالفناء .

وللوقوف على حقيقة النفس عند أرسطو قبل الخوض في الحديث عن اعتقاده باليوم الآخر والخلود فيه نذكر الآتي:

تطلق النفس عند أرسطو بمعنيين :

الأول : إطلاق النفس بمعناها العام و هي في هذا المعنى مشتركة جميع الكائنات الحية : مع النبات والحيوان والإنسان.

الثاني : إطلاق النفس بمعناها الخاص وهي التي لاتوجد إلا في الإنسان .

فيبني تعريفه للنفس بمعناها العام على إحدى نظرياته المعروفة في الطبيعة وهي نظرية التفرقة بين المادة والصورة أو القوة والفعل"([٥]).

---

[١] – ولد أرسطو سنه ٣٨٥ ق.م في أسطاغيرا وكانت مدينة أيونية قديمة على بحر إيجة في الشمال الشرقي من شبه جزيرة خلقيدية في تراقية على حدود مقدونية وفي عهده استولى عليها المقدونيون وخربوها وسميت فيما بعد أسطافرو،وكانت أسرته معروفه بالطب كابراً عن كابر وكان أبوه طبيباً للملك المقدوني أمنتاس الثاني،أبي فيليبوس أبي الإسكندر توفي وما يزال أرسطو حدثاً فقد امتاز أرسطو عن أقرانه فسمي أفلاطون لذكائه الخارق وقام بنقد أقوال أفلاطون وتجريحها للمزيد انظرتاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص١٤١-١٤٢.بتصر ّف مرجع سابق .

[٢] – أرسطو ، كتاب النفس ،ترجمة أحمد الأهواني ، ص٤٢-٤٣ ،ط٢،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

[٣] – جاك شورن ،الموت في الفكر الغربي ،ص٦٠-٦٣، ترجمة يوسف حسين ،ط٢، دار الفارس عمان،٢٠٠٠م ،مرجع سابق.بتصر ّف

[٤] – رؤوف عبيد ،مطول الإنسان روح لاجسد الخلود ،العقل ،الاعتقادفي ضوء العلم الحديث ، ص١٢٠-١٢١ ، ط٣ ، ج١ ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧١ م

[٥] – أرسطو ، كتاب النفس ،ترجمة د. وأحمد الأهواني ، ص٤٨-٤٩ ،ط٢،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

ولكننا نجد أن تعريف النفس عند أرسطو كما بينّها بأنها كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة فهي جوهر ، بمعنى صورة ،أي ماهية جسم ذي صفة معينة "[1].

ثم نجد أن أرسطو يقرر أن هناك خلوداًولكن هذا الخلود يكون للعقل الفعّال بعد الموت .

وإذا كان أرسطويقول بالخلود للنفس فإنه لاشك يكون إقراراً منه على وجود حياة بعد الموت وحساب ولكنه لم يصرّح بشيء من ذلك .

٥-الفيلسوف أبيقوروس :[2]

رأيه في الروح وخلودها:

يقول أبيقوروس بفناء الروح والعقل معاً وينكر خلودهما كما يؤكد ارتباطهما بالبدن ثم يبين أن أوائل الذين يخافون من الموت إنما هو وهم سببه الطمع في الخلود" [3].

فهذا الفيلسوف قد انفرد عن الفلاسفة السابقين له بالقول بفناء النفس و الروح والقول بعدم الخلود لهما معا ينبئ بالقول بعدم وجود حياة أخرى وعلم وجود حساب فيها و يقول على العكس من أرسطو في اعتقاده بأن الخوف من الموت سببه الجهل عند سقراط أما ما عليه أبيقور فالخوف من الموت فهو الطمع في الخلود في الحياة الدنيا إذ أنه ينكر الحياة الأخرى .

٦- أفلوطين :[4]

رأيه في الروح وخلودها:

نجد من خلال الاطلاع أن أفلوطين يؤكد عقيدة الخلود للروح والتناسخ لها وقانون الكارما الذي من خلاله يقتضي بوجود الروح للظالم في حياة أخرى (ثانية) يقتص منه (فالولد الذي يقتل أمه يعود إلى الحياة الأرضية مرة ثانية في صورة امرأة يقتلها ابنها ...) .[1]

---

[1] - المرجع السابق ص٤٢-٤٣

[2] - ولد أبيقوروس في ساموس سنة ٣٤١ ق.م من أسرة أثينية وكان أبوه معلماً ، أفتتح مدرسة سنة ٣٠٦ ق.م فأقبل الناس عليه يتعلمون حياة اللذة... وانتشرت تعاليمه فتأسست مراكز له في اليونان وفي مصر ثم إيطاليا بعد وفاته ومات سنة ٢٧٠ ق.م للمزيد انظر: تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص٢٨٦.بتصرّف ،مرجع سابق .

[3] - جاك شورن ، الموت في الفكر الغربي ، ص٦٤ -٧٣ ، ترجمة يوسف حسين ، ط٢، دار الفارس عمان ،٢٠٠٠م ، مرجع سابق.

[4] - ولد في ليقوبوليس من إلاحوان أعمال مصر الوسطى سنة ٢٠٥ م وبقي بها إلى الثامنة والعشرين من عمره .

لم يشرع في الكتابة إلىالخمسين وكتب أربع وخمسين مسألة هي صورة لتعليمه الشفوي وكان تعليمه شرحاً على نص لأفلاطون أو الأرسطو. للمزيد انظر ،تاريخ الفلسفة اليونانية ، يوسف كرم ، ص٣٢٤-٣٢٥بتصرّف مرجع سابق .

فيتضح لنا من خلال ما سبق أن الفلاسفة اليونان لم يكن لهم تأثير على المجتمع العامي في معتقداته ،ومن ثم فإنه لم يكن لهم تأثير يذكر للبعث بشكل واضح في كتاباتهم التي كنا نلاحظها في الديانات المصرية مثلاً .

أما بالنسبة لوجود الجنة والنار فإننا نلاحظ أن أولئك الذين يعتقدون بخلود الروح يقولون بوجود الفردوس أي الجنة باعتباره الثواب على العمل الصالح للأتقياء .

---

[1] – رؤوف عبيد ، في العودة للتجسيد بين الاعتقادوالفلسفة والعلم ، ص٢٢-٢٣ ،دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧٦م بتصرف.

المبحث الأول :الجزاء عند الفلاسفة المسلمين .

المطلب الأول : فلاسفة المشرق :

المطلب الثاني: فلاسفة المغرب :

تمهيد:

كان للفلاسفة بصفة عامة آراء اعتقادية متضاربة ومختلفة في موضوع اليوم الآخر وما يشتمل عليه من أمور البعث والجزاء .

ففي البداية تجدر الإشارة إلى أن هناك ثلاث توجهات للفلاسفة تخص هذه القضية عبر العصور المتعددة للفلاسفة نجمل أصحابها فيما يلي :

أولاً :الدهريون : وهم طائفة من متقدميهم أنكروا الخالق وقالوا بأزلية العالم وأبديته.

ثانياً : الطبيعيون : وهم طائفة أكثروا البحث في المخلوقات فقادهم ذلك إلى الإقرار بالخالق ولكنهم أنكروا المعاد لأن المعدوم عندهم لا تعقل إعادته .

ثالثاً : الإلهيون: وهم متأخرو فلاسفة اليونان : كسقراط وأفلاطون وأرسطو الذي لقبه الفلاسفة المسلمون بالمعلم الأول وساروا على طريقته في كل ما ذهب إليه سوى كلمات يسيرة رأوا فيها رأي أفلاطون والمتقدمين .

هذا ويقتصر مجال بحثي على أصحاب التوجه الثالث، وهم الفلاسفة المسلمون ، ومنهم الكندي والفارابي وابن سينا وابن رشد ، وابن طفيل ، وابن باجة ، وسيتم تناول الموضوع على النحو التالي:

المطلب الأول : فلاسفة المشرق :

أولاً : حقيقة الجزاء عند الكندي.

ثانياً : حقيقة الجزاء عند الفارابي.

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن سينا.

المطلب الثاني: فلاسفة المغرب :

أولاً :حقيقة الجزاء عند ابن رشد .

ثانياً : حقيقة الجزاء عند ابن طفيل .

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن باجة.

المطلب الأول : فلاسفة المشرق :

أولاً : حقيقة الجزاء عند الكندي.

ثانياً : حقيقة الجزاء عند الفارابي.

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن سينا.

أولاً : حقيقة الجزاء عند الكندي.

أ : تعريف موجز بالكندي:

ب: تعريف النفس عند الكندي:

ج : حقيقة البعث والجزاء عند الكندي :

أ : تعريف موجز بالكندي:

هو يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي الأَشعثيالفيلسوفُ ، صاحب الكتب، من ولد الأَشعث بن قيسٍ ، أَمير العربكان رأْساً في حكمة الأَوائل ومنطق اليونان والهيئة والتنجيم والطبّ وغير ذلك. لا يلحق شأوه في ذلك العلم المتروك، وله باع أَطول في الهندسة والموسيقى.

كان يقال له :فيلسوف العرب، وكان متهماً في دينه، بخيلاً، ساقط المروءة، وله نظم جيد وبلاغة وتلامذة ، هم بأن يعمل شيئاً مثل القرآن ، فبعد أيام أذعن بالعجز . قال عبد الرحمن بن يحيى بن خاقان: رأيته في النَّوم، فقلت: ما فعل الله بك؟

قال: ما هو إلا أن تلا قوله: ﴿انطَلِقُوا إلى مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ (المرسلات: ٢٩)

وقد روى عن أبيه أبي داود. فهو عربي باتفاق أصحاب التراجم ، لذلك يسمونه (فيلسوف العرب) وذلك تمييزاً له عن فلاسفة الإسلام من غير العرب ومن المرجح أنه ولد في أواخر حياة أبيه حوالي عام ١٨٥هـ ، ووفاته كانت سنة ٢٥٢ هـ . أما بالنسبة لمنزلته عند الخلفاء العباسيين فقد بقي معظم حياته عظيم المنزلة عندهم وذلك لأجل نبوغه في العلم والفلسفة النظرية والعملية وحيث ان هؤلاء الخلفاء هم من المعتزلة فقد قيل عنه إنه معتزلي ، ثم أنه قد ألف في أصول مذهب المعتزلة . هذا وقد نشأ الكندي في بيئة وحياة فكرية قوية وهي الكوفة ، وهي موطن ولادته والبصرة موطن نشأته." [1]

ولكي يسهل الوقوف على مذهبه في البعث والجزاء،لا بد من التعرف على آرائه في النفس الإنسانية .

ب: تعريف النفس عند الكندي:

وقد كشف لنا الكندي من خلال كلامه عن النفس ومراحل الإدراك بوجه عام عن ملكة واضحة من النقد على الرغم مما اشتهر به من ميل إلى الانتقاء والتلفيق ، فالنفس فيما يرى تنتمي إلى عالم الأفلاك التي أدركها الفساد من حيث هي جوهر غير مادي ودليله على روحانية النفس قائم على اعتبار فيثاغوري أفلاطوني مؤداه أن اتحاد النفس والجسد إنما هو اتحاد عرضي يتخلى عنه دون أن يؤثر في كيانه المادي ، وبما أن الفس فضلاً عن ذلك تمنح الجوهر الحي ذاتيتها وهويتها تحتم أن تنزل منه بمنزلة (الصورة العاقلة) أو النوع وهذا يفضي بنا إلى أن النفس إنما هي صورة أو نوع من أنواع الجواهر الحية غير المادية وإنها بالتالي جوهر روحاني ".[2]

ويعرف الكندي النفس بأنها نهايه جرم طبيعي ذيآلة قابل للحياة أو استكمال أولي لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة.

وهنا نرى بوضوح لا يدع مجالاً للشك أن الكندي يقر ويعترف صراحة بخلود النفس وإن كان لم يذكر كيفية اتصال النفس بالبدن ولكنه يؤكد أن علاقة النفس بالبدن علاقة عارضة مع أنها لا تفعل إلا به فهي متحدة به وإن كانت باقية بعد فنائه ". [3]

---

[1] – شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن أحمد الذهبي ، سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط،ج١٢،ص٣٣٨ .
رسائل الكندي الفلسفية ،تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ،ص ١ – ٦ ، ج١،دار الفكر العربي ،١٩٥٠م بتصر ّف .

[2] – يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية ، ص ٢٦٥،القاهرة ، ١٩٥٠م

[3] – محمد عبد العزيز المعايطة ، الفلسفة الإسلامية ، ص١٠٠

ويشير الكندي إلى أن مصير النفس كما يصورها في رسائله " بأن النفس بعد أن تفارق مقامها الجسدي الآني تلحق ثانية بعالم الحق الذي يغمره نور الباري، وتصبح من ثم قادرة على استيعاب جميع المعارف حتى لا يبقى شيء خافياً عنها كما أثبت ذلك أفلاطون". [1]

و نجد الإمام الطبري يقول في تفسير قوله تعالى :{ فبصرك اليوم حديد }فأنت اليوم نافذ البصر بما كنت عنه غافلاً .

ولكن لا يتهيأ لكل نفس عندما تفارق الجسد أن تعود إلى العالم المعقول الواقع ما وراء الأفلاك وإنما يمر بعضها في مراحل متتابعة من التطهر ،فهي تكمن حيناً أولاً في القمر ، ثم في فلك عطارد ، فالأفلاك الواقعة بعده على التوالي إلى أن تبلغ تمام الطهارة ، وعندما تصبح جديدة بدخول العالم العقلي." [2]

وأقول: إن هذا الرأي في أن النفس بعد أن تنفصل عن الجسم تصبح تعرف كل المعارف التي كانت قد أخفي عنها في الحياة الدنيا إن هذا له تأثر بالقرآن الكريم لقوله تعالى : ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ [3]

ج: حقيقة البعث والجزاء عند الفيلسوف الكندي :

الكندي يؤمن بالبعث الجسماني ويعتقد به ويدلل على اعتقاده هذا بجواب النبي– صلى الله عليه وسلم– عن سؤال في أمر البعث ؟

فقال الكندي : كجواب النبي –صلى الله عليه وسلم ــ، حيث سأله السائلون، يا محمد:"من يحيي العظام وهي رميم؟" فأوحى الله تعالى إليه: ﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.[4]

---

[1] – الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ،ص٢٧٤ ،مرجع سابق .

[2] – ماجد فخري ،تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة كمال اليازجي ، ص١٢٥ ،دار المتحدة ١٩٧٤ م

[3] – سورة ق الآية ٢٢

[4] –سورة يس الآيات ٧٩–٨١

ثم قام الكندي بتفسير هذه الآية الكريمة تفسيراً فلسفياً مع إظهار إعجابه في أحكام الأصول البرهانية التي تضمنتها هذه الآيات وهي:

أولاً يجمع ما تفرق من الأجزاء للبدن أمرٌ ممكن بل هو بالقياس إلى صفة من العدم في المادة وأن قدرة الله تعالى التي أبدعت الأشياء من عدم فيمكن أن تنشئ ما أدثرت مرة أخرى. أما كون العظام موجودة بعد أن لم تكن فذلك ظاهر الحس فضلاً عن ظهوره عند العقل .

ثانياً :ذكر الكندي دليلاً جديداً على إمكان البعث وهو وجود الشيء عن نقيضه وهو أمر مشاهد بالحس مثل وجود النار من الشجر الأخضر الذي ليس ناراً على ما ذكر في الآيات الكريمة.

ثالثاً : وجود الشيء الكبير من نقيضه العدمي حاصل بالمشاهدة كالسماوات والأرض ، وذلك يدل على أن بعث الأجساد ونشرها أيسر وأهون.

رابعاًلقد وضّح الكندي إمكان بعث الأجساد وميّز بين الخلق الإلهي وبين فعل البشر من حيث النوع نظراً لأن المفكرين قد يعتمدون على شبهة أساسهاأن الزمان لا بد منه للخلق خصوصاً خلق ما كان عظيماً .

ويختم الكندي شرحه لهذه الآيات بما يؤكد اعتقاده بما ورد في هذه الآيات الكريمة من الدلائل على حشر الأجساد بقوله :"فأي بشر يقدر بفلسفة البشر أن يجمع في قول بقدر حروف هذه الآيات مما جمع الله جل وعلا إلى رسوله- صلى الله عليه وسلم-فيها من الإيضاح أن العظام تحي بعد أن تصير رميماً .وقدرته تخلق مثل السماوات والأرض وأن الشيء يكون من نقيضه وكفت عن مثل ذلك الألسن المنطقية المتحيلة وقصّرت عن مثله نهايات البشر وحجبت عنه العقول الجزئيه ".[1]

فمن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الفيلسوف الكندي يعتقد بحقيقة البعث بنوعيه الجسماني والروحاني.

---

[1] – الكندي ، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة ،ص٥٦-٥٨ ،ج١،دار الفكر العربي ١٩٥٠مبتصرّف .

مع تأثره الواضح بالفلسفة اليونانية ، إلا أنه على الرغم من ذلك يستشهد على إمكانية البعث بعد الموت بآيات من القرآن الكريم ويحاول التوفيق بينها وبين الفلسفة كما أنه يقر بوقوع الجزاء إلا أنه لم يذكر صراحة طبيعة الجزاء وكيفيته ولم يورد أي نص على ذلك.

ثانياً : حقيقة الجزاء عند الفارابي.

أ : التعريف بالفارابي

ب: حقيقة البعث والجزاء عند الفارابي .

أ : التعريف بالفارابي :

هو أبو نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ التركي الفارابي المنطقي، أحد الأذكياء.له تصانيف مشهورة، من ابتغى الهدى منها، ضل وحار، منها تخرج ابن سينا.

وقد أحكم أبو نصر العربية بالعراق، ولقي متى بن يونس صاحب المنطق، فأخذ عنه، وسار إلى حران، فلزم بها يوحنا بن جيلان النصراني. وسار إلى مصر، وسكن دمشق. فقيل:إنه دخل على الملك سيف الدولة بن حمدان وهو بزي الترك.

وكان فيما يقال:يعرف سبعين لساناً، وكان والده من أمراء الأتراك ، فجلس في صدر المجلس ، وأخذ يناظر العلماء في فنون. فعلا كلامه، وبان فضله، وأنصتوا له.ثم إذا هو أبرع من يضرب بالعود، فأخرج عوداً من خريطة، وشده، ولعب به، ففرح كل أهل المجلس ، وضحكوا من الطرب.ثم غير الضرب، فنام كل من هناك حتى البواب فيما قيل فقام وذهب.

ويقال:إنه هو أول من اخترع القانون.وكان يحب الوحدة، ويصنف في المواضع النزهة، وقل ما يبيض منها. وكان يتزهد زهد الفلاسفة، ولا يحتفل بملبس ولا منزل.

أجرى عليه ابن حمدان في كل يوم أربعة دراهم.

ويقال:إنهم سألوه:أأنت أعلم أو أرسطو؟

فقال:لو أدركته لكنت أكبر تلامذته.ولأبي نصر نظم جيد، وأدعية مليحة على اصطلاح الحكماء.

ذكره أبو العباس بن أبي أصيبعة، وسرد أسامي مصنفاته وهي كثيرة. منها مقالة في إثبات الكيمياء.

وسائر تواليفه في الرياضي والإلهي.وبدمشق كان موته في رجب سنة تسع وثلاثين وثلاث مائة عن نحو من ثمانين سنة.وصلى عليه الملك سيف الدولة بن حمدان.وقبره بباب الصغير .

وحيث إنه ولد في مدينة فاراب سنة ٢٩٥ هجرية الموافق ٨٧٠ ميلادية ، وفاراب هي مدينة من أعمال فارس فتعلم فيها الفارسية والتركية والعربية ، لقب بالمعلم الثاني أي أرسطو العرب والمسلمين ، سافر إلى بغداد ودرس فيها ثم انتقل إلى دمشق عام ٣٣٠هـ /٩٤١ م ، بقي في بلاط سيف الدولة الحمداني حتى اصطحبه في حملته على دمشق. ويقول ابن خلكان ، الفارابي أكبر فلاسفة المسلمين على الإطلاق وصاحب التصانيف في المنطق والموسيقى وغيرهما من العلوم " . [١]

هذا ولقب الفارابي بالمعلم الثاني لأن أرسطو هو المعلم الأول وذلك لإنه" قام بجمع وتهذيب وإعادة تصحيح ما كتبه أرسطو وسمي ذلك الكتاب الثاني و لقب بالمعلم الثاني ثم لخص منه ابن سينا كتاب الشفا."[٢]

ب: حقيقة البعث والجزاء عند الفارابي .

يتضح اعتقادالفارابي في البعث من حديثه عن أهل المدينة الفاضلة مبيناً حال النفس بعد الموت "ثم المدينة وأهلها والسعادة التي تصير إليها أنفسهم والمدن المضادة لها وما تؤول إليه أنفسهم بعد الموت : أما بعضهم إلى الشقاء وأما بعضهم فإلى العدم ،ثم الأمم الفاضلة والأمم المضادة لها ".[١]

---

[١] – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء ،تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط،ج١٥، ص٤١٨-٤١٩ . وأنظرللمزيدكتاب أراء أهل المدينة الفاضلة ،الفارابي، تقديم إبراهيم جزيني ص٧-٨ ،دار القاموس الحديث .

[٢] – د. عبد الدايم أبو العطا البقرى الأنصاري ،أهداف الفلسفة الإسلامية نشأتها وتطورها ، ص٤٩ ،١٩٤٨م

حيث يقرر أن النفوس جميعاً خالدة فالفاضلة منها إذا فارقت أجسادها حصلت لها السعادة الدائمة وأما الشريرة صاحبة الشقاء فهي إلى العذاب الدائم وقد عبر عنه بالعدم ،ويؤكد ذلك ابن تيمية في معرض حديثه عن آراء الفلاسفة في المعاد فيقول: "ولهم في معاد النفوس ثلاثة أقوال والثلاثة تذكر عن الفارابي نفسه إنه كان يقول تارةً هذا و تارةً هذا وتارةً هذا ، منهم من يقر بمعاد الأنفس مطلقاً ومنهم من يقول : إنما تعاد النفوس العالمة دون الجاهلة فإن العالمة تبقى بالعلم وأن النفس تبقى ببقاء معلومها والجاهلة التي ليس لها معلوم باق تفسد ،وهذا قول طائفة من أعيانهم ولهم فيه مصنفات ومنهم من ينكر معاد الأنفس كما ينكر معاد الأبدان وهو قول طائفة منهم "

فابن تيمية ينسب إنكار معاد الأنفس والأبدان إلى الفارابي كما اتضح لنا من النص السابق ويحصر الدكتور عبد الفتاح فؤاد الأقوال الثلاثة التي أشار إليها ابن تيمية فيما يلي :

١–القول الأول : قرر فيه الفارابي أن النفوس جميعاً خالدة ثم يقول المصنف : وهو المذهب السائد لدى معظم فلاسفة الإسلام بعد الفارابي.

٢–القول الثاني : فذهب من خلاله الفارابي إلى أن النفوس الشريرة الجاهلة مستكملة استكملاً تفارق به المادة حتى إذا بطلت هذه المادة بطأت النفوس و انعدمت إذ لا بقاء إلا للنفوس الكاملة.

٣ –القول الثالث:وفيه إنكار من قبل الفارابي لمعاد الأنفس والأبدان معاً .

وهنا يقول المؤلف وليس تحت أيدينا من مصنفات الفارابي ما يثبت أنه ذهب هذا المذهب ".[٢]

فيتضح لنا من خلال هذه الأقوال الثلاثة المنسوبة إلى الفارابي أنه يؤمن أن هناك خلوداً للنفوس بعد الموت ويقسم هذه النفوس إلى فاضلة، خيرة، طيبةويقول إنها إذا فارقت أجسادها حصلت لها السعادة الدائمة ونفوس شريرةً خبيثةً جاهلةً فإنها تبقى بعد الموت خالدة في الآلام والعذاب بلا نهاية لذلك الخلود.

وهو الرأي الذي نستطيع أن نؤكده بأنه منسوب إلى الفارابي لإن القولين الثاني والثالث لا يستندان إلى مصادر ثابتة عنه فهو مؤمن بالبعث بعد الموت وكذلك بالسعادة للنفوس الفاضلة والشقاوة للنفوس الشريرة ويؤكد أنها في هذا النعيم والعذاب خالدة أما ما ورد في هذا فإنه فيه أضطراب غير مستند إلى مرجع .

---

[١] – أبو نصر الفارابي، كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة ، شرح وتقديم إبراهيم جزيني ، ص١١٧ دار القاموس الحديث بيروت

[٢] – عبد الفتاح أحمد فؤاد ،فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم، ص١٨٨–٨٩ بتصرف

ويؤكد على ذلك ابن طفيل كما نقله د. عبد الحليم محمود بقوله :" وأما ما وصل الينا من كتب أبي نصر فأكثرها في المنطق وما ورد منها في الفلسفة فهي كثيرة الشكوك فقد أثبت في كتاب الملة الفاصلة بقاء النفوس الشريرة بعد الموت في آلإلا نهاية لها بقاءً لا نهاية له.

ثم يقول وصرّح في السياسية المدنية بأنها منحلة وصائرة إلى العدم وأنه لا بقاء للنفوس الكاملة ثم وصف في كتاب الأخلاق شيئاً من أمر السعادة الإنسانية وأنها إنما تكون في هذه الحياة التي في هذه الدار ثم قال عقب ذلك كلاماً هذا معناوكلُ ما يذكر غير هذا فهو هذيان وخرافات عجائز فهذا قد أيأس الخلق جميعاً من رحمة الله تعالى وصيرّ الفاضل والشرير في رتبة واحدة إذ جعل مصير الكل إلى العدم – ثم قال– وهذه زلة لا تقال ، وعثرة ليس بعدها جبر".[1]

ولا بد من الإشارة إلى أن الفارابي كان له الباع الطويل والمحاولات العديدة للتوفيق بين الفلسفة والدين وقد يكون هو صاحب هذه الفكرة كما يؤكد ذلك د. عبد الفتاح بقوله : لقد كان الفارابي من أبرز من دعا إلى التوفيق بين الدين والفلسفة حتى إن بعض الباحثين يرى أن كل ما جاء بعد الفارابي مدين له في ما كان من توفيق .أي سبقهم إليها وحيث إن ما كان من خلاف بين المذاهب الفلسفية ونظرياتها كان عائقاً عن توحيدها والتوفيق بينها لذا فينبغي على من أتى لذلك التوفيق أن يزيل الاختلاف فكان الفارابي أول فيلسوف في العالم الإسلامي يفتح آراء ونظريات فلسفية للبحث والجمع حتى قالوا إن ابن سينا لم يعالج أي قضية فلسفية إلا وكان الفارابي قد سبقه إليها".[2]

هذا ويتبين لنا أن الفارابي بحق فيلسوف المسلمين بل هو مؤسس الفلسفة العربية لما في تفكيره من عمق وفي آرائه من نضج وفي فلسفته من جهد .

لذا فإنه أسس فلسفته على المنطق وآراءه على البرهان الدقيق مقتفياً مناهج أرسطو وبحوثه في ثوب الأفلاطونية الجديدة وهو كما تقدم يعتبر أستاذ فلاسفة المنطق والبرهان وبناء على ما قدمه أيضاً من آراء منطقية جادة للتوفيق بين الدين والفلسفة.

أما حديثه عن السعادة وبحثه عنها فإن الأستاذ عبده فراج يشير إلى ذلك بقوله :" وآراء الفارابي الأخلاقية متأثرة بمذهب أرسطو في الفضيلة كوسيلة لتحقيق طريق السعاده التي اعتبرها الخير المطلوب لذاته وجعل طريق الوصول اليها هو التأمل العقلي الذي يهدي إلى معرفة الحقيقة وقد صبغ الفارابي هذا المذهب صبغة صوفية مستمدة من كتاب الربوبية إذ جعل

---

[1] – عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الإسلام ،ص٣٣٩–٣٤٠ ، ج١ ، مكتبة الأنجلو المصرية .

[2] – د. عبد الفتاح أحمد فؤاد ، فلاسفة الإسلام والصوفية ، وموقف أهل السنة منهم ،ص٣٧ .

السعادة في الاتصال بالله عن طريق التجرد من المطالب المادية الدنيوية والتامل العميق الموصل إلى إدراك الملكوت الأعلى ويكون الاتصال بالله عن طريق التامل العقلي".[1]

فمن خلال ذلك يتبين طريق الفارابي للسعادة، والسعادة هي النعيم ،فهي الخير المطلوب والمرجو من هذه الحياة عن طريق البعد عن كل الماديات الدنيوية ، ويؤكد ذلك أن الجزاء بالثواب يكون بفعل كل ما هو محمود وأن الجزاء بالعقاب يكون على فعل المذموم والقبيح .

كما ذكره في السياسة المدنية بقوله : وبهذا يقدر الإنسان أن يفعل المحمود والمذموم والجميل والقبيح ولأجل هذا يكون الثواب والعقاب".[2]

إذن فإن الفارابي يؤمن بالبعث للأرواح التي عبر عنها بالأنفس وتنال الجزاء في الآخرة بحسب عملها في الدنيا وتعلقها بالله تعالى وهي خالدة في ذلك الجزاء.

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن سينا :

أ: تعريف موجز بابن سينا.

ب: مفهوم النفس وحقيقتها عند ابن سينا .

ج:حقيقة البعث والجزاء عند ابن سينا .

أ: التعريف بابن سينا:

هو " العلامة الشهير، الفيلسوف، أبو علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي بن سينا البلخي، ثم البخاري، صاحب التصانيف في الطب والفلسفة والمنطق كان أبوه كاتباً من دُعَاة الإِسماعِيلية ، فقال :كان أبي تولىَ التصرف بقرية كبيرة ، ثمَّ نزل بخارى، فقرأت القُرآن وكثيراً من الأَدب ولي عشرٌ ، وكان أبي ممَن آخى دَاعِي المصريين، ويعد من الإسماعيلية ثمَّ ذكرَ

[1] – عبده فراج، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، فلسفة إسلامية ومسيحية ،ص،٩٩، ط١ ،(١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) مكتبة الانجلو المصرية

[2] – أبو نصر الفارابي ، كتاب السياسية الملقب بمبادئ الموجودات ، ص٧٢ ، دار النشر بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ م

مبادئ اشتغاله، وأنه قرأ المنطق وكتاب إقليدس إلى أن رغبت في الطب، وبرزت فيه، وقرؤوا علي، وأنا مع ذلك أختلف إلى الفقه ولي ست عشرة سنة ثم قرأت جميع أجزاء الفلسفة، وكنت كلما أتحير في مسألة، أو لم أظفر بالحد الأوسط في قياس، ترددت إلى الجامع، وصليت وابتهلت إلى مبدع الكل حتى فتح لي المنغلق منه، وكنت أسهر، فمهما غلبني النوم، شربت قدحا إلى أن استحكم معي جميع العلوم.وهو فارسي الأصل،أحاط علماً بالفقه والنحو وجزء من العلوم الدينية والرياضيات والطبيعيات والمنطق وعلوم مابعد الطبيعة ."[1]

ب: مفهوم النفس وحقيقتها عند ابن سينا .

لقد اهتم ابن سينا بالنفس اهتماماً بالغاً من حيث الماهية والكينونة والطبيعة ومن ثم مصيرها بعد أن تفارق البدن وسبيل سعادتها والغاية من وجودها وخلودها ، حيث إنه ظهر لنا ذلك من خلال ماخلفه لنا تراث ابن سينا من مؤلفات تدل على هذا الا هتمام منه ، ومن هذه المؤلفات :" رسالة في المعاد و الاشارات والتنبيهات و كتاب الشفاء وكتاب النجاة وقصة حي بن يقظان (قصة فلسفية)و قصة سلامان وأبسال (قصة فلسفية)" ([2]) وكتب كثيرة في الطب ،فهو طبيب مشهور وقد اعتنى بالنفس عناية فائقة حيث انه خصص لذلك قصصاً رمزية مثل سلامان وأبسال وحي بن يقظان ورسالة الطير وغير رمزية مثل ماذكره عن النفس في كتاب النجاة والشفاء والاشارات والتنبيهات ورسالة النفس" ([3])

وقد بين أستاذنا الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود العوامل التي جعلت ابن سينا يبحث في النفس على أنها محل للجزاء الأخروي (الثواب والعقاب) ، 'لاشك أن البحث في النفس مطلقاً قد لاقى مجالاً واسعاً في فكر ابن سينا ومرد هذا فيما ارى إلى عاملين .

الأول : أن ابن سينا فيلسوف ،وطبيعة الفكر الفلسفي هي الجري وراء كل بعيد لمحاولة ادراكه والسير تجاه كل غامض بقصد إيضاحه وفي هذا يجد التفكير الفلسفي متعته وطرافته .

---

[1] – شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي،سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الأرنؤوط،ج١٧،ص٥٣٢ . وكذلك وفيات الأعيان ابن خلكان ،ج٢ ص١٥٧-١٦٠ ،باختصار ، تحقيق د. إحسان عباس ،دار صادر بيروت .

[2] –انظر:ابن أبي اصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الأطباء ،ص٥،ج٢،وانظر:ابن خلكان ،وفيات الاعيان وانباء الزمان،ص٢٦٨-٢٧٤ ج٦.

[3] – انظرالليث صالح عتوم ،حي بن يقظان ،في الفكر الفلسفي الإسلامي .ص٧٥ ،رسالة دكتوراة إشراف أ.د محمد صلاح عبده جامعة العلوم الإسلامية العالمية ،عمان الاردن ٢٠١٠م .

الثاني : أنه رجل مسلم يدرك من خلال عقيدته ماللنفس من دور هام في العقيدة حيث إنها هي المعوّل عليها في التكاليف الشرعية والمسؤليات الدينية فهي مواطن الإيمان والعقيدة من ناحية ومن ناحية أخرى هي مناط الجزاء الأخروي بنوعيه من ثواب وعقاب " ([1])

كما يذكر استاذنا عاملاً ثالثاً من العوامل التي جعلت ابن سينا يبحث في النفس وهو تأثره بالفلاسفة السابقين له من فلاسفة اليونان فيقول :" الثالث أن ابن سينا تأثر بالفلاسفة السابقين له كأرسطو وأفلوطوين " ([2])

كما يرفض ابن سينا ان تكون النفس سابقة في وجودها للبدن (الجسد) وأنها في طبيعتها حادثة وأنها مفارقة للبدن بالموت ، وعند ذلك يتساءل هل النفس سابقة للجسد أم الجسد سابق وهي القبلية والبعدية هل وجدت النفس قبل البدن ثم حلت فيه كما ادعى أفلاطون قديماً – فنجد الإجابة – أن المعبر الذي تأتي منه النفس من العالم العلوي إلى العالم السفلي هو العقل الفعال " ([3])

حيث إنه يعرّف النفس بأنها : اسم مشترك يدل على معنى مشترك يقع في الإنسان والحيوان والنبات ، وعلى معنى مشترك في الإنسان والملائكة السماوية ، في كمال لجسم طبيعي ذي حياة بالقوة (النفس الحيوانية والنفس النباتية) وهي جوهر غير جسم تحرك الجسم بالاختيار عن مبدأ نطقي (النفس الناطقة) ([4])

كما يلخص لنا أستاذنا مفهوم النفس عند ابن سينا في نهاية حديثه عنها قائلاً :" ويمكن اعتبار النفس قوة وصورة كمال ، قوة باعتبار ما يصدر عنها من أفعال وما تقبله من صور المحسوسات والمعقولات ، وصورة بالنظر إلى اتصالها بالمادة ، وكمال ساعة أن يراعي استكمال الجنس بها ." ويبين أن "كل صورة كمال وليس كمال صورة فقط وإنما هي صورة كمالية ."([5])

---

[1] – الأستاذ الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود ،أثر كتاب أثولوجيا على ابن سينا في الإلهيات ،ص٢٢٧،رسالة دكتوراة جامعة الازهر القاهرة .

[2] – المرجع السابق ص٢٥٤ .

[3] – المرجع السابق ،ص٢٤٨

[4] – أنظر: ابن سينا ، رسالة في الحدود ضمن : تسع رسائل في الحكمة والطبيعيات،ص٨١ ،مطبعة هندية بالموسكي ط١ ،١٩٠٨م

[5] – الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود ،أثر كتاب اثولوجيا على ابن سينا في الالهيات ،ص٢٣٠ –٢٣١،رسالة دكتوراة جامعة الازهر القاهرة .

فالعقل الفعّال عند ابن سينا هي النفس التي لها الخلود والتي ظهرت جليا في قصة حي بن يقظان ويعتمد على الروح (العقل الفعّال) في دراسته أن قصة حي بن يقظان ترمز إلى العقل الفعّال " ([1])

وهذا يقودنا إلى انه يعتمد على العقل الفعّال في التصور (الروح)

والعقل الفعّال هو مستعد ليتلقى منه الانسان " امكانية استعداد العقل الانساني للتلقي من العقل الفعال " ([2]) . وهي الروحانيات والعقل الفعّال كما يعرفه التهانوي هو :"الجوهر المجرد في ذاته وفعله اي لا يكون جسماً ولاجسمانياً ، ولايتوقف أفعاله على تعلقه بالجسم والعقل الكل :هو الصادر الأول من الباري تعالى ، وله ثلاث اعتبارات :وجوده في نفسه ،ووجوده بالغير ، وإمكانه لذاته ، فباعتباره وجوده بالنفس يصدر عنه عقل ثان وباعتبار وجوبه بالغير يصدر عنه نفس وباعتبار امكانه لذاته يصدر عنه جسم ، وهو فلك الافلاك وكذا يصدر من العقل الثاني عقل ثالث ونفس ثانية وفلك ثان ، هكذا إلى العقل العاشر الذي هو في مرتبة التاسع من الافلاك أعني فلك القمر ويسمى هذا العقل بالعقل الفعّال ، ويمكن ان يعرف العقل بالنفس الناطقة "([3])

ويميز ابسينا بين العقل الفعّال والعقل المفارق حيث ان العقل الفعّال له الخلود وأما غيره فله الفناء ويشير إلى ذلك أستاذنا بقوله: " العقول القدسية المفارقة " ([4])

ويبينه ابن سينا على الروحانيات غير الحسيات المادية فيجب على المرء ان يتحرر منها إلى كل ماهو روحاني كما يشير إلى ذلك استاذنا بـ" التحرر من عالم المادة إلى عالم المعقولات " ثم يبين ان الملائكة هم الذين يتمتعون بالعقل الفعال " فالعقول المجردة من العقل الأول العقل الفعال وهم الملائكة في حد اعتقاده " ([5])

ثم يبين ابن سينا ان النفس لابد لها أن تنفصل عن الجسد كما تقدم اذ ان الجسد ينتهي بالموت فتنفصل الروح (النفس) عنه حيث يقول :" والنفس منفصلة في وجودها عن البدن تمام الانفصال لأنها جوهر قائم بذاته ، فليس تعلق النفس بالبدن تعلق معلول بعلة ذاتية " ([6])

ويقول ابن سينا :" ان النفس جوهر منفصل عن الجسم وجوهر بسيط يشابه ويحاكي العقول المفارقة " ([1])

---

[1] – المرجع السابق ،ص٣١٧.

[2] – المرجع السابق ، نفس الصفحة .

[3] – انظر: التهانوي ، كشاف اصطلاحات الفنون ،ص٣٠٤-٣١١ ،ج٣ .

[4] – الدكتور عبد المقصود حامد عبد المقصود ،أثركتاب اثولوجيا على ابن سينا في الالهيات ،ص٣١٧ رسالة دكتوراة جامعة الازهر القاهرة.

[5] – أ.د.عبد المقصود حامد عبد المقصود ، المرجع السابق،ص٣١٨ ،

[6] – ابن سينا ، النجاة ، ص١٨٥ ، ط٢ ،١٩٣٨ م مرجع سابق .

فمن خلال ماسبق يتبين أن ابن سينا يميز بين النفس (العقل الفعال) وبين الجسد (الجسم) والجسم يفارق النفس بالموت إلى الأبد والنفس تفارقه إلى خلود .العقل الفعال يختص بالملائكة على وجه مخصوص اما البشر فهم يتكونون من نفس وجسد ويشترك في ذلك النبات والحيوان .

ج:حقيقة البعث والجزاء عند ابن سينا .

عند مطالعة التراث الفلسفي لابن سينا نجد أن له آراء متضاربة في مسألتي البعث والجزاء ،حيث إنه يصرّح أحيانا بالبعث الجسماني وأحيانا أخرى يصرح بالبعث الروحاني ويدلل على هذه الآراء .

ولكن عند التدقيق في مطالعة آراء ابن سينا نجده يقول بأن البعث والجزاء روحاني فقط ويدافع عن هذا الرأي في كثير من النصوص محاولةً منه لإثبات وجهة نظره ومن ذلك قوله :يجب أن تعلم أن المعاد منه مقبول من الشرع ولا سبيل إلى إثباته إلا من طريق الشريعة وتصديق خبر النبوة ، وهو الذي للبدن عند البعث ، وخيرات البدن وشروره معلومة لا تحتاج إلى أن تعلم وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبيّنا المصطفى– صلى الله عليه وسلم– حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن". [٢]

و بتحليل النصوص الواردة في ذلك نجد أن مذهبه ينقسم إلى قسمين :

الأول : رجع فيه إلى الإسلام وماجاء فيه من بعث البدن وعذابه وقد آمن بكل ذلك وأذعن له .

الثاني : رجع فيه إلى العقل وما تأدى إليه من بعث الروح ونعيمها وعذابها". [٣]

ثم يقول: "والذي لا يستطيع المنصف أن يماري فيه أن ما جاء في الشطر الثاني يكاد يؤدي بما جاء في الشطر الأول إذ جعل مناط السعادة والشقاوة في الخلاص من البدن فالنفوس التي توفرت لديها أسباب السعادة إنما كان يمنعها من الشعور بها البدن فإذا خلعته وتخلصت منه لستذوقت سعادتها و استكملتها، والنفوس التي توافرت لديها أسباب الشقاوة إنما كان يحول بينها وبين الشعور بها البدن وشواغلها فإذا لَقته جانباً تأذت وتألمت". [٤]

---

[١] – ابن سينا ، رسالة في معرفة النفس الناطقة ، ص١٤.

[٢] – ابن سينا ، النجاة، ص٢٩١ .مرجع سابق .

[٣] – أنظر: الغزالي ، هامش كتاب تهافت الفلاسفة ، ص٢٤٩،ط٤،دار المعارف مصر ١٩٦٦م،.

[٤] – ابن سينا ، النجاة ، ص٢٩٦–٢٩٧،ط٢، ١٩٣٨م مرجع سابق .

إذن فالنص واضح في أن السعادة والشقاوة متحصلة للنفس والروح دون الجسد فإذا أجتمعاً لا تكون هناك شقاوة أو سعادة وإذا ألقت النفس الجسد أصبح هناك ألم وأذى، بحسب رأيه.

وهذا ما أشار إليه سليمان دنيا بقوله :

"و لقد ورد في عبارات ابن سينا ما يفيد أن كلا الصنفين من النفوس سيفارق بدنه إلى غير رجعة ومعنى هذا إنكار ابن سينا للبعث الجسماني والجزاء الجسماني أيضاً .

وما يترتب عليه من نعيم البدن وعذابه أيضاً وخصوصاً وقد جاء في الرسالة التصريح بنفي البعث الجسماني كقوله "...فإذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ ، فالمعاد إذن للنفس وحدها ". [1]

ويقول الدكتور حمودة غرابة أيضاً في كتابه ابن سينا بين الدين والفلسفة تأكيداً على أن ابن سينا لا يؤمن بالبعث الجسماني.

"هذا هو ابن سينا على حقيقته في مسألة البعث فهو يقول بالمعاد الروحاني ولا يقول بالمعاد الجسماني فإن أحاله إلى الشرع كما فعل في كتابه النجاة فهو مضلل وإن سكت عنه كما فعل في كتابه الإشارات فهو متهرب".([2])

أما في شأن اعتقاده بالجزاء فيقول الغزالي موضحا ذلك الاعتقاد: "يذهب ابن سينا إلى أن ما جاء بالشرع من لذات حسية أو آلام حسية في الجنة أو النار إنما هو على سبيل التذكرة والتقريب لأذهان العامة لذلك النعيم الروحاني أو العذاب الروحاني بأمثلة محسوسة يفهمونها ويدركونها وما ذلك إلا لقصور الأفهام عن درك هذه اللذات العقلية ومن ثم فقد مّثل الشرع للبشر مايفهمونه فلا يعدو الأمر من أن يكون محاولةً من الأنبياء لخطاب الجمهور بما يفهمونه مقرباً بما لايفهمونه إلى أفهامهم بالتشبيه والتمثيل " ([3])

ويبين ابن سينا كذلك أن السعادة النفسانية أي اللذات الروحية والمعنوية عامة أقوى وأفضل من اللذات الحسية حيث يقول في الإشارات: "قد يسبق إلى أوهام العامة أن اللذات القوية المستعليه هي اللذات الحسية وأن ما عداها ضعيفة وهذا ظن خاطئ ووهمٌ وخيال لا حقيقة، ذلك أن ألذ ما تواضع عليه الناس من اللذات الحسية هي تلك اللذات المتصلة

---

[1] – ابن سينا ، رسالة أضحوية في أمر المعاد ، تحقيق سليمان دنيا، ص ٣٠ ، ط١ ،١٩٤٩ م

[2] – د.حمودة غرابة ، ابن سينا بين الدين والفلسفة ، ص١٦٦

[3] – الغزالي ، تهافت الفلاسفة، ص٢٧٣ ،تحقيق سليمان دنيا ،دار المعارف ،مصر ١٩٥٥ م

بالنكاح والطعوم والمشارب واللباس وما إليها ولكن واقع الحال يثبت عكس ذلك لأننا نعلم أن المتمكن من غلبة ما ولو في أمر خسيس، كالشطرنج والنرد قد يعرض له مطعوم ومنكوح فيرفضه مستعيناً عنه بلذة الغلبة الوهمية ... فقد بان أن اللذات الباطنة النفسية أعظم وأعلى درجةً من اللذات الحسية وليس ذلك في العاقل فقط ، بل وفي الحيوانات العجماء، فإذا كانت هذه اللذات الباطنة النفسية أعظم من الظاهرة الحسية فما بالك باللذات العقلية التي تنالها النفوس التقية في الآخرة " [1]

وكذلك يشير في موضع آخر إلى أن الذي يمنع الجزاء الكامل من لذة وعذاب في الحياة الدنيا إنما هو الجسد فقال:"إن النفس لا تنال السعادة واللذات النفسية والعقلية بتمامها في الدنيا وذلك لانشغالها بالبدن وتدبير شؤونه وأن البدن يصرفها ويمنعها من إدراك مثل تلك السعادة العقلية في الدنيا" [2].

ويقول ابن سينا في بيان موقفه من الجزاء (السعادة والشقاوة) :" وقد بسطت الشريعة الحقة التي أتانا بها نبينا المصطفى – صلى الله عليه وسلم– حال السعادة والشقاوة التي بحسب البدن ومنه ما هو مدرك بالعقل والقياس البرهاني وقد صدقته النبوة وهو السعادة والشقاوة والثابتان بالمقاييس اللتان للأنفس وإن كانت الأوهام هنا تقصر عن تصورها الآن لما توضح من العلل ، والحكماء الإلهيون رغبتهم في إصابة هذه السعادة أعظم من رغبتهم في إصابة السعادة البدنية بل كأنهم لا يلتفتون إلى تلك وإن أعطوها فلا يستعظمونها في جنب هذه السعادة التي هي مقاربة الحق الأول على ما نصفه عن قريب فلنعرف حال هذه السعادة و الشقاوة فإن البدنية مفروغ عنها في الشرع . فنقول: "يجب أن تعلم أن لكل قوة إنسانية لذة وخيراً يخصها وأذى ً وشراً يخصهامثاله أن لذة الشهوة وخيرها أن يتأدى إليها كيفيةً محسوسةً ملائمةً من الخسة ولذة الغضب الظفر ولذة الوهم الرجاء، ولذة الحفظ تذكر الأمور والموافقة الماضية وأذى كل واحدا منها ما يضاده وتشترك كلها نوعاً من الشركة في أن الشعور بموافقها وملائمها هو الخير واللذة الخاصة."[3].

فالواضح من كلامه أن الفلاسفة الإلهيين لا يؤمنون إلا بالسعادة والشقاوة وهو مانفهم منه اعتقاده بالجزاء الروحاني دون الجسماني ويستدل على ذلك بأن الشريعة الحقة قد أتت بذلك ، لذا نخلص بالقول إلى أن ما ذهب إليه ابن سينا في أن

[1] – ابن سينا ،الإشارات والتنبيهات ، ص٢١٣-٢١٤.

[2] – المرجع السابق ،ص٢١٨

[3] – ابن سينا ،النجاة ، ص٢٩١-٢٩٢ ،ط٢ ،١٩٣٨م ،مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر .

البعث والجزاء الروحاني هو أمر يتعارض مع الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة التي لا تدع مجالاً للشك بأن المعاد للنفس والجسد معاً مما تنعكس آثاره على الفرد والمجتمع في السلوكيات.

وأن ابن سينا في رسالته (الأضحوية) يبين الرأي الصائب من وجهة نظره والقول بأن البعث الروحاني وما يترتب عليه هو المذهب الحق ويرى أن النصوص الدينية التي تصرّح بالبعث الجسماني يراد بها خطاب الجمهور كافة وعلى هذا فالشرع قد قرّب إلى أفهام العوام صورة البعث على وجه يمكن استيعابه بالنسبة لهم – وأن هذه النصوص واردة مورد التمثيل والتخييل فهي ليست نصوصاً على حقيقتها، بل مرادةٌ لغيرها.

وقد أشار إلى الجزاء الاخروي في أكثر من موضع في كتابه الاشارات والتنبيهات حيث شبه الزاهد في الحياة الدنيا على انه يقايض ويبيع ما في الدنيا من متاع بما في الآخرة من لذة ومتاع حيث يقول :" كأنه يشتري بمتاع الدنيا متاع الاخرة " ([1])

فالزهد عنده كما يبين ذلك الشارح هو العبادة .

ويشير إلى الجزاء والاجر والثواب في الآخرة على العمل في الدنيا بقوله: " وأنه يعمل في الدنيا لأجرة يأخذها في الآخرة هي الأجر والثواب " ([2])

فهو ينفي ثبوت البعث والاستدلال عليه عن طريق العقل بل يجعل ذلك مستحيلاً فيقول:" انه يستحيل على العقل اثبات هذا البعث ، ولا نجد حاجة اليه إذ أن النفس يمكن لها ان تنعم بدون الجسم بنعيم روحاني لأن جوهرها روحاني " ([3])

ومن هنا نستطيع القول إن هذا الفيلسوف يعتبر أكبر ممثل للمذهب المنادي بالبعث والجزاء الروحاني دون الجسماني وهو بهذا الرأي قد اصطدم مع الآيات القرآنية الكريمة التي نصت على أن هناك أنهاراً من خمراً وأنهاراً من عسل وما إلى ذلك من جزاء حسي يثبت أن ما قاله ابن سينا وغيره كان مخالفاً لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، وهذا ما سوف نتناوله بالتفصيل في مبحث الرد على الفلاسفة المنكرين للجزائين الحسي والمعنوي معاً .

وبناء على ما تقدم نستطيع القول إن ابن سينا يؤمن بالمعاد والبعث ولكنه يذهب إلى القول ببعث النفس دون الجسد.

---

[1] – ابن سينا ، الاشارات والتنبيهات ، شرح نصير الدين الطوسي ،تحقيق سليمان دنيا ، ص٥٩ ،القسم الرابع ، دار المعارف بيروت .

[2] – المرجع السابق نفسه .

[3] – انظر:ابن سينا ، رسالة في دفع الغم من الموت ،ص٥٠ نقلاً عن حي بن يقظان في الفكر الفلسفي الإسلامي ،الليث عتوم ،ص٩٨

كما يرتكز مبدأ الثواب والعقاب عنده على أصول فلسفية تختلف غاية الاختلاف مع المفاهيم والحقائق القرآنية كما يرتبط بمبدأ الثواب والعقاب (الجزاء) بعلاقة النفس الناطقة بالعالم الطبيعي وما بالبدن من غرائز حيوانية وميول شهوانية ومدى التعلق بها أو التعالي عليها.

وأن مبدأ الثواب والعقاب عنده يدفع الفرد إلى عدم الالتزام بشريعة الإسلام وأحكامها ومنظومتها الأخلاقية.

لذا فإن لابن سينا أراء في النفس والمعاد والجزاء مخالفة لماهو مستقر في الأذهان وما جاء به القرآن الكريم و جاءت به أيضاً الشرائع السابقة وخاتم الأنبياء وسائر الأنبياء من قبله .

المطلب الثاني : الجزاء عند فلاسفة المسلمين في المغرب .

تمهيد:

أولاً :حقيقة الجزاء عند ابن رشد .

ثانياً : حقيقة الجزاء عند ابن طفيل .

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن باجة.

تمهيد:

الحياة الفكرية في المغرب العربي والأندلس كانت مزدهرة ولا يستطيع أحد ان ينكر ذلك مؤرخ أو باحث ، حيث اشتغل بعض الأندلسيين بعلم الكلام ومال بعضهم إلى الاعتزال واعتنق بعضهم مذهب الأشاعرة ، كما انتقلت أيضا بعض المذاهب الفلسفية والصوفية فعرف الأندلسيون رسائل اخوان الصفا واشتغلوا بها كما عرفوا الكثير من مؤلفات الفارابي وابن سينا ، وقد كان المثقفون في المغرب الإسلامي كنظرائهم في المشرق الإسلامي ينقسمون إلى فريقين : فريق يقبل علوم الاوائل (الاغريقية التي كان يمثلها افلاطون وتلميذه ارسطاطاليس وغيرهم وقد تقدم الحديث عن ذلك) وفريق يعادي هذه العلوم ولكنه يقبل على علوم الشريعة والنبوة ، وسنقوم إن شاء الله تعالى بالبحث في اعتقادثلاثة من أهم فلاسفة المغرب كان لهم الاثر الكبير في نشأة الفكر الفلسفي هناك وهم ابن رشد وابن طفيل و ابن باجة حيث نستطيع أن نقول إنهم الممثلون للمدرسة الفلسفية في بلاد (المغرب العربي) وهناك تلاق كبير بين هؤلاء الفلاسفة والجدير بالذكر ان الفيلسوف ابن طفيل تلميذ للفيلسوف ابن باجة وان الفيلسوف ابن رشد تلميذ للفيلسوف ابن طفيل ، وقد نقل انه كان بين فلسفة ابن باجة وفلسفة ابن طفيل اختلاف ، وقد برهن المؤرخون ان السبب في هذا الاختلاف هو ان ابن طفيل

حاول أن يعرف كل شيء عن العالم المادي عن طريق العقل ولكنه عجز لما أراد البرهان على وجود الله فانقلب صوفياً وعرف الله تعالى عن طريق القلب أما ابن باجة فقد كان فيلسوفاً عقلياً محضاً " ([1])

ونجدكذلك الفرق بين الفيلسوفين " بين نظرة ابن طفيل وابن باجة أن ابن باجة ليس في فلسفته حضور الهي بينما نجد ذلك أكثر عند ابن طفيل "([2])

أولاً :حقيقة الجزاء عند ابن رشد .

أ: التعريف بابن رشد:

ب: تعريف النفس عند ابن رشد .

ج: البعث والجزاء عند ابن رشد .

[1] – الفيومي، محمد إبراهيم الفيومي ، تاريخ الفلسفة الإسلامية في المغرب والاندلس ، ص٤٢٣، دار الجيل بيروت

[2] – العراقي ،د.عاطف العراقي ، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل رؤية عقلية نقدية ، دار الرشاد ، القاهرة ٢٠٠٢م

أ :التعريف بابن رُشد:

أبوهولو َ ليد محُ َمدُ بن أَحمد بن محمد ابن رشد المولود سنه{ ٥٩٥ هـ\ ١١٢٦م} تتلمذ على يد ابن باحة وابن طفيل قام بتأليف العدد الكبير من المؤلفات وأشتهر بشروحات كتب الأقدمين ولا سيما أرسطو وأفلاطون والفارابي وابن سينا" [١]

اما أهم مؤلفات ابن رشد فتقسم إلى أربعة :١-شروح ومؤلفات فلسفية ،وهذه المؤلفات تقع في سبع وأربعين رسالة وكتاب طبع منها الكثير ومن بين هذه المؤلفات كتاب تهافت التهافت في الرد على تهافت الفلاسفة للغزالي ، وكتاب فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من اتصال ،وكتاب منهاج الادلة في عقائد اهل الملة ،وله عدة شروح على كتب أرسطو ،ترجمت إلى اللاتينية وغيرها من اللغات الآوروبية وبسببها عرف ابن رشد في العالم الغربي باسم "الشارح" اي شارح فلسفة

---

١ – شمس الدين أبو عبد الله محمد ابن احمد الذهبي ،سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة بإشراف شعيب الارنؤوط، ج١٩ ص٥٠٢-٥٠٣ ، مؤسسة الرسالة. وللمزيد حول حياته انظر:وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،ابن خلكان، ص١٣٥ ،مرجع سابق .

ارسطو . ٢-مؤلفات فقهية ،تقع في سبع كتب ورسائل .٣- شروح ومصنفات طبية وتقع في خمسة عشرة رسالة . ٤- مؤلفات أدبية ولغوية ، وتقع في ثلاث مصنفات .([1])

فهو بحق فيلسوف فقيه عالم لغوي طبيباً شارحاً للفلسفة الاغريقية .

ب: تعريف النفس عند ابن رشد .

لا بد قبل الخوض في الحديث عن طبيعة البعث والجزاء عند ابن رشد من الاطلاع على مفهوم النفس عنده فهذا الفيلسوف يسير على غرار المعلم الأول أرسطو حيث انه يطرح مسألة النفس على النحو التالي :

هل هي مفارقه للجسد ؟ ثم يجيب عن هذا السؤال بقوله: إن المفارقة قد تتناسب إلى ما من شأنه أن يكون لصالاً بالهيولى لصالاً بالعرض ،كالعقل الفعّال ، أما الصور الهيولانية فيستحيل تصور المفارقة فيها، لأن اتصالها بالماده اتصال جوهري، لذا فقد عرف ابن رشد النفس بقوله: كمال أول لجسم طبيعي ولكن هذا الكمال أو الإستكمال يختلف بإختلاف أجزاء النفس وهي خمسة أجزاء:

القوة الغازية ، والحساسة ، والمتخيلة ،النزوعة ،والناطقة ، ولكل قوة من هذه القوى مادة وصورة.

فالدنيا فيها هيولى لما بعدها ، والعليا فيها صورة لما قبلها حتى تصل إلى القوة التي لا هيولى لها وهي الصورة المحضة أو العقل المفارق". ([2])

أما من ناحية خلود النفس فإنه يكاد يكون هناك تطابق فيما بين موقف ابن رشد وموقف ابن سينا في هذه المسأله وطبيعتها فابن رشد يعتبر مشكلة الخلود من أدق المشاكل في فلسفته وأعقدها لذلك لم يكن من المستغرب أن تختلف في تصوير مذهبه من هذه الناحية أراء الباحثين والمفكرين". ([3])

ج: البعث والجزاء عند ابن رشد .

يبين صاحب كتاب فلسفة ابن رشد رأي هذا الفيلسوف في الحياة الآخرة فيقول :

---

[1] – عبد الفتاح احمد فؤاد . فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم .ص٧٧ ،ط١ ،٢٠٠٦م دار الوفاء الاسكندرية .

[2] – محمد بن عبد العزيز المعايطة، الفلسفه الإسلامية، ص١١٧- ١١٩ ، بإ ختصار .

[3] – محمد بيصار الوجود والخلود ، فلسفة ابن رشد، ص١٥٨ ، بيروت١٩٧٣م

"وإذا كان يبدو من أقوال ابن رشد أن مسائل الوجود الأخروي فيها سائبة الجسمية فإنه لا يعدو أن يكون مجرد تصوير وتمثيل لهذا الوجود الروحاني بما يقربه للأذهان ويبسط إدراكه للناظرين أو المتأملين". [1]

ونجد من خلال حديث ابن رشد عن النفس ومصيرها أنه يصر على أن المعاد الوحيد الذي يمكن إقراره على أسس فلسفية هو المعاد الروحاني وهو خلود العقل الهيولاني (الممكن)لدى إتحاده بالعقل الفعّال ، وعلى هذا النحو يصبح مصير الإنسان هو أن يرمى تدريجياً إلى ذلك العقلي المفارق للمادة الخاص بالعقول المفارقة بصورةً عامةً و بالعقل الفعّال بصورةً خاصة."[2]

إذن فإن الرأي الفلسفي الذي إستقر عليه ابن رشد هو الاعتقاد ببعث النفس دون الجسد، ووحدتها عموماً في قوله بنظرية الإتصال ما هو إلا دليل على إعترافه بأنها جوهر مستقل عن البدن بل ودليل على معرفة النفس لذّاتها وليست هذه المعرفة ممكنةً إلا بشرط التسوية بين العقل والمعقول". [3]

فمن خلال ما سبق ، يتضح أن ابن رشد يتشابه مع ابن سينا في إصراره على أن ما ورد من نصوص في القرآن الكريم التي تدل على المعاد والجزاء ، إنما كانت على سبيل التمثيل والتقريب لا على سبيل الحقيقة .

فقال :"الشرائع كلها متفقةً على أن للنفوس بعد الموت أحوالاً من السعادة والشقاوة(الجزاء بنوعيه)الجنة والنار، ويختلفون في تمثيل هذه الأحوال وتفهيم وجودها للناس ويشبه أن يكون التمثيل الذي في شريعتنا هذه، أتم إفهاماً لأكثر الناس وأكثر تحريكاً للنفوس إلى ما هنالك ، والأكثر هم المقصود الأول بالشرائع ، وأما التمثيل الروحاني فيشبه أن يكون أقل تحريكاً لنفوس الجمهور إلى ما هنالك،والجمهور أقل رغبةً فيه وخوفاً له منهم في التمثيل الجسماني ولذلك يشبه أن يكون التمثيل الجسماني أشد تحريكاً إلى ما هنالك من الروحاني، والروحاني أشد قبولاً عند المتكلمين المجادلين من الناس ، هم الأقل" .[4]

فهذا إقرارٌ صريحٌ منه على أن السعادة والشقاء في الآخرة بعد الموت (الجزاء) إنما ورد على سبيل التمثيل والتشبيه أي سعادة روحانية وشقاء روحاني لا جسدي فهو إنكار للجزاء الجسماني الحسي كما كان للبعث الحسي الجسماني.

---

[1] – المصدر السابق، ص ١٧٦

[2] –كمال اليازجي، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ص٣٩٢،مرجع سابق

[3] – علي عبد الهادي عبد الله، النص الرشدي في القراءه الفلسفة العربية المعاصرة، ص١٨٢-١٨٣ ،ط١ ،بيروت دار الهادي/٢٠٠٥م

[4] – ابن رشد، الكشف عن مناهج الأدلة في عقائد الملة ، ص١٣٧ ط١ ، دار الآفاق الجديدة ،بيروت

وسوف نشير إلى أن ابن رشد قد دافع عن ابن سينا ورد على الغزالي في تكفيره للفلاسفة في كتابه تهافت التهافت رداً عنيفاً على الإمام الغزالي في كتابه تهافت الفلاسفة .إذن فميل ابن رشد كان أقرب في مسائل اعتقاده إلى المنطق الفلسفي أكثر من ميله إلى الدين ، لذا فإنه يترتب على اعتقادالفلاسفة بأن البعث والجزاء عقلي أو روحاني أمور ثلاثه:١. إنكار اللذات والآلام الجسمانية لِمصّرح بها في النصوص الشرعية.٢. إنكار النعيم والعقاب الروحي ، فاللذات الروحية ليست أكثر من التلذذ العقلي بالإدراكات والشعور بالكمالات، و العقوبات المعنوية ليست أكثر من التألم العقلي الدائم بفقد الكمال أو الاشتياق إلى مقتضيات البدن مع فقد الآلة المحققه لها.٣. إنكار بعث الأجساد ورد الأرواح إلى الأبدان التي كانت فيها وهو ما صرّح به ابن سينا في قوله لّكنا نبين بياناً برهانياً أنه لا يمكن أن تعود النفوس بعد الموت إلى البدن ألبتة"[1]

وكذلك يؤكد هذا في موضع آخر "إذا بطل أن يكون المعاد للبدن وحده وبطل أن يكون للبدن والنفس جميعاً وبطل أن يكون للنفس على سبيل التناسخ فالمعاد إذاً للنفس وحدها" [2]

وبذلك كان ابن رشد تابعاً لابن سينا فيما ادعاه من إنكار حشر الأجساد ،ومن ثم إنكار الجزاء .

ثانياً : حقيقة الجزاء عند ابن طفيل .

[1] – ابن سينا، الرسالة الاضحوية ، ص١٢٢ ،مرجع سابق .

[2] – المرجع السابق ، ص١٢٦ .

أ: التعريف بابن طفيل

ب: تعريف النفس عند ابن طفيل .

ج: البعث والجزاء عند ابن طفيل .

أ: التعريف بابن طفيل .

ابنُ طُفَيْل، أبو بكر (٥٠٠ – ٥٨١هـ ، ١١٠٦ – ١١٨٥م). أبوبكر محمد بن عبدالملك بن محمد بن محمد بن طفيل لقيلسي، ولد في وادي آش قرب غرناطة بالأندلس، وقضى أكثر أيام حياته الأولى يدرِّس ويطبِّب، ثم شغل منصب الوزارة في غرناطة.

حياته العلمية :

وهو من أشهر المفكرين العرب الذين خلَّفوا الآثار الخالدة في عدة ميادين منها: العلوم الرياضية والفلسفة والفلك، واختراع الآلات.نقد ابن طفيل نظريات بطليموس في الفلك، وتُنسب إليه بعض النظريات الخاصة بتركيب الأجرام السماوية، ويقال إنه وُفق إلى صياغة نظام فلكي جديد يخالف ما جاء به بطليموس.

في أوائل عام ٥٤٩هـ، ١١٥٤م اتصل ابن طفيل ببلاط الموحدين في إفريقيا، وأصبح كاتم أسرار أبي سعيد ابن عبدالمؤمن والي سبتة وطنجة. اعتزل ابن طفيل مناصبه في بلاط الموحدين عام ٥٧٨هـ، ١١٨٢م مخلّفاً مكانه لتلميذه ابن رشد،ومع أن مؤرخي الأدب والفلسفة قد ذكروا لابن طفيل عدداً من الكتب والرسائل، إلا أنه لم يصل إلينا من آثاره سوى كتاب واحد هو قصة حيّ بن يقظان.

حاول ابن طفيل من خلال كتابه حي بن يقظان أن يوجد نظاماً فلسفياً حول النشوء الطبيعي وتطور التفكير الإنساني، وبيان أن الإنسان يتدرج بالتأمل والفكر في المعرفة من الإحاطة بما حوله من عالم المادة، حتى يستطيع الاتصال عن طريق العقل بالله سبحانه وتعالى. وذكر ابن طفيل أن عجز العقل عن إدراك الله يقود إلى التصوف عند بعض الناس،توفي بمراكش بالمغرب."([1])

<u>مؤلفاته :</u>

١-أسرار الحكمة المشرقية .٢-رسالة في النفس ٣-رسالة حي بن يقظان.([2])

ب: تعريف النفس عند ابن طفيل .

بعدالبحث في كتب ابن طفيل وما كُتِب عنه نجد اننا لانستطيع أن نفهم فلسفته وإعتقاده إلا عن طريق ماورد عنه من قصص فلسفية ، فمن خلال قصة حي بن يقضان على سبيل المثال نستطيع القول ان ابن طفيل يثبت روحانية النفس أي ان الجسم مشتمل على الروح وان هذه الروح لها الخلود وليس الاندثار وأن هناك ثواباً على العمل وعقاباً ايضاً ، ثم انه جعل السعادة في معرفة الله –تعالى – أي العمل المتوافق مع تلك المعرفة ، وان اعتقاده بالبعث والجزاء لا يكون الا للنفس التي سماها العاقلة اما غير العاقلة فإنها إلى زوال وفناء ." ([3])

فالثواب والعقاب يكون للنفس وليس للجسد ولايؤمن بمعاد الاجساد ،فالخلود يكون للنفس العاقلة وليس لغيرها .

---

[1] – انظر: عبده المراكشي ،المعجب في تلخيص أخبار المغرب ص٣١٢،وأنظر،الموسوعة العربية العالمية ص١٢

[2] – الفلسفة الإسلامية في المغرب ،د محمد غلاب ص٤٤ .وانظرتاريخ الفلسفة العربية حنا فاخوري وخليل الجر،ص٥٩٠ بيروت،١٩٦٣م

[3] – عبده الشمالي ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها ، ص٦٣٦ ،ط٤،دار صادر،بيروت ١٩٦٥ م ،بتصرف .

ومن ثم نجده يميز بين ثلاث حالات فيما يتعلق بمصير تلك النفس وذلك من خلال علاقتها بواجب الوجود (الله جل جلاله) وهي كما يلي :

الحالة الأولى : "وهي التي تمثل النفس أو الإنسان الذي أدرك واجب الوجود ثم فقد ادراكه بالمعصية، ومصير الانسان في تلك الحالة إنما يتمثل في حالة الاكرام التي لانهاية لها وسواء تخلص من الآلام بعد جهاد طويل أم بقي في الآلام بقاءاً لانهائي." ([1])

ففي هذه الحالة نجده يبين أن الانسان الذي يعرف الله سبحانه وتعالى وتعاليمه ثم انه قد فقد تلك المعرفة بالمعاصي فإن جزاءه يكون بعد البعث في الآلام لانهاية لها في نار جهنم خالداً مخلداً فيها ، وهو لايجزم ببقائه في الآلام (العذاب) أي خلوده فيها .

الحالة الثانية : "وتمثل الانسان الذي ادرك وجود الله –تعالى– وأقبل تماماً عليه والتزم بالتفكير إنما يتمثل في لذاتها وغبطتها وسعادتها سعادة لانهاية لها ". ([2])

فهذه الحالة نستطيع ان نصفها بحالة (جزاء المؤمن العامل بإيمانه) فنجد أن ابن طفيل يؤمن بأن العمل في الحياة الدنيا من الانسان المؤمن بالله –تعالى–ايماناً صادقاً بأنه سوف يكون له بعث بعد الموت ومن ثم يكون في سعادة ابدية وهي بمثابة الجزاء على العمل الصالح الذي قدمه في الحياة الدنيا .

الحالة الثالثة : " تمثل الانسان الذي يدرك وجود الله تعالى ومصير النفس في هذه الحالة إنما يكون كمصير الحيوان "([3])

ففي هذه الحالة يكون جزاء من لا يعرف الله –سبحانه وتعالى– ولايدرك عظمة وجوده أن مصير نفسه كمصير الحيوانات والبهائم حسب اعتقاده . وفي هذا مخالفة لصريح قوله تعالى : (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) فالكافر يتمنى أن يصبح ويصير كمصير الحيوانات تراباً ولكنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها .

فمن خلال ماتقدم نلاحظ ان البعث والجزاء عند ابن طفيل يكون للنفس دون الجسد إذا كان يقصد بالنفس الروح فهذا يعني ان البعث والجزاء عنده روحاني فقط .

---

[1] – العراقي ، د.عاطف العراقي ، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل رؤية عقلية نقدية ، ص١٢٢-١٢٣ ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط٤، ٢٠٠٢م

[2] – المرجع السابق نفس الصفحة .

[3] – المرجع السابق ص١٢٤ .

"حيث إن الروح حسب مايرى ابن طفيل بعد ان تفارق البدن تستمر في عذاب أو في نعيم فمن عرف الله –تعالى – ثم أعرض عنه واتبع هواه حتى وافته منيته وهو على تلك الحال يبقى في عذاب طويل وآلام لا نهاية لها فإما أن يبقى في آلامه بقاءاً سرمدياً بحسب استعداده لكل واحد من الوجهين في حياته الجسمانية "([1])

ج: البعث والجزاء (النعيم والعذاب) والسعادة عند ابن طفيل .

وكما تقدم في الحديث عن النفس وحالاتها فقد تبين بكل وضوح ان البعث والجزاء في اعتقادابن طفيل انما هو روحاني وحيث إن ابن طفيل يؤمن ايماناً تاماً بوجود البعث والحساب والثواب والعقاب في اليوم الآخر والدليل على ذلك اننا نجده ينقد الفارابي إنتقادا مراً وصريحا وذلك لقوله بأن السعادة الانسانية إنما تكون في هذه الحياة التي في هذه الدار ، ثم يقول: انه ايأس الخلق جمعياً من رحمة الله تعالى – وصير الفاضل والشرير في رتبة واحدة إذ جعل مصير الكل إلى العدم وهذه زلة لاتقال وعثرة ليس بعدها جبر "([2])

كما نجد في رسالته (حي بن يقظان) ما يثبت ذلك ويؤكده " وإما أن يكون قبل ذلك في مدة تصريفه للبدن قد تعرف بهذا الموجود وعلم ما هو عليه من الكمال والعظمة والسلطان والقدرة إلا أنه أعرض عنه واتبع هواه حتى وافته منيته وهو على تلك الحال فيحرم المشاهدة وعنده الشوق إليها فيبقى في عذاب طويل وآلام لانهاية لها ،فأما أن يتخلص من تلك الآلام بعد جهد طويل ويشاهد ماتشوق اليه قبل ذلك ،وإما أن يبقى في آلامه بقاء سرمدياً بحسب استعداده لكل واحد من الوجهين في حياته الجسمانية . وأما من تعرف بهذا الموجود قبل ان يفارق البدن وأقبل بكليته عليه ... فهو إذا فارق البدن بقي في لذة لانهاية لها وغبطة وسرور وفي فرح دائم ... ويزول عنه ما تقتضيه هذه القوة الجسمانية من الأمور الحسية التي هي بالإضافة إلى تلك الحال آلام وشرور وعوائق " ([3])

ونجد ابن طفيل يؤمن بأن تمام السعادة للإنسان في الآخرة تكون برؤية الله تعالى وزوال الحجاب وان الشقاء وكل الشقاء يكون بحجب الإنسان عن الرؤية للخالق سبحانه ، كما يشير إلى ذلك الدكتور عبد الحليم محمود بقوله: " ويرى ابن

---

[1] – عبد الحليم محمود ، فلسفة ابن طفيل ورسالة حي بن يقظان ، ص٥٣،ط٢ ،مكتبة الأنجلوالمصرية ، القاهرة .

[2] – المرجع السابق نفس الصفحة .

[3] – ابن طفيل ، رسالة حي بن يقظان ، ص٤٤ .

طفيل أن كمال ذات الانسان ولذتها وسعادتها إنما هو بمشاهدة الموجود الواجب الوجود على الدوام ،مشاهدة بالفعل أبداً ، حتى لايعرض عنه طرفة عين لكي توافيه منيته وهو في حال المشاهدة بالفعل فتتصل لذته دون أن يتخللها ألم ."([1])

فمن خلال ماتقدم نجد وبكل وضوح ان البعث والحشر والحساب عند الفيلسوف ابن طفيل يكون للأرواح فقط دون الاجساد وأن النعيم يكمن في تلك اللذة التي ترافق الاتصال بواجب الوجود ، وكذلك نجد ان العذاب يكون بالشقاء والحرمان من الاتصال بالخالق .

ولا بد ان نشير إلى ملخص قصة (حي بن يقظان) حيث أنها قصة فلسفية بلغت من القوة المنطقية حد الروعة في اسلوب جزل سلس ، وقد حوت آراء ابن طفيل في أهم المشاكل الفلسفية ، ولا نبالغ إذا قلنا انها مذهب فلسفي كامل تتجلى فيه الدقة بكل معانيها ، وقد صور فيها ابن طفيل (حي بن يقظان) وقد نشأ في جزيرة منعزلة عن العالم لا أثر فيها لبني البشر ، فأخذ ينظر ويتأمل ويستنتج ، متدرجاً من المحسوس إلى المعقول ، ومن الجزئيات إلى الكليات حتى وصل إلى تكوين فكرة عن الله وعن الملأ الأعلى . ثم أخذ في الرياضة الروحية حتى وصل إلى طور الولاية ،ثم شاءت الظروف أن يصل إلى جزيرة عابد متدين بدين سماوي ، أراد العزلة ليتفرغ للعبادة ، فالتقى به (حي بن يقظان)وبعد تفاهمهما وأخذ كل منهما عن الآخر التزم (حي بن يقظان) ما ذكره له العابد من شعائر دينية وبعد محاولة فاشلة لهداية المدينة التي نشأ فيها العابد ، عاد (حي) إلى جزيرة واستقر فيها إلى ان أتاه اليقين " ([2])

فهو يعتقد أن الاجساد تنتهي وتتلاشى بالموت ومفارقة الروح ولابد لها من ذلك وتكون المفارقة للأبد وبغير رجعة ولكن الخلود يكون للنفس والروح ويعلل سبب هذه المفارقة (الموت) بقوله " لقد تبين أن النفس قد فارقت وطرحته لأنه لايصلح آلة لها وذلك لأن جوهرها مغاير لطبيعة هذا البدن "([3])

ويختم حديثه في وصف السعادة والسرور للنفس الانسانية عند ابن باجة " أن السعادة والبهجة والسرور التي تكون للنفس الانسانية التي هي الحقيقة بالذات تكون بالتأمل النظري والتدبر الفكري بداية ثم الاتصال والمشاهدة غاية وعلى ذلك يجمع ابن طفيل بين اصحاب النزعة العقلية وأصحاب الاتجاه الحدسي الوجداني فهو واقع بين تأمل فيلسوف ومجاهدة صوفي ."([4])

---

[1] – عبد الحليم محمود ، فلسفة ابن طفيل وقصة (حي بن يقظان) ص٥٤ ،دار غريب القاهرة،٢٠٠٠م

[2] – المرجع السابق ،ص١٩ .

[3] – د.سعيد مراد ، نظرية السعادة عند فلاسفة المسلمين ، تصدير محمد عاطف العراقي ، ص١٦٥ ،مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٩٢م

[4] – المرجع السابق ص١٦٥ .

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن باجة :

أ: التعريف بابن باجة :

ثالثاً : حقيقة الجزاء عند ابن باجة :

أ: التعريف بابن باجة :

ب: تعريف النفس عند ابن باجة :

ج: البعث والجزاء عند ابن باجة :

أ: التعريف بابن باجة :

هو أبو بكر محمد بن يحي بن الصائغ المعروف بابن باجة من الأندلس، وكان في العلوم الحكمية علاّمة وقته وأوحد زمانه، وبلي بمحن كثيرة وشناعات من العوام، وقصدوا هلاكه مرات وسلمه اللّه منهم، وكان متميزاً في العربية والأدب حافظاً للقرآن، ويعد من الأفاضل في صناعة الطب وله تعاليق في الهندسة وعلم الهيئة تدل على بروعته في هذا الفن، وأما العلم الإلهي فلم يوجد في تعاليقه شيء مخصوص به اختصاصاً تاماً إلا نزعات تستقرأ من قوله في رسالة الوداع، واتصال بالإنسان العقل الفعال، وإشارات مبددة في أثناء أقاويله لكنها في غاية القوة، والدلالة على نزوعه في ذلك العلم الشريف الذي هو غاية العلوم ومنتهاها وتوفي بقوص، وكان من جملة تلاميذ ابن باجة أيضا القاضي أبو الوليد محمد ابن رشد، وتوفي ابن باجة شاباً بمدينة فاس ودفن بها، وأخبرني القاضي أبو مروان الأشبيلي أنه رأى قبر ابن باجة، وقريباً من قبره قبر أبي بكر بن العربي الفقيه، صاحب التصانيف،ومن كلام ابن باجة قال الأشياء التي ينفع تعلمها بعد زمان طويل لا يضيع تذكرها، وقال حسن عملك تفز بخير من اللّه سبحانه

كتب ومؤلفات ابن باجة :

١- شرح كتاب السماع الطبيعي لأرسطوطاليس.

٢- قول على بعض كتاب الآثار العلوية لأرسطوطاليس.

٣- قول على بعض كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس.

٤- قول على بعض المقالات الأخيرة من كتاب الحيوان لأرسطوطاليس.

٥- كلام على بعض كتاب النبات لأرسطوطاليس.

٦- قول ذكر فيه التشوق الطبيعي وماهيته .

٧- رسالة الوداع.

٨- قول يتلو رسالة الوداع،

٩-كتاب إتصال العقل بالإنسان، ١٠- كتاب تدبير المتوحد، ١١- كتاب النفس، ١٢- تعاليق على كتاب أبي نصر في الصناعة الذهنية، ١٣- فصول قليلة في السياسة المدنية، ١٤- نبذة يسيرة على الهندسة والهيئة ١٥- رسالة كتب بها إلى صديقه أبي جعفر يوسف بن أحمد بن حسداي بعد قدومه إلى مصر، ١٦- تعاليق حكمية وجدت متفرقة، ١٧- جواب لما سئل عن هندسة ابن سيد المهندس وطرقه، ١٨- كلام على شيء من كتاب الأدوية المفردة لجالينوس، ١٩- كتاب التجربتين على أدوية ابن وافد، ٢٠-كتاب اختصار الحاوي للرازي، ٢١- كلام في الغاية الإنسانية كلام في الأمور التي بها يمكن الوقوف على العقل الفعال، ٢٢-كلام في الاسم والمسمي ، كلام في البرهان، ٢٣- كلام في الاسطقسات، ٢٤- كلام في الفحص عن النفس النزوعية ، ٢٥- كلام في المزاج بما هو طبي. " ([1])

ويقول ابن خلكان :" باجة هي الفضة بلغة الفرنج في المغرب " ([2])

مات بفاس سنة ثلاث وثلاثين وخمس مئة ولم يتكهل .

ب: تعريف النفس عند ابن باجة :

كان اتجاه ابن باجة في فلسفته وتركيزه على الجوانب العقلية الفكرية في دراسة الإنسان ، فالعقل عند ابن باجة لا يعد قاصراً عن الوصول إلى الحقيقة كما يبين كذلك أن الشخص الحكيم هو الشخص الذي يقدس الغايات الاخيرة اي

---

[1] – ابن أبي أصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ، ص٦٢ ،ج٢ .

[2] – ابن خلكان ،وفيات الاعيان ، ص٥٦ ،ج٤ ،مكتبة النهضة المصرية القاهرة ١٩٤٨م .

الغايات الكلية الروحانية فهو بحق كما يقول المفكر ين انه مؤسس الفلسفة العقلية في المغرب العربي فمن خلال تميزه بين الغايات الجسدية والغايات الروحانية والكلية في كتابه تدبير المتوحد "([1])

فالعقل الفعّال عنده (من خلال كتابه رسالة الوداع) هو الطريق للتقرب الى الله –تعالى–والاتصال به فالسعادة الدنيوية وليست السعادة الأخروية من حساب وعذاب جنة ونار ، فهو لايتطرق اليها في كتاباته ، ويؤكد ذلك صاحب كتاب دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الإسلامية وآثار رجالها بقوله " واما السعادة الاخروية فإنه لايتحدث عنها ومجمل كلامه يدل على أنه ينكرها مخالف للدين ." ([2])

ج: البعث والجزاء عند ابن باجة :

نجد أن ابن باجة يصنف الغايات التي يطلبها الإنسان على كثرتها فيقول : "منها العبادة التي يبتغي بها رضى الله ومنها الجاه واليسار وما يلحق بهما من التزين أو التلذذ ومنها النظر العقلي الذي ينتهي ب (الاتصال) " .([3])

ونجد عنده ان النظر العقلي هو أشرف الغايات لأن النظر العقلي هو الذي يؤدي عنده إلى الاتصال وليس العبادات .

ولكن هذا لا يعني عدم ايمانه بالقرآن الكريم والسنة الشريفة واستشهاده بها في التدليل على عقيدته على أن العقل هو أشرف الموجودات وهو السبيل إلى الغاية العظمى وهو الاتصال بالكمال والكمال عنده هو الله–تعالى– فلا يدرك الا بمعونة إلهية ، واللذة هي لذة عقلية معنوية روحية وليس حسية تدرك بالعقل والقرب من الله–تعالىونيل رضاه بما يعرف عنده بالعقل الفعّال والذي يبني عليه أغلب فلسفته.

[1] – د.عاطف العراقي ، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل رؤية عقلية نقدية ، دار الرشاد ، القاهرة ، ٢٠٠٢ م

[2] – عبده الشمالي ، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية وآثار رجالها ، ص٦١٣ ، ط٤ ، دار صادر بيروت ١٩٦٥م .

[3] – ماجد فخري ، رسائل ابن باجة الإلهية ، ص٢٩ ،دار النهار بيروت

وقد قام ابن باجة بتقسيم الناس إلى مراتب وذلك بحسب أعمالهم على النحو التالي :

أ- أصحاب المرتبة الأولى : وهؤلاء تغلب عليهم الجسمانية وهم برأيه أخس الناس .

ب- أصحاب المرتبة الثانية :وهؤلاء من تغلب عليه الروحانية اللطيفة جداً وهم قليل .

ت- أصحاب المرتبة الثالثة : وهؤلاء من توجد فيه الجسمانية والروحانية وتختلف بالأكثر والاقل ".([1])

فمن الناس حسب تقسيمه ما هو روحاني أي لا يأبه بالجسم وملذاته بل ينطلق نحو العلم والتعلم والمعرفة وهؤلاء في أعلى عليين وأشرف مرتبة وأجملها وهم اقل الناس . وهو في ذلك التقسيم يريد أن يصل إلى ان الفيلسوف (الحكيم) لايكون إلا روحانيا وهو افضل الناس في لذته وأعماله جميعها ،وهذا يقودنا إلى أن السعادة واللذة روحانية معنوية دنيوية أي تكون في الدنيا فقط .

فنجد انه ليس للمعاد عند ابن باجة ذكر في كتاباته وهذا ان كان يدل على شيء فإنما يدل على إنكاره له ولما يكون بعده من أحداث حيث ان كل اهتمامه كان منصبا على الحياة الدنيا .

" ويدو بوضوح أن ابن باجة يرى أن الخلود إنما يكون في هذه الحياة الدنيا لأنه لايذكر الخلود والسعادة ذكراً كثيراً ولكنه لايتكلم على المعاد أبدا " ([2])

فابن باجة لا يؤمن بالبعث وإذا كان هذا اعتقاده بالبعث من إنكار فإن ما بعد البعث من جزاء (ثواب وعقاب) وحساب وصراط وحوض وكوثر وشفاعة يكون منكراً لها قولا واحدا وذلك لانه انكر ما قبل الحساب فيكون ما بعد البعث منكر .

كما نجد أن أصل السعادة واساسها عنده ترجع إلى اعمال الانسان وأن اصل السعادة هي اصل للخلود والخلود عنده لا يكون إلا في الحياة الدنيا ، كما نجد أن أنواع الأعمال التي توجب السعادة ثلاثة وهي كما يلي :

١- الاعمال التي بها رفاهية البدن ولذاته كالطعام اللذيذ واللباس الفاخر ...الخ .

وبين ان هؤلاء الذين يعملون هذه الاعمال هم الذين اخلدوا إلى الارض وسعادتهم لاتتجاوز مدة فعلهم هذه الافعال وليس لهم فضل عند الناس ولا قيمة كما يبين أن ليس لهم قيمة ولا وزن .

٢- الاعمال التي تحدث انفعالاً في النفس من غضب أو رضى ومن سرور أو احزان ، وهذه الافعال نوعان :

[1] – سعيد مراد ، نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام ، تصدير محمد عاطف العراقي ، ص١٤٠ ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٩٢م،

[2] – الفروخ ،عمر فروخ، ابن باجة والفلسفة المغربية ، ص٤٨ ،ط٢،مكتبة منيمنة بيروت١٩٥٢م

أ) نوع كاذب أي أن الانسان قد يظهر الرضى وهو غير راض ، فهذه الاعمال التي بهذا الشكل تسمى الرياء وهي لا قيمة لها في السعادة أو الخلود .

ب)نوع صادق أي ان الانسان يميل في ذلك فعلاً إلى عمل الخير وإلى الاحسان إلى الناس وإذا ابدى غيرةً على امر كان صادقاً ... فإذا فعله لإعتقاده أن فعله فضيلة ثم أورثه ذلك خشوعاً في قلبه فهو عند ابن باجة من الذين اجرهم على الله ،وهؤلاء لا يتناولهم بحث السعادة و الخلود عند ابن باجة .

٣- أما السعادة والخلود في رأيه فيفهمان من الطريق التالية: حيث أن لكل إنسان عمران ؛عمره الجسدي الذي يحياه على هذه الارض ثم عمره الثاني وهو (تذكر الناس له بعد موته) وأن السعادة والخلود تكون في عمره الثاني "([1])

إذاً فالسعادة والخلود الحقيقي للانسان عند ابن باجة هو ما يكون له من ذكر مستمر بعد موته بين الناس وليس السعادة والخلود عنده في الجنة في اليوم الآخر كما هو في اعتقادنا .

ونجد في رسالة الوداع انها تشتمل على افكار تتحدث عن السبب والدافع للانسان في عملة والغاية الحقيقية لوجوده والهدف من العلم كما نجد في مضمونه أيضاً الغاية من التقرب والعمل من إلاله ، كما نجد ان هناك عبارات تدلل على خوضه بمسألة خلود النفس ولكنها غير واضحة وليست مفهومه .

[1] - المرجع سابق، عمر الفروخ ، ص٤٨ -٤٩، بتصرف .

الباب الرابع: أوجه الاتفاق والاختلاف

المطلب الأول :أوجه الاتفاق والاختلاف عند فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب .

المطلب الثاني :أوجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين .

المطلب الثالث :أوجه الاتفاق عند المتكلمين والفلاسفة .

تمهيد :

في نهاية البحث لا بد من الإشارة في هذا الفصل إلى أوجه الاتفاق والاختلاف عند المدارس والفرق الكلامية الإسلامية من جهة وبين الفلاسفة المسلمين من جهة أخرى وبيان ذلك فياعتقاد كل منهم في البعث والجزاء الأخروي ، لذلك فقد قمت بتقسيم هذا الفصل إلى ثلاثة مطالب، أما الأول فتناولت فيه أوجه الاتفاق والاختلاف عند فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب وأما الثاني فتناولت فيه أوجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين وقد اوردت في بداية كل موضوع آية من القرآن تبين الدليل على إثباته . المطلب الثالث :أوجه الاتفاق عند المتكلمين والفلاسفة . فأسأل الله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد .

المطلب الأول :أوجه الاتفاق والاختلاف عند فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب :

أولاً : أوجه الأتفاق :

وجدت من خلال البحث أن فلاسفة المشرق الفارابي وابن سينا يؤمنون ويعتقدون بالبعث والجزاء (الجنة والنار) وما بعده من أحداث الصراط والحساب والميزان والحوض والكوثر ونجدهم متفقين على ذلك ويقولون إن كل ما ورد من آيات كريمة للتدليل على ذلك انما هو من باب التقريب للاذهان والتمثيل وليس على الحقيقة المزعومة فكل ما يكون من بعث وجزاء في اليوم الآخر وما فيه من أحداث إنما يكون روحانياً معنوياً وليس حسياً واقعياً .

وكذلك فإن فلاسفة المغرب ابن رشد وابن طفيل نجدهم متفقين مع فلاسفة المشرق في ان البعث والجزاء وما بعده من أحداث في اليوم الآخر انما يكون على سبيل التمثيل والتقريب للأذهان أيضاً لا على سبيل الحقيقة وإنما هو روحاني معنوي وليس جسمانياً حسياً .

ثانياً :أوجه الاختلاف :

أما ما وجدناه من أختلاف وعدم توافق بينهم :

الفيلسوف الكندي من فلاسفة المشرق العربي نجده يخالف فلاسفة المشرق في اعتقادهم واتفاقهم على ان البعث وما بعده والجزاء وما بعده والجنة والنار روحاني معنوي فقط بل نجده يقول بما يقول به إجماع المسلمين من إنه روحاني حسي بكل المقاييس .

وكذلك نجد أن الفيلسوف ابن باجة قد خالف فلاسفة المغرب الذين ينتسب اليهم وفلاسفة المشرق في اعتقادهم فينكر البعث وما بعده والجزاء وما يتضمن والجنة والنار ويقول ان السعادة هي التي تكون في الدنيا فقط .

هذا فيما يختص بالفلاسفة (فلاسفة المشرق وفلاسفة المغرب) وما بينهم من أوجه اتفاق واختلاف .

المطلب الثاني :أوجه الاتفاق والاختلاف عند المتكلمين .

قمت بتقسيم هذا المطلب في المقارنة مابين المتكلمين وبيان أوجه الاتفاق والاختلاف بينهم في جعل المواضيع المدروسة على شكل عناوين ويندرج تحته ماكان من اتفاق وأختلاف بينهم وذلك على النحو التالي :

البعث ووقوعه :

يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [1]

نجد أن هناك شبه إجماع فيما بين المتكلمين على أن البعث روحاني معنوي حسي جسماني معاً ولم يخالف في ذلك إلا فرقة المعتزلة حيث إنهم قالوا ان البعث جسماني فقط .

ويشير إلى ذلك أبودقيقة بقوله: " من أن الشرائع السماوية وكذلك العقول السليمة قد أجمعت على وقوعه ، وأن بعض علماء الكلام يقولون كذلك بوجوبه من أجل أن يصل الثواب إلى المطيع والعقاب إلى العاصي ليتحقق معنى الجزاء على الأعمال في الدنيا – إذ إنه ليس من الحكمة أن يكلف الإنسان ويطالب بفعل بعض أشياء وبترك أخرى ثم يترك دون حساب ولا مجازاة وقد قام بعض الناس بقهر نفسه ومنعها شهواتها ، والبعض الآخر كان قد أخذ بحظ وافر فلم يمنع نفسه هواها ولم يأبه لأمر ولا لمنع فظلم وسفك دم وأكل ما ليس له ، فكان من العبث تركه دون أن يكون له حياة أخرى

---

[1] – سورة يس ألآية ٧٧-٧٩

ينال منها جزاء ما فعل في حياته الدنيا من خير أو شر والله – تعالى–منزه عن العبث ، فلا يليق أن يهمل ذلك الإنسان بدون بعث أو إعادة ." ([1])

البعث وإمكان تحققه :

يقول تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾ ([2]) نجد ان فرقة المعتزلة وفرقة الكرامية وفرقة القدرية أوجبوا البعث على الله تعالى ولم يجوزوه أما فرقة الأشاعرة خالفوهم ففصّلوا في ذلك حيث قالوا كما يوضح ذلك الإمام البغدادي على أن البعث واجب من طريق الخبر أي بناءاً على ما أتى به الخبر الصحيح من الكتاب والسنة ، وجائز عن طريق العقل ، أي لما سيحدث بعد البعث من أحداث الحساب والجزاء النعيم والعذاب .

ويلخص ذلك الإمام البغدادي بقوله :"وقد أجمع المسلمون و أهل الكتاب والبراهمة على إعادة الخلق وجوازه بعد الفناء في الجملة وإن اختلفوا في التفصيل وخالفهم في هذه الجملة فِرق، إحداها: الدهرية المنكرة لحدوث العالم . والثانية : قوم من الفلاسفة أقروا بحدوث العالم وأنكروا الإعادة بعد العدم. والثالثة : فرقة من عبدة الأصنام الذين كانوا في عهد النبي –عليه السلام – أقروا بحدوث العالم وأنكروا البعث والقيامة والجنة والنار . فقال الله– تعالى– على ألسنتهم : ﴿ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ([3]) والرابعة : فرقة من غلاة الروافض المنصورية * والجناحية * الذين أنكروا القيامة (الجنة والنار)و أسقطوا فروض العبادات ".([4])

الجزاء البرزخي :

يقول تعالى: ﴿ مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَنصَارًا ﴾ (سورة نوح الآية ٢٥)

---

[1] – أبو دقيقة، محمود أبو دقيقة، القول السديد في علم التوحيد، ج٣، ص١٦٧بتصرّف.

[2] – الأحقاف الآية ٣٣

[3] – سورة الجاثية الآية ٢٤ ، *المنصورية: هم اتباع أبي منصور العجلي ، وزعموا ان الإمامة دارت في اولاد علي .انظرالفرق بين الفرق ص١٨٦. *الجناحية : هم اتباع عبد الله بن معاوية بن عبدالله بن جعفربن أبي طالب النظر الفرق بين الفرق ص١٨٧–١٨٨ .

[4] – أبي منصور البغدادي ، اصول الدين ، تحقيق احمد شمس الدين ، ص٢٥٧–٢٥٨ ، ط١ ، منشورات محمد علي بيضون ، ٢٠٠٢م.

فنجد أن هناك اتفاقاً فيما بين الفرق الإسلامية على وجود الجزاء البرزخي وما فيه باستثناء الخوارج فإنهم ينكرونه بل نجدهم مختلفين فيما بينهم فمنهم مقر ومنهم المخالف ولكن الاغلب ينفيه وكما يشير إلى ذلك الإمام الأشعري بقوله "والخوارج لا يقولون بعذاب القبر ولا ترى يعذب أحد في قبره"[1]

ومن فرق الخوارج الأباضية كذلك غير متفقين على نفي عذاب القبر أو اثباته فهناك من يثبت عذاب القبر ومنهم فريق ينفيه ويتضح لنا من خلال أبيات الشعر التي يقولها صاحب النونية من شيوخهم:

و أما عذاب القبر تثبت جابر　　　وضعفه بعض الائمة بالوهـــن

و أنما ورود النـاس للنار أنه　　　ورود يقين العلم واللمع بالعـــين[2]

الجزاء الأخروي ووجوده الآن :

يقول تعالى في كتابه العزيز:﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ﴾[3]هذا في ذكر وجود الجنة .

أما في ذكر النار فيقول –تعالى: ﴿ فَإِن لَّمۡ تَفۡعَلُواْ وَلَن تَفۡعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُۖ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ٢٤ ﴾[4].

فنجد أن الفرق الإسلامية متفقة على وجوده الآن بأستثناء فرقة المعتزلة وفرقة الجهمية وفصلوا في ذلك ، وقد لخص صاحب (مذكرات في التوحيد) مذاهب الفرق في وجودهما وعدمه إلى أربعة :

"١-مذهب الفلاسفة وهو انكار وجودهما مطلقاً .

٢- مذهب الأشاعرة والماتريدية وكثير من المعتزلة إلى وجودهما الآن .

٣- مذهب أكثر المعتزلة ، أنهما غير موجوتين الآن وإنما يوجدان عند الجزاء .

٤- مذهب الجهمية ، أنهما يوجدان فيما بعد ثم يفنيان ويفنى أهلهما . "([5])

---

[1] – أبي الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين ، ج١، ص٢٠٦، تحقيق محمد محيي الدين حميد.

[2] – أبي نصر النفوسي، متن النونية في عقيدة التوحيد، ص٢٧.

[3] – سورة آل عمران الآية ١٣٣

[4] – سورة البقرة الآية ٢٤

[5] – صالح موسى شرف ، مذكرات التوحيد ، ج٣، ص١٠٥ ط٥، المطبعة الفاروقية الحديثة ، ١٩٥٠م

الجزاء الأخروي وخلوده :

يقول تعالى:﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾ ﴾ [1].

نجد أن الفرق الإسلامية متفقة على خلوده إلا فرقة الجهمية ،ومن المعاصرين نجد الدكتور يوسف القرضاوي قد قال بفناء النار بناءاً على قول لابن القيم .

ويبين الإمام البغدادي الفرق التي اعتقدت بدوام الجنة والنار وعدم فنائها فقال :"أجمع أهل السنة وكل من سلف من أخيار الامة على دوام بقاء الجنة والنار، وعلى دوام نعيم أهل الجنة ودوام عذاب الكفرة في النار ثم" بين الفرق التي أنكرت دوامهما فقال "وزعم قوم من الجهمية أن الجنة والنار تفنيان . وزعم أبو هذيل أن أهل الجنة والنار ينتهون إلى حال يبقون فيها خموداً ساكنين سكوناً دائما لا يقدر الله –تعالى– على شيء من الأفعال ولا يملك لهم حينئذ ضراً و لانفعاً . كفاه بدعواه فناء مقدورات الله –تعالى– خزيا من تكذيبه إياه في قوله :﴿ ۞ مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة الرعد الآية ٣٥) ([2])

الشفاعة :

يقول تعالى :﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ [3]

فقد أجمعت الأمة على إثبات الشفاعة يوم القيامة على وفق ما ورد من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة .

وقد قال الإمام الأشعري في شأن ذلك الإجماع –رحمه الله – ،قوله: الإجماع الثاني والأربعين :" أجمعوا على أن شفاعة النبي – صلى الله علية وسلم لأهل الكبائر من أمته وعلى أنه يخرج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمما،..."[4]

وقال أيضاً "وقد أجمع المسلمون أن لرسول الله– صلى الله علية وسلم – شفاعة"[5]

[1] – سورة النساء الآية ١٢٢

[2] – عبد القاهر البغدادي ،اصول الدين،تحقيق احمد شمس الدين ، ص٢٦٣، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ٢٠٠٢م

[3] – سورة البقرة الآية ٢٥٥

[4] – الأشعري،رسالة إلى أهل الثغر ، ص٢٨٨،تحقيق عبد الله شاكر،مؤسسة علوم القرآن بيروت لبنان ،ط ١ ،١٩٨٨ م

[5] – أبي الحسن الأشعري،الابانة عن أصول الديانة، ص١٦٢،تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان ،دمشق ط٤ ، ١٩٩٩م

ويقول أيضاً الإمام السفاريني في كلامه عن الشفاعة "وأنعقد عليها إجماع أهل الحق من السلف الصالح قبل ظهور المبتدعة"[(1)]

أما المعتزلة، فإنها تقول إن صاحب الكبيرة هو في منزلة بين المنزلتين لذلك يقول القاضي عبد الجبار: "صاحب الكبيرة له اسم بين الاسمين وحكم بين الحكمين،ولا يكون اسمه اسم كافر ولا اسمه اسم المؤمن وإنما يسمى فاسقاً ، وكذلك فلا يكون حكمه حكم الكافر ولا حكم المؤمن بل يفرد له حكم ثالث"[(2)]

لذا نجد أن الفرق الإسلامية من الشيعة الإمامية والأشاعرة والماتريدية والمرجئة يثبتون الشفاعة لأهل المعاصي من المؤمنين دون أهل النار ، كما نجد أن فرق كل من المعتزلة والزيدية والأباضية والخوارج ينفونها وقد قمت ببيانه بشكل مفصل في موضعه .

رؤية الله عزوجل :

يقول تعالى :﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾[(3)]و يقول أيضاً :﴿ ۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾.[(4)]

فرؤية رب العزة –سبحانه وتعالى – من المسأل التي حصل فيها خلاف كبير بين العلماء وحيث أن هذه المسألة من مسائل النزاع بين الفرق الإسلامية ،المثبتين والنافيين و كلفريق يعتمد على دليل من القرآن الكريم ثم يؤو ّ ل إن كان من المؤو ّ لين أو يأخذ بظاهر النص إن كان ظاهرياً أو أن يأخذ النصوص دون تكييف أو تأويل .

والرؤية المقصودة في بحثنا هي التي تكون في اليوم الآخر إذ أن الرؤية في هذه الدنيا يكاد أن يكون اتفاق على عدم جوازها بينما حصل الخلاف في الرؤية التي تكون في الآخرة .

فقد نفت المعتزلة رؤيه الله– سبحان تعالى–حيث أن القاضي عبدالجبار توسع في بيان نفي المعتزلة وتأكيده فأفرد فصلاً حول نفي رؤية الله تعالى فقال "ومما يجب نفيه عن الله تعالى الرؤية وهذه مسالة خلاف بين الناس وفي الحقيقة الخلاف في هذه المسألة إنما يتحقق بيننا وبين هؤلاء الأشعرية الذين لا يكيفون الرؤية" ([5])

---

[1] – محمد السفاريني، لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية ، ج٢،ص٢٠٨،تعليق الشيخ عبد الرحمن أبا بطين وسليمان بن سحمان ،المكتب الإسلامي بيروت لبنان ط٣ ،١٩٩١ م

[2] – القاضي عبد الجبار، شرح الأصول الخمسة ، ص٦٩٧،ط٢،مكتبة وهبة القاهرة.

[3] – سورة القيامة الآيات ٢٢-٢٣

[4] – سورة يونس الآية ٢٦

[5] – القاضي عبدالجبار، شرح الاصول الخمسه ، ص٢٣٢،مرجع سابق

ويبين القاضي عبد الجبار كيفية الإستدلال بالآية الكريمة في قوله تعالى:﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ (الأنعام الآية ١٠٣)

"ان وجه الدلالة في الآية هو ثبت من أن الادراك إذا اقترن بالبصر لا يحتمل إلا الرؤية وثبت أنه تعالى نفى عن نفسه إدراك البصونجد في ذلك تمدحاً راجعاً الى ذاته وما كان من نفيه تمدحاً راجعاً الى ذاته كان إثباته نقصاً والنقائص غير جائزة على الله تعالى في حال من الأحوال" ([1])

ويوضح ذلك ايضا ابن ابي العز بقوله "والمخالف في الرؤية الجهمية والمعتزلة ومن تبعهم من الخوارج والامامية"[2]

والاباضية من فرق الخوارج فقد استدلوا عن رأيهم هذا في النفي بأدلة من القرآن الكريم ومنها.

قوله تعالى: ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ (١٠٣) ﴾ [3]

وكما يستدلون ايضا بقوله تعالى :﴿ وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي ﴾ .[4][5]

فنجد أن فرق المعتزلة والخوارج وبعض المرجئة والشيعة والجهمية متفقون على نفيها وكل فرقة تعلل سبب نفيها ،بينما نجد فرقة الأشاعرة والماتريدية يثبتونها للمؤمنين بلا كيف ولاتشبيه ولاتعطيل ولا تجسيم أما الحنابلة فيجوزونها بالأبصار .

كلام الله تعالى للعباد :

يقول تعالى:﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴾.[6] وكذلك في قوله–تعالى:﴿ فوربك لنسألنهم أجمعيين ﴾ .[7]

[1] – المرجع السابق ،الأصول الخمسة ، ص٢٣٣

[2] – القاضي علي الحنفي، شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، تحقيق أحمد شاكر ،ص ١٢٩، مكتبة الرياض الحديثة.

[3] – سورة الانعام الآية ١٠٣

[4] – سورة الاعراف الآية ١٤٣

[5] – انظر، خوارج تاريخهم واراءهم الاعتقادية وموقف الإسلام منها، غالب علي عواجي ص٢٤٩–٢٥٠

[6] – سورة المائدة الآية ١٠٩

[7] – سورة الحجر الآية ٩٢

و وردت أحاديث كثيرة تدل على أحوال ومواقف كلام الله –تعالى – لخلقه يوم القيامة فمنها ما يكون لأهل الجنة خاصة للتشريف، ومنها ما يكون لأهل النار للتحقير والتوبيخ ، و منها ما يكون للرسل –عليهم السلام– ،ومنها ما يكون للخلق جميعاً ،كما سيظهر لنا أثناء البحث إن شاء الله تعالى،ففي الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد عن أبي هريرة– رضي الله عنه– أن رسول الله –صلى الله عليه وسلم–قال :" أول من يؤتى يوم القيامة فيقال هذا أبوكم آدم فيقال : هذا أبوكم آدم فيقول رب لبيك وسعديك ، فيقول له ربنا : أخرج نصيب جهنم من ذريتك فيقول يا رب وكم ؟ فيقول من كل مائة تسع وتسعين فقلنا يا رسول الله– صلى الله عليه وسلم– أرأيت إذا أخذ من كل مائة تسعة وتسعين فماذا بقي منا ؟ قال : إن أمتي في الأمم كالشعرة البيضاء في الثور الأسود " .[1]

فهذا الكلام من رب العالمين لأبونا آدم يثبت كلام الله –تعالى– يوم القيامة ، فهناك مواقف يوم القيامة يكون كلام الله – تعالى –من خلالها .

فيقول القاضي عبد الجبار في بيان ذلك واثباته " وأما مذهبنا في ذلك فهو أن القرآن كلام الله –تعالى–ووحيه وهو مخلوق محدث ".[2]

أما المشبهة فيقول الإمام الشهرستاني (وزادوا على التشبيه قولهم في القرآن : إن الحروف والأصوات والرقوم المكتوبة قديمة أزلية وقالوا لا يعقل كلام ليس بحروف ولا كلم".[3]

فهؤلاء يقولون بأن صفات الرب سبحانه قديمة أزلية ومن هذة الصفات صفة الكلام

نجد أن الفرق الإسلامية متفقة على كلام الله تعالى للخلق يوم القيامة .ولكن كان الخلاف في صفة كلام الله تعالى فقد قالت المشبهة: أن كلام الله تعالى يشبه كلام المخلوق فهو قديم ازلي ،وفرقة المعتزلة تقول: إنه مخلوق حادث أما فرقة الأشاعرة فقالت إنه كلام نفسي ليس بحرف ولاصوت قائم بذاته فصفة الكلام أزلية قائمة بذاته .

المطلب الثالث :أوجه الاتفاق والإختلاف عند المتكلمين والفلاسفة :

[1] – الإمام أحمد، المسند،ج٢،ص٣٨٨،محمد السعيد زغلول ،دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط١ ،١٩٨٥ م.

[2] – القاضي عبدالجبار ،شرح الأصول الخمسة ، ،تحيق د. عبدالكريم عثمان وأحمد الحسين ، ص٥٢٨،ط ٣ ،١٩٩٦م، مكتبه وهبة ،القاهرة

[3] – محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، الملل والنحل ، ،تحقيق محمد سيد كيلاني ص٧٨

مما لاشك فيه أن الفرق الإسلامية تؤمن باليوم الآخر وما فيه من الثواب والعقاب بحسب ما ورد به السمع . ولكن من خلال ماتقدم عرضه من اتفاق بين الفرق الإسلامية واختلاف ، وما وجدنا من اتفاق بين الفلاسفة المسلمين في المشرق واختلاف نستطيع أن نقدم الآن أوجه الاتفاق بين الفرق الكلامية والفلاسفة وكذلك اوجه الاختلاف بين الفرق الكلامية والفلاسفة ، وسيكون من السهل علينا بعد هذا التقديم عرض أوجه الاتفاق واوجه الاختلاف .

فنجد في مسألة البعث أن هناك شبه اتفاقاً بين الفرق الكلامية على ان البعث جسماني روحاني كما تبين ذلك سابقاً ولكن الفلاسفة اختلفوا معهم وكادوا يجمعون على أن البعث روحانياً وخالف من الفلاسفة الفيلسوف الكندي حيث قال ان البعث روحاني جسماني فوافق في ذلك جمهور المتكلمين .

أما في مسألة الجزاء البرزخي فنجد أن هناك إتفاق بين الفرق الإسلامية على إثباته باستثناء فرقة الخوارج فإنهم ينكرونه بينما نجد أن الفلاسفة خالفوهم في ذلك بأن جعلوه روحاني لمن أقره وقال به إلا ابن باجة فقد أنكره بالكلية بينما نجد الكندي يقول انه روحاني جسماني وذلك بناءاً على اعتقاده بأن البعث والجزاء روحاني جسماني .

أمافيما يتعلق بالجزاء الأخروي وجدنا أن هناك اتفاق بين الفرق على وجوده وانه روحاني جسماني وأن هناك مخالف لهم كالمعتزلة والجهمية وقد خالف الفلاسفة المتكلمين في ذلك لمن كان اعتقاده بأنه روحاني وهم الاغلب بينما نجد ابن باجة انكره والكندي اثبته .

وكما نجد مثل ذلك فيما يتعلق بخلود الجزاء الاخروي .

وفيما يتعلق بالميزان نجد أن الفرق الإسلامية الكلامية اتفقوا على ثبوته ووافقهم في ذلك الاتفاق من الفلاسفة الكندي وخالف من الفرق الخوارج وقالوا ان الميزان معنوي وقد أنكر الميزان مطلقاً المعتزلة ووافقهم في ذلك الانكار من الفلاسفة ابن باجة .

وفيما يتعلق بالشفاعة فلم نجد للفلاسفة اي راي في نفيها أو اثباتها وقد تناولنا اعتقادالفرق الكلامية أثناء الحديث عن أوجه الاتفاق والاختلاف من هذا الفصل .

وأما الصراط فإن الفرق الإسلامية متفقة على اثباته باستثناء المعتزلة والخوارج منهم فقالوا انه معنوي وليس حسياً ووافقهم في ذلك الاعتقادمن الفلاسفة اغلبهم ونجد ان الجهمية قد أنكروا الصراط بالكلية ووافقهم في ذلك الانكار من الفلاسفة ابن باجة .

أما مايخص الحوض فإننا نجد ان هناك إجماعاً من الفرق الكلامية على ثبوته باستثناء الخوارج والمعتزلة ، ولم يرد تفصيل عند الفلاسفة في ذلك ، إلا انه يمكن القول إن من قال من الفلاسفة ان الجزاء روحاني معنوي فإن الحوض من الجزاء فهو عندهم معنوي ومن انكر منهم الجزاء فقد انكر الحوض وما يتعلق به .

وفيما يتعلق برؤية الله تعالى في الآخرة وجدنا أن الفرق الإسلامية انقسمت في ذلك إلى قسمين قسم نفى الرؤية وهم فرق المعتزلة والخوارج والمرجئة والشيعة والجهمية فمن ينفي البعث والجزاء من الفلاسفة فإنه بلا شك يوافق تلك الفرق في نفيهم لرؤية الله تعالى وقسم آخر قد أثبت الرؤية مثل الأشاعرة والماتريدية والسلف كلٌ بشرطه وقد بينت ذلك في موضعه ، فنجد من الفلاسفة من يوافق ذلك بان السعادة لاتكون إلا بالاتصال بواجب الوجود وهذا ما نجده عند ابن طفيل .

هذا وقد لخص لنا الإمام الغزالي اعتقادالناس في أمر الآخرة إلى أربع فرق وهي كما يلي:

فرقة اعتقدت: أن الحشر والنشر والجنة والنار، كما نطقت به الشرائع، وأفصح عن وصفه القرآن، وأثبتوا اللذات الحسية وهؤلاء هم المسلمون كافة، بل المتبعون للأنبياء على الأكثر من اليهود والنصارى.

وفرقة ثانية: وهم بعض الإلهيين الإسلاميين من الفلاسفة، اعترفوا بنوع من اللذة لا تخطر كيفيتها على قلب بشر كيفيتها، وسموها لذة عقليشة. وأما الحسيات فأنكروا وجودها من خارج. ولكن أثبتوها على طريق التخيل في حالة النوم.

وفرقة ثالثة : ذهبوا إلى إنكار اللذة الحسية جملة، بطريق الحقيقة والخيال، وزعموا أن التخيل لا يحصل إلا بآلات جسمانية،. وإلى هذا ذهبت الصوفية والإلهيون من الفلاسفة .

وفرقة رابعة وهم جماهير من الحمقى، لا يُعرفون بأسمائهم ولا يعدون في زمرة النظار، ذهبوا إلى أن الموت عدم محض، و أن الطاعة والمعصية لا عاقبة لهما ". ([1])

– منهج الاسلام في الرد على منكري البعث .

وقد نهج الإسلام عدة مناهج في رده على منكري البعث والجزاء من خلال آيات القرآن الكريم التي فيها تحريك للقلوب وإيقاظ للعقول ، فأساليب القرآن الكريم تأتي أحياناً بالترغيب في إلايمان ، وأحياناً أخرى بالترهيب من عدم الإيمان وما تنوعت تلك المناهج إلا لتشمل جميع فئات المنكرين للبعث .

[1] – ميزان العمل ،الإمام الغزالي ،ص٢ .

• المنهج الأول :

اعتمد على عرض حال كل من المنكر للبعث والمؤمن به يوم القيامة. فالمنكر في جهنم يصلى نارها وعذابها والمؤمن بالجنة يتلذذ في نعيمها على أروع حال، حيث يصور هذا المنهج محمد قطب بقوله "عرض صورهم يوم القيامة في جهنم وصور المؤمنين في الجنة ولكن بغير خطاب مباشر للمنكرين لحقيقة البعث فكأنما هي تتجاهلهم في الظاهر ، ولا تعرض الحقائق قائمة بذاتها فمن شاء فليؤمن وهو خير له ،ومن أصرّ على إنكاره فلينتظر ماذا يفعل بأمثاله يوم القيامة، وهي كذلك طريقة من طرق التأثير الوجداني قوي المفعول فإن الإنسان بطبعه يعقد بين نفسه وبين بطل القصة مقارنة خفية –واعية أو غير واعية – فإن ناله خير تمنى أن يكون مكانه وإن ناله شر تمنى أن يكون هو في نجوة منه . ومن هنا يدخل التأثير في قلوب أولئك المعاندين حين يرون أمثالهم يعذبون في نار جهنم ويرون المؤمنين الناجين في النعيم فتهفوا قلوبهم إلى المشاركة في ذلك النعيم والفرار من ذلك الجحيم، وينسون في غمرة التأثير إنكارهم للبعث أوعلى الأقل يهتز موقفهم منه فتلين قلوبهم للتسليم"[1] .

فهذا المنهج مصوّر بأروع صورة وأوضحها كما في سوره الجاثية ، حيث يقول تعالى:﴿ وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنۡيَا نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمۡ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱئۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا

[1] – دراسات قرءآنية ،محمد قطب،ص٧٤ ، دار الشروق ، ١٩٨٠م

ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [1]

وكذلك في سورة الصافات حيث قوله تعالى :﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ ۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ ..... إلى قوله ﴿ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [2] .

حيث يقول صاحب كتاب (في ظلال القرآن) عند تفسيره هذه الآيات "(لقد غفلوا عن إثار هذه القدرة في خلق السماوات والأرض وما بينهما وفي خلق الكواكب والشهب وفي خلق الملائكة والشياطين وفي خلقهم هم أنفسهم من طين لازب غفلوعن آثار القدرة في هذا كله ووقفوا يستبعدون على هذه القدرة أن تعيدهم إذا ماتوا وصاروا تراباً وعظاماً هم وآباؤهم الأولون وما في هذا البعث والإعادة من غريب على تلك القدرة ولا بعيد لمن يتأمل هذا الواقع ويتدبره أقل تدبر ، في ضوء هذه المشاهدات التي تحيط بهم في الآفاق وفي أنفسهم")[3] .

- المنهج الثاني :

ويتمثل هذا المنهج في رسم صورة لهؤلاء المنكرين في نار جهنم يوم القيامة كيف يعانون العذاب بشتى صنوفه وألوانه حيث أنهم يتفيئون بظل لا بارد ولا كريم فيها وطعامهم شجر الزقوم وشرابهم من الحميم حيث أن رب العزة يقول لهم تعالى :﴿ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ ﴾[4]

وكما يؤكد تلك الصوره الشيخ محمد قطب بقوله: "وهي طريقة مفزعة لهم تتجاوز اذهانهم المنكرة لا تخاطب أصلا ولا تدخل في جدل معها إنما تقتحم عليها إنكارها وتعرض عليها الصورة في جهنم وكأنما تقول لهم أنتم تكذبون بالبعث والحساب ؟

إذن فانظروا إلى أنفسكم في مرآة الغد إنكم هؤلاء في جهنم " [5].

---

[1] – سورة الجاثية الآيات ٢٤-٣٤

[2] – سورة الصافات الآيات ١١-٦١

[3] – في ظلال القرآن ،سيد قطب ،ص٥٠ ،مجلد ٧ ،ط٧ ،١٩٧١ م.

[4] – سورة النبإ الآية ٣٠

[5] – دراسات قرآنية ،محمد قطب ،ص٧٣ ،ط٢ ،دار الشروق ١٩٨٠ م.

فهؤلاء ينكرون البعث بغير حجة ولا دليل ولكن إنكارهم تطبيقاً للمثل القائل (الكفر عناد) فهو إنكار مجرد عناد وإصرار على الباطل فهؤلاء لا تنفع معهم حجة ولا دليل ولا برهان.

ومن المشاهد التي صورها القرآن الكريم لهؤلاء المنكرين ما ورد في سورة غافر حيث يقول تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [1] .

وما هو موجود بالكتب السماوية وما أرسل المرسلون به إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، فالله تعالى يتوعدهم أولاً ويصور أشكال عذابهم بالسلاسل التي تكون في أعناقهم فهو مشهد مفزع فيه ذلٌ وصغارٌ وضعفٌ وانحطاط.

ومن الآيات التي تمثل هذا المنهج ما ورد في سورة الأنعام التي تصور موقفهم عندما يقع عليهم العذاب يوم القيامة ويعترفون به ويستسلمون للعذاب أنذاك ويزيدهم حسرة عندما يسألهم رب العزة وتسألهم الملائكة فيجيبون بغير إعتقادهم الذي كان في الحياه الدنيا .

فقال تعالى: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلسَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُواْ يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [2] .

فهو منهج فيه التسليم الكامل والإقرار عندما يرون العذاب عياناً ولا يستطيعون الإنكار.

● المنهج الثالث :

ويتمثل في أن القرآن الكريم قد عرض لهم صوراً من عذاب المنكرين للبعث من الأمم السابقة في الحياة الدنيا قبل الآخرة ، ومن هذه الآيات قوله– تعالى– في سورة الدخان :

﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [1].

---

[1] – سورة غافر الآيات ٧٠–٧٢

[2] – سورة الانعام الآيات ٢٩– ٣١

ففي هذا المنهج أو الأسلوب بيان كيف أن الأمم المكذبة بالبعث عوقبت وتعذبت في الحياة الدنيا قبل الحياة الآخرة وهو عذاب لا مفر منه – فالقرآن الكريم يستعمل معهم أسلوب الجدل والنقاش بل تعدى ذلك مباشرة إلى كيفية عذاب الأمم السابقة التي تعتقد مثلما يعتقدون وتنكر مثلما ينكرون فكان عقابهم الهلاك في الدنيا والعذاب في نار جهنم في الآخرة.

ومن الآيات الكريمة التي تبين هذا المنهج أيضاً ما ورد في سورة الحاقة ،

بقوله تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ۝٤ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨ ﴾[2] .

فالله تعالى يذكر في هذا المشهد أقوام ثمود وعاد الذين كذبوا بالقارعة أي بالبعث

ويوم القيامة، فختم الله سبحانه وتعالى الحديث عنهم بقوله فهل ترى لهم يامن تنكر البعث من باقية وأثر.

وأختم حديثي في موضوع الرد على منكري البعث بالحديث الشريف الذي يرويه أبو هريرة عن رسول الله– صلى الله عليه وسلم–أنه قال :" قال الله عزوجل : { كذبني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يكذبني وشتمني ابن آدم ولم يكن ينبغي له أن يشتمني أما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني . أو ليس أول الخلق بأهون علي من إعادته وأما شتمه إياي فقوله : إتخذالله ولداً وأنا الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوا أحد }"[3] .

---

[1] – سورة الدخان الآيات ٣٤-٣٧

[2] – سورة الحاقة الآيات ٤-٨ .

[3] –كتاب السنن الكبرى تصنيف الإمام أحمد النسائي تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ،وسيد حسن،كتاب الجنائز،باب أرواح المؤمنين ،ص٦٦٦ ،رقم ٢٢٠٥ ،ج١ ،دار الكتب العلمية ،بيروت١٩٩١ م .

الخاتمة والنتائج

بعد هذا العرض للجزاء عند المتكلمين المسلمين وكذلك عند الفلاسفة المسلمين في المشرق والمغرب توصلت إلى النتائج التالية :

١-إن الصلة بين الجزاء والبعث وثيقة، وأن أحدهما مترتب على الآخر ، لذا فمن أنكر البعث فقد أنكر الجزاء بلا نقاش ،فلا جزاء دون بعث .

والجزاء مشتمل على النعيم والعذاب وهو أنواع ، فمنه ما هو روحاني (معنوي) يقع على الروح دون الجسد ومنه ما هو جسماني(حسي) يقع على الجسد دون الروح ومنه ماهو جسماني روحاني واقع على الإثنين معاً .

فمنهم من أثبت الجزاء الروحي وحده ومنهم من أثبت الجزاء الحسي فقط ومنهم من أثبت الإثنين معاً .

فمن أنكر أحدهما فقد خالف الصواب وجانبه ومن أثبتهما فقد أصاب صريح الآيات والأحاديث .

والإيمان بالبعث والجزاء له أثر كبير وواضح على سلوك الفرد في المجتمع ، لقوله تعالى:﴿ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًاۚ وَهُوَ ﴾[1] .

٢- إن الإيمان بالبعث والجزاء جزء من الإيمان بالغيب الذي هو ركن من أركان الإيمان وهذا ما أتت به الديانات السماوية جميعها، والذي يقودنا إلى أنه لاخلاف بين الديانات السماوية في هذا الاعتقاد،إلا ما دخله التحريف .

٣-الثواب والعقاب في الهندوسية يرتبط بقانون (الكارما) أو قانون الجزاء، وهو قانون ملخصه أنه ليس في الكون مكان يفر المرء إليه من جزاء أعماله، ويجب أن يحاسب عليها في الثواب والعقاب طبقاً لناموس العدالة الصارم، وحيث لا يتم جزاء الإنسان في الحياة الحاضرة فقد قالوا بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء على الروح في الحياة القادمة ، وبذلك يتم العدل الإلهي ،حسب اعتقادهم.

٤- إن الحساب (الثواب والعقاب) لدى المصريين القدماء تسبقه محاكمة تعقد في قاعتين أو قاعة مزدوجة ويتصدر القاعة الإله العظيم "أوزيريس" الذي هو نفسه "سيد الآخرة" جالساً على عرشه وعن يمينه ملكان ، ثم يواجههما صفان من القضاة المحكمين يبلغ عددهم إثنين وأربعين ، وأمام هؤلاء ينكر المتوفى إثنين وإربعين ذنباً لم يقترفها في حياته، وفي وسط قاعة الحق "ماعت" وهو (إلهة الحق والعدل في تصورهم) يقوم الميزان العظيم، الذي يقف عليه عدة أرباب أو ملائكة كل

[1] – سورة البقرة الآية ٣

واحد منهم موكول إليه مهمة محددة، فأحدهم يهتم بضبط الميزان نفسه بدقة متناهية ، والآخر يعمل على تنفيذ الحكم الفوري الصادر ضد المذنب وقبل ذلك يسجل ملك عظيم نتيجة الوزن أي الحساب الدقيق. كما يحضر عملية الحساب هذه ملك آخر نائباً عن المتوفى نفسه وعلى إحدى كفتي الميزان توضع ريشة، تمثل الصدق والعدل والنظام.

٥- إن الجزاء البرزخي هو ما يكون من عذاب ونعيم للإنسان بعد موته إلى يوم القيامة فيسمى الجزاء في الموت إلى البعث. و أنكر كثير من المعتزلة ومنهم الجبائي سؤال الملكين (منكر ونكير) في القبر .

٦-إن الفرق الإسلامية متفقة على مايعرف بالجزاء الأخروي ولكن ماوقع من خلاف إنما كان في السؤال التالي: هل هو واقع على الجسد والروح أم على الجسد أم على الإثنين معاً .؟

٧- للأنسان ثلاثة دور:

دار الدنيا: فالعذاب والنعيم على الجسد والروح يتبع له.

ودار البرزخ :فالعذاب والنعيم على الروح و الجسد يتبع له .

وأما دار الآخرة: فالعذاب والنعيم على الروح والجسد معاً وهو قول الجمهور.

٨- إن الجنة والنار موجودتان الآن على الراجح ولم يقول بخلاف هذا إلا المعتزلة ،وأنهما خالدتان لاتفنيان، ولم يقل بفنائهما إلا الجهمية من الفرق ومن المعاصرين قال القرضاوي بفناء النار .

٩- إن الميزان يوم القيامة حق وهو ميزان حقيقي وله كفتان توزن به صحائف أعمال العباد . وأن الشفاعة حق للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ومنها ماهو متفق عليه عند المتكلمين ومنها ماهو مختلف فيه . وأن الصراط حق وأنه جسر ممدود على متن جهنم أما القنطرة فهي التي تكون على متن الجنة يُنقى من خلالها أهل الجنة .

وأما رؤية الله تعالى يوم القيامة فهي ثابتة للمؤمنين وإنعام عليهم، وهي محجوبة عن الكافرين وأنها ليس ممكنة في الدنيا .وأما كلام الله تعالى لعباده يوم القيامة فثابت .

١٠- إن فلاسفة المشرق ابن سينا والفارابي وفلاسفة المغرب ابن طفيل وابن رشد يقولون إن البعث والجزاء إنما هو روحاني وليس جسماني وكل ماورد به الشرع إنما هو على سبيل التمثيل والتقريب لا أكثر بينما نجد أن الكندي يؤمن إيماناً تاماً بأن الجزاء إنما يكون حسي معنوي ،وكما نجد الفيلسوف ابن باجة ينكر البعث والجزاء مطلقاً .

وفي الختام أرجو أن أكون قد وفقت في عرض مفردات هذا الموضوع المهم في العقيدة الإسلامية والذي يتناول مسألةً من مسائل السمعيات المتعلقة بالبعث والجزاء وقد طوّفنا فيها بين فرق المتكلمين وطبقات الفلاسفة في المشرق والمغرب، حتى تتضح الآراء المطروحة حولها بجلاء، وحتى يستبين للمسلم المعاصر مادار حول هذه المسالة من نقاش وجدل كبيرين.

أسأل الله العليم الحكيم أن أكون قد وفقت فيما قدمت من بحث وجهد سائلاً إياه أن يكون بحثاً مفيداً لطالب العلم ، وأن كان فيه من خطاء فمني لأن الكمال لله وحده .

والله تعالى هو الموفق إلى سواء السبيل .

قائمة المصادر والمراجع

١– أرمان: أدولف أرمان،ديانة مصر القديمة، نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة الآف سنة، ترجمة د.عبد المنعم أبو بكر، و د. محمد أنور شكري، الطبعة الأولى، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر١٩٩٥م.

٢– أرثون: هنري أرثون، البوذية، ترجمة هنري زغيب، المنشورات العربية.

٣– أسود:عبدالرزاق أسود،المدخل لدراسة الأديان والمذاهب ، الدار العربية للموسوعات، لبنان، ط١، ١٩٨١.م

٤– الأحمد: سامي سعيد الأحمد، الأصول الأولى لأفكار الشر والشيطان ، بغداد، مطبعة الجامعة ١٩٧٠م.

٥– أباحي:عبد الله أباحي، المذهب الروحاني ، ١٩٦٦م .

٦–أرسطو كتاب النفس ، ترجمة د. وأحمد الأهواني ، ط٢،دار إحياء الكتب العربية ، القاهرة ، ١٩٦٢ م .

٧– إبراهيم: محمد إسماعيل إبراهيم، القرآن الكريم وإعجاز ه العلمي،دار الفكر العربي القاهرة١٩٨١م

٨– الإيجي :القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام. دار الجيل بيروت،ط١ ، ١٩٩٧م

٩– الامام احمد، مسند الامام احمد، تحقيق شعيب الأرناؤوط، بن عمر،مؤسسة الرسالة ،ط٢ ، ١٩٩٩ م

١٠– الآمدي:سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي ابن محمد ،ابكار الافكار في اصول الدين ، تحقيق أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية بيروت ط١، ٢٠٠٣م .

١١– الآجري:الإمام ابو بكر محمد بن الحسين الآجري ، الشريعة ، تحقيق د. عبد الله الدميجي، ٤اجزاء، الرياض دار الوطن للنشر ١٩٩٧ .

١٢– اصيبعة: ابن ابي اصيبعة ،عيون الانباء في طبقات الاطباء ،ج٢.

١٣– الأصبهاني :الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ، صفة الجنة ، تحقيق علي رضا عبد الله .

١٤– الأشعري:علي بن إسماعيل الأشعري أبو الحسن .

١–الإبانة عن أصول الديانة، تحقيق بشير عيون، مكتبة دار البيان ،دمشق ط٤ ، ١٩٩٩م

٢–رسالة إلى أهل الثغر، تحقيق عبد الله شاكر الجنيدي، مكتبة العلوم والحكم دمشق ،ط ١ ، ١٩٨٨م

٣–مقالات الإسلاميين وإختلاف المصلين ،تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ،مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٧ م

١٥– ابن الأثير:مجد الدين ابو السعادات المبارك بن محمد الجزري(٥٤٤–٦٠٦هـ) ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناجي ،ط٢ ، دار الفكر بيروت١٩٧٩م .

١٦– الآلوسي: أبو الفضل شهاب الدين ابو الثناء محمود بن عبد الله (١٢١٧–١٢٧٠هـ) .

١– الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ط٣،المكتب الاسلامي بيروت ،١٩٨٢م.

٢– روح المعاني ، تحقيق علي عبد الباري عطية ط١ ،دار الكتب العلمية بيروت

١٧– البيجوري: الشيخ إبراهيم محمد الشافعي البيجوري، تحفة المريد، شرح جوهرة التوحيد للشيخ برهان الدين اللقاني ، ضبط وتصحيح عبدالله محمد الخليل،ط١.

١٨- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري في الجامع الصحيح المختصر ،بيروت ،ط٣،دار ابن كثير،١٩٨٧ م.

١٩- بيصار : محمد بيصار ،فلسفة ابن رشد، الوجود والخلود ، دار الكتاب اللبناني، بيروت،ط٣ ،١٩٧٣م

٢٠- بور: دي بور، تاريخ الفلسفة في الاسلام، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريدة،ط٤،لجنة التأليف والنشر،القاهرة ١٩٥٧م

٢١- البغدادي: أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي،اصول الدين ، تحقيق ، أحمد شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٢ م.

٢٢- الباقلاني:محمد ابو بكر الباقلاني،الإنصاف فيما يجب الاعتقادبه ولا يجوز الجهل به ،تحقيق محمد زاهد الكوثري ،مؤسسة الخانجي، القاهره ١٩٦٣ م

٢٣- البخاري: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري (بشرح ابن حجر العسقلاني)، مراجعة قصي محب الدين الخطيب،دار الريان للتراث القاهرة ، ط١ ، ١٩٨٧م .

٢٤- البيهقي :ابو بكر احمد بن الحسن (٣٨٤-٤٥٨هـ)، إثبات عذاب القبر ، تحقيق شرف القضاة ، دار الفرقان عمان الاردن ١٩٨٣م .

٢٥- البخاري:أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، دار طوق النجاة ١٤٢٢هـ تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر

٢٦- البيضاوي :أبو سعيد الشيرازي البيضاوي ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، دار الفكر.

٢٧- البغدادي:أبو منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي، الفرق بين الفرق، تحقيق محمد محيي الدين،دار الكتب العلمية

٢٨- الباقلاني:محمد ابو بكر الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، تحقيق عماد الدين أحمد بن صدر، ط١ مؤسسة الكتب الثقافية ،بيروت ١٩٨٧م.

٢٩- البيهقي: للحافظ أبي بكر البيهقي، كتاب البعث والنشور ، تحقيق الشيخ عامر أحمد حيدر ،مركز الخدمات والأبحاث الثقافية، ط١، ١٩٨٦م.

٣٠- البيهقي: أبو بكر البيهقي، الجامع لشعب الإيمان ، تحقيق دعبدالعلي حامد مكتبة الرشد للنشر والتوزيع،السعودية، ط١ ، ٢٠٠٣ م

٣١- البغوي :أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي [المتوفى ٥١٦ هـ] معالم التنزيل المسمى تفسير البغوي ، تحقيق ، وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ١٩٩٧ م

٣٢- الباقلاني :محمد ابو بكر الباقلاني الإنصاف فيما يجب الاعتقادبه ولا يجوز الجهل به ،تحقيق محمد زاهد الكوثري ، مؤسسة الخانجي القاهرة ١٩٦٣م.

٣٣- البقرى :عبد الدايم أبو العطا البقرى الأنصاري ،أهداف الفلسفة الإسلامية نشأتها وتطورها ،١٩٤٨م

٣٤- التميمي: مهدي حسين التميمي، موسوعة مقارنة الأديان السماوية ، دار أسامة للنشر والتوزيع ،عمان، الأردن، ٢٠٠٥م.

٣٥- ابن تيمية: تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيميه،(٦٦١-٧٢٨هـ)

١- شرح العقيدة الواسطية ، شرح محمد خليل الهراس، المكتبة السلفية المدينة المنورة١٩٦٦م ط٣.

٢- السنة النبوية ، تحقيق محمد رشاد سالم ،مؤسسة قرطبة ١٤٠٦ هـ .

٣- الصفدية ، تحقيق محمد رشاد سالم،دار الهدي النبوي، المنصورة، ط٢ ، ٢٠٠٠م-١٤٠٦ هـ

٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، المؤسسة السعودية، القاهرة١٩٥٩م.

٥-رسالة الفتوى الحموية الكبرى ويليها الرسالة المدنية في تحقيق المجاز والحقيقة في صفات الله - تعالى - تعليق عبد الرزاق حمزة ، مطبعة المدني

٣٦- التفتازاني:سعد الدين التفتازاني،

١- المقاصد ، تحقيق إبراهيم شمس الدين دار الكتاب العلمية ،بيروت ٢٠٠١ م

٢-شرح العقيدة النسفية ، تعليق عبد السلام شنار ، ط١، دار عبد الهادي ٢٠٠٧م

٣- شرح المقاصد ، تحقيق عبد الرحمن عميرة ، تصدير صالح موسى شرف،ط٢، عالم الكتب ١٩٩٨ م

٣٧- الترمذي: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة :الجامع الصحيح (سنن الترمذي) ، تحقيق، أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي – بيروت

٣٨- التهانوي: محمد علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون ، تحقيق احمد بسج ، دار الكتب العلمية ،بيروت ١٩٩٠ م .

٣٩- الثعالبي :عبد الرحمن بن مخلوف الثعالبي ، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، ج١ ،ص٥٤٨-٥٤٩،مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت .

٤٠- الجنابي :مراد الجنابي ، الحوض والصراط والميزان في القرآن الكريم ،دار الكتب العلمية.

٤١- جمعة :جمال سعد محمود جمعه.حقيقة المعاد بين الدين والفلسفة، ط١ ،١٩٩٧م.

٤٢- الجرجاني :السيد الشريف الجرجاني ، شرح المواقف ،القاضي عضد الدين الايجي ، ضبط وتصحيح محمود الدمياطي ، ط١ ، دار الكتب العلمية بير وت ١٩٩٨م

٤٣- جراجرة :عمر موسى جراجرة ،منهج المتكلمين في اثبات اليوم الآخر وأحداثه ، رسالة ماجستير،جامعة آل البيت ١٩٩٩م .

٤٤- الجويني: إمام الحرمين عبد الملك بن عبد الله بن يوسف:

١-العقيدة النظامية في الأركان الاسلامية ، تحقيق محمد زاهد الكوثري المكتبة الازهرية للتراث ١٩٩٢م.

٢-الإرشاد إلى قواطع الإدلة في أصول الاعتقاد، تحقيق أسعد تميم ،مؤسسة الكتب الثقافية ،ط١ ،١٩٨٥م

٣- لمع الأدلة في قواعد أهل السنة والجماعة ، تحقيق د. فوقيه حسين محمود ، الدار القومية القاهرة ١٩٦٥م

٤٥- جينكر : روز هيريت جينكر ، الديانة اليونانية القديمة ، ترجمة رمزي عبده جرجس ، دار النهضة مصر ، ١٩٦٥م

٤٦- الجوهري:إسماعيل بن حماد الجوهري (ت٣٩٣هـ). الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية. تحقيق أحمد عبد الغفور عطار،دار العلم للملايين ط،١٩٨٤م

٤٧-حجازي:عوض الله جاد حجازي ،مقارنة الأديان بين اليهودية والإسلام ،ط٢،دار الطباعة المحمدية.

٤٨- حقي: أحسان حقي، منوسمرتي، كتاب الهندوس المقدس، تعريب وتعليق أحسان حقي، ط١، دار اليقظة العربية، دمشق، ١٩٧٠م.

٤٩- حميد: فوزي محمد حميد، عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، ط٢، منشورات جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، طرابلس، ليبيا١٩٩٩م.

٥٠- ابن حزم: أبو محمد علي بن عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد، الفصل في الملل والنحل، ط٢، دار المعرفة ، بيروت، ١٩٧٥م

٥١- أبو حيان: أثير الدين أبو حيان الأندلسي ، البحر المحيط ، دار الفكر ، ط٢ ،١٩٨٣م

٥٢- الحلي: جمال الدين بن المطهر الحلي (٦٤٨-٧٢٦هـ)،كشف المراد في شرح تجريد الاعتقاد، مكتبة المصطفوي،قُم إيران.

٥٣- الحازمي:الشريف عبد الله بن علي الحازمي ، دراسات عقدية في الحياة البرزخية ، دار ابن حزم بيروت ٢٠٠٤م

٥٤- ابن حجر:أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الإصابة في تمييز الصحابة ، دار إحياء التراث العربي،بيروت لبنان،ط ١ ،١٣٢٨هـ

٥٥- الحراصي: سلطان محمد الحراصي،الشفاعة الأخروية "راسة عقائدية"، رسالة ماجستير،عمان الأردن ،جامعة آل البيت،٢٠٠٢م .

٥٦- الحيني: محمود جابر الحيني، في العقائد والأديان والديانات الكبرى المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للنشر، القاهرة، ١٩٧١ م.

٥٧- الخطيب: محمد احمد الخطيب، مقارنة الأديان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٨م، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن.

٥٨- الخزرجي : أحمد الخزرجي ، مقامع الصلبان ، تحقيق عبد المجيد الشرفي ،تونس١٩٧٥م

٥٩- ابن خلكان :ابو العباس احمد بن الاربلي(٦٠٨-٦٨١هـ) وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، دار المأمون، القاهرة ١٩٣٦م .

٦٠- ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد الحضرمي، مقدمة ابن خلدون ، تصحيح وفهرسة ابو عبدالله

السعيد المندوه ، ،مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت.

٦١- الخازن:علي بن محمد الشهير بالخازن، تفسير الخازن المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل ،مطبعة مصطفى البابي الحلبي،مصر ،ط٢ ،١٩٥٥ م

٦٢- خلكان: ابن خلكان، وفيات الاعيان ، ج٤ ،مكتبة النهضة المصر ية القاهرة ١٩٤٨م

٦٣- دراز : محمد عبد الله دراز ،دستور الأخلاق في القرآن ،مؤسسة الرسالة
الطبعة العاشرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م

٦٤- الدوري :قحطان الدوري، أصول الدين الأسلامي، ط١،دار الفكر عمان ١٩٩٦ م.

٦٥- دنيا: سليمان دنيا ، الحقيقة في نظر الغزالي ، دار احياء الكتاب العربية ،مصر القاهرة ١٩٤٧م.

٦٦- الدارمي : عثمان عثمان الدارمي ،الرد على الجهمية، تحقيق زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط٤، ١٩٨٢

٦٧- ديورانت : ويل ديورانت ، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب محمود،دار الجيل بيروت،١٩٨٨م.

٦٨- أبو دقيقة:محمود أبو دقيقة ، القول السديد في علم التوحيد ، تحقيق د. عوض جاد حجازي، الأدارة العامة لإحياء التراث ،ط١، ١٩٩٥م

٦٩- الذهبي:شمس الدين ابو عبد الله محمد ابن احمد الذهبي،سير أعلام النبلاء ، تحقيق مجموعة بأشراف شعيب الارنؤوط.

٧٠- أبو رحمة: محمد أبو رحمة،الإسلام والديانة المصرية القديمة، دراسة مقارنة، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ٢٠٠٥م.

٧١- الركابي: صادق عبد علي الركابي، لمحات عن أديان العالم، ط١، ، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر ٢٠٠٧م.

٧٢- ابن رشد: أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد القرطبي، (٥٢٠-٥٩٥هـ)، الكشف عن مناهج الإدلة في عقائد الملة ، تقديم محمد عابد الجابري، ط٣ ، مركزدراسات الوحدة العربية ،بيروت ،٢٠٠٧م

٧٣- الراغب الأصفهاني: أبو القاسم الحسين بن محمد

١-تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين ، مراجعة أحمد حسين كعكو المطبعة العربيه ،حلب

٢-مفردات الفاظ القرآن ، تحقيق صفوان داودي، دمشق دار القلم ،ط١ ،١٩٩٢م.

٣-المفردات في غريب القرآن، ص١٦٨ تحقيق: محمد سيد كيلاني طبعة الحلبي ،القاهرة ،١٣٨١ هـ

٧٤- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين:

١-الاربعين في اصول الدين ، ط١، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، الهند ، ١٣٥٣ هـ.

٢- الشفاعة العظمى يوم القيامة، تحقيق أحمد حجازي أحمد السقا،ط١،مطبعة التضامن القاهرة ١٩٨٨م

٧٥- الرازي:محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي،مختار الصحاح ، تدقيق ،عصام فارس الحرستاني ،دار الفجر الجديد، ط١ ،١٩٩٦م

٧٦- ابن رجب:الحافظ بن رجب الحنبلي ، أهوال القبور وأحوال أهلها إلى النشور ، تحقيق محمد زغلول ،دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٩٨٥ م

٧٧- الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي ،الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الاقأويل في وجوه التأويل، دار الفكر بيروت.

٧٨- الزيدي :القاسم بن محمد الزيدي المعتزلي ، الاساس في عقائد الاكياس ، تحقيق البير نصري ، ط١ ، دار الطليعة، بيروت ، ١٩٨٠م .

٧٩- السالمي: نور الدين العماني، غاية المراد في نظم الاعتقاد، تعليق ابو راس عبد الله بن محمد الكاملي، المطبعة الجزائرية الاسلامية.

٨٠- السعد :جودت السعد ، الشخصية اليهودية عبر التاريخ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،١٩٨٥م .

٨١- سيرموريس : بورا سيرموريس ،التجربة اليونانية ، ترجمة أحمد سلامة ، الهيئة المصرية العامة ،القاهرة ١٩٨٩م

٨٢- ابن سينا: أَبُو عَلِيٍّ الحُسَيْنُ بنُ عَبْدِ اللهِ البَلْخِيُّ :

١ - كتاب النجاة ، ط٢،مكتبة مصطفى البابي الحلبي ، مصر،١٩٣٨م

٢ -رسالة أضحوية في أمر المعاد ، ،تحقيق سليمان دنيا ، ط١ ،١٩٤٩ م

٣ - الاشارات والتنبيهات، شرح نصير الدين الطوسي، تحقيق سليمان دنيا،القسم الاول،دار المعارف القاهرة ١٩٧١م.

٤ - الشفاء، تحقيق محمد يوسف موسى وآخرون ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٩٦٠م

٥ -تسع رسائل في الحكمةوالطبيعيات،مطبعة هندية بالموسكي ١٩٠٨م.

٦ -رسالة في معرفة النفس الناطقة واحوالها ،تحقيق د. احمد فؤاد الاهواني ، القاهرة ١٩٥٢م .

٨٣- السيد: عزمي طه السيد وآخرون

١ - تطور الفكر الفلسفي ، مطبوعات جامعة الإمارات العربية ، ١٩٩١م

٢ - مدخل الى مناهج البحث عند العلماء المسلمين، لطلبة الدراسات العليا، ،جامعة آل البيت ،١٩٩٧م.

٨٤- السيوطي:جلال الدين ابو الفضل عبد الرحمن بن ابي بكر الخضيري (٨٤٩-٩١١هـ) .

١ - الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الناشر مصطفى البابي الحلبي القاهرة ،١٣٠٦هـ

٢ - جامع الأحاديث للمسانيد والمراسيل، مطبعة محمد هاشم الكتبي دمشق ،١٩٨٠م.

٨٥- السفاريني: شمس الدين ابو العون السفاريني الحنبلي (ت١١٨٨هـ)، لوامع الانوار البهية وسواطع الاسرار الاثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرقه المرضية ، ط٢ ، مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق ١٩٨٢م.

٨٦- السجستاني: سليمان بن الأشعث السجستاني سنن ابي داود ،دار الكتاب العربي . بيروت.

٨٧- السعدي: عبد الملك السعدي، شرح العقيده النسفية في العقيدة الإسلامية،مطبعة الأزهر،، الأردن ، ط٢، ٢٠٠٨م

٨٨- السعدي: جميل بن خميس السعدي، قاموس الشريعة الحاوي طرقها الوسيعة، وزارة التراث القومي،سلطنة عُمان ١٩٨٣ م

٨٩- أبو السعود: محمد بن محمد العمادي أبو السعود (تفسير أبي السعود) إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم ، دار إحياء التراث العربي - بيروت

٩٠- شلبي:أحمد شلبي،

١ -أديان الهند الكبرى، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،١٩٦٦م .

٢-اليهودية ، دار النهضة المصرية ط٦ ، ١٩٨٣م

٩١- الشنتناوي:أحمد الشنتناوي،الحكماء الثلاثة، دار المعارف، مصر ١٩٥٣م.

٩٢- شبل: فؤاد شبل، البوذية، دار المعارف ، مصر، ١٩٧٣م.

٩٣- الشوكاني : الإمام محمد بن علي الشوكاني ، إرشاد الثقات إلي إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات ، دار الكتب العلمي بيروت ١٩٨٤.م

٩٤- الشعراوي: محمد متولي الشعراوي (١٩١١-١٩٩٨م) الدار الآخرة ، ط٢ مكتبة التراث الاسلامي القاهرة ٢٠٠١م.

٩٥- بن أبي شيبة: أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي مصنف ابن ابي شيبة ، المصنف في الأحاديث والآثار، ،تحقيق كمال يوسف الحوت ، مكتبة الرشد - الرياض

٩٦- الشمالي: عبده الشمالي، دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها ، ط٤،دار صاد،ربيروت ١٩٦٥ م

٩٧- شرف :صالح موسى شرف ، مذكرات التوحيد ، ط٥، المطبعة الفاروقية الحديثة ، ١٩٥٠م

٩٨- شورن:جاك شورن، الموت في الفكر الغربي ، ترجمة يوسف حسين ، ط٢، دار الفارس عمان ،٢٠٠٠م

٩٩- الشيخ : أحمد حسن الشيخ ، تحضير الأرواح ، جروس برس .

١٠٠- الشهرستاني: الإمام ابو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني(٤٧٩-٥٤٨هـ) :

١- الملل والنحل ، تحقيق محمد سيد كيلاني،دار المعرفة - بيروت ،١٤٠٤هـ)

٢-نهاية الاقدام في علم الكلام ، تحقيق الفرد جيوم ،مكتبة المتنبي بغداد ١٩٦٠م .

١٠١- الضحاك:أبو القاسم ويقال أبو محمد ابن مزاحم الهلالي(ت ١٠٥ هـ)، تفسير الضحاك، ج٢، تحقيق محمد شكري الزوايتي ط١ دار السلام مصر

١٠٢- الطبرسي:أبو علي الفضل بن الحسن،مجمع البيان تفسير القرآن ، دار المعرفة ، بيروت ١٩٨٦.م

١٠٣- الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير،جامع البيان في تفسير القرآن ، دار المعرفة ، ط٤ ،١٩٨٠م

١٠٤- الطوسي: محمد بن الحسن الطوسي ، الإقتصاد فيما يتعلق بالاعتقاد، مقدمة لجنة التحقيق في جمعية منتدى النشر في النجف الأشرف ، مطبعة الآدب النجف الأشرف ١٩٧٩م

١٠٥- الطبراني: سليمان بن أحمد الطبراني،المعجم الكبير، تحقيق طارق عوض وعبد المحسن،ط١، دار الحرمين القاهرة ١٩٩٥ م

١٠٦- الطالبي:عمار الطالبي ، آراء الخوارج ، ط١،دار المكتب المصري الحديث ١٩٨٥ م

١٠٧- ابن طفيل، ابو بكر محمد بن عبد الملك، رسالة حي بن يقظان ،

١٠٨- الطوسي:ابو جعفر محمد الطوسي (٣٨٥-٤٦٠هـ) التبيان في تفسير القرآن الكريم ، تحقيق أحمد حبيب قيصر العاملي،النجف مكتبة القيصر ١٩٦٣م

١٢٥- عبد المقصود :أ.د . عبد المقصود حامد عبد المقصود .

١-دراسات في الفلسفة العامة ،مطبعة رشوان،القاهرة ٢٠٠٠م.

٢-اليهودية بين التنزيه والتشبيه في ضوء الاسلام ،مطبعة رشوان،القاهرة ٢٠٠١م .

٣-أثر كتاب اثولوجيا على ابن سينا في الالهيات ،رسالة دكتوراة ،كلية اصول الدين ،الازهرالشريف،القاهرة ،إشراف د.صلاح عبد العليم ابراهيم .

١٠٩- العريبي: محمد العريبي، الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

١١٠- عنايت: عمر عنايت، العقائد ، دار العصور للطبع، ١٩٢٨م.

١١١- العقاد: عباس العقاد، المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس العقاد ، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٤م .

١١٢- عبد الله: علي عبد الهادي عبد الله، النص الرشدي في القراءه الفلسفة العربية المعاصرة، ،ط١ ،بيروت دار الهادي/٢٠٠٥م

١١٣- عبده، محمد عبده، رسالة التوحيد ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح القاهره ١٩٦٥م

١١٤- عبدالرازق: مصطفى عبدالرازق، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية، القاهرة ١٩٥٩م .

١١٥- عبد الجبار القاضي عبد الجبار المعتزلي.

١- نظرية التكليف ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ١٩٧١م .

٢- فضل الإعتزال وطبقات المعتزلة ، تحقيق فؤاد سيد ،ط١،الدار التونسية للنشر

٣- شرح الأصول الخمسة ، تعليق الإمام احمد بن الحسين ،تحقيق د. عبدالكريم عثمان ،مكتبه وهبه القاهره ،ط٣ ، ١٩٩٦م.

٤- متشابه القرآن ،تحقيق عدنان زرزور،دار التراث .

١١٦- ابن أبي العز: علي بن علي بن أبي العز الدمشقي، شرح العقيدة الطحاوية ، تحقيق عبد السلام شنار،ط١، دار ابن عبد الهادي ٢٠٠٥م .

١١٧- العسقلاني:ابن حجر شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي الكناني (٧٧٣-٨٥٢هـ)، التهذيب ، تحقيق محمد عوامة ،دار الرشيد دمشق ،ط٢ ، ١٩٩٧م

١١٨- عبد القادر: محمد احمد عبد القادر، عقيدة البعث والآخرة في الفكر الإسلامي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية ، ١٩٨٥م .

١١٩- عواجي:غالب علي عواجي .

١-فرق معاصرة ،تنتسب الى الاسلام وبيان موقف الاسلام منها ، ط٣ دار لينة،دمنهور،١٩٣٨م.

٢- الخوارج تاريخهم وأراءهم الإعتقادية وموقف الإسلام منها،رسالة ماجستير .

١٢٠- العلي :خالد العلي ، جهم بن صفوان ومكانته في الفكرالإسلامي ، مطبعة الرشاد بغداد ١٩٦٥ م

١٢١- العكري:لابن العماد العكري ابو الفلاح عبد الحي بن احمد(١٠٣٢-١٠٨٩هـ) شذرات الذهب في اخبار من ذهب،ط٢ دار المسيرة بيروت١٩٧٩م

١٢٢- العراقي :د.عاطف العراقي ،الفلسفة العربية والطريق الى المستقبل رؤية عقلية نقدية ، دار الرشاد ، القاهرة ، ط٤، ٢٠٠٢م

١٢٣– العتوم :الليث صالح محمد عتوم ،حي بن يقضظان في الفكر الفلسفي الاسلامي ،رسالة دكتوراة إشراف أ.د محمد صلاح عبده ، جامعة العلوم الاسلامية العالمية،عمان الاردن ،٢٠١٠م.

١٢٤– عبد الحليم محمود، فلسفة ابن طفيل ورسالة حي بن يقظان ، ،ط٢ ،مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة .

١٢٦– عبيد : رؤوف عبيد

١– مطول الانسان روح لاجسد :الخلود ،العقل ،الاعتقادفي ضوء العلم الحديث، ط٣، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧١ م

٢– في العودة للتجسيد بين الاعتقادوالفلسفة والعلم ، دار الفكر العربي ، القاهرة ،١٩٧٦م .

١٢٧ الغَزَّالِي: الشيخ مُحَمَّدُ الغزالي،عقيدة المسلم ، دار البيان الكويت ١٩٧٠م .

١٢٩ الغَزَّالِي: أَبُو حَامِد مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد (٤٥٠–٥٠٥هـ)

١– تهافت الفلاسفة، تحقيق سليمان دنيا ،دار المعارف ،مصر ١٩٥٥ م

٢–المنقذ من الضلال ، تصحيح محمد محمد جابر ،مكتبة الجندي القاهرة.

٣–الجام العوام عن علم الكلام ، تحقيق سميح دغيم ، ط ١ ،دار الفكر بيروت ١٩٩٣م

٤–الاقتصاد في الاعتقاد، ط١، دار الكتب العلمية ١٩٨٣ م.

٥–احياء علوم الدين، ط٣ ،دار الخير بيروت، ١٩٩٤م.

٦–معارج القدس في مدراج معرفة النفس ، ،تحقيق لجنة إحياء التراث العربي ،دار الآفاق بيروت ،ط٥ ،١٩٨١م

٧–ميزان العمل .

١٣٠– غرابة: حمودة غرابة، ابن سينا بين الدين والفلسفة ، مجمع البحوث الاسلامية،القاهرة،١٩٧٢م

١٣١– ابن فارس: أبي الحسين بن فارس ،معجم مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون،دار الجيل ط١

١٣٢– الفيروز أبادي : تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ط٢، المطبعة الأزهرية، مصر .

١٣٣– الفاروقي : إسماعيل الفاروقي ،الملل المعاصرة في الدين اليهودي، معهد البحوث ١٩٦٨م.

١٣٤– فخري : ماجد فخري ، تاريخ الفلسفة الإسلامية ، ترجمة كمال اليازجي ، دار المتحدة ١٩٧٤ م

١٣٥– فؤاد، عبد الفتاح احمد فؤاد

١– الإمام الزيدي أحمد بن سليمان وأراؤه الكلامية،عبد الفتاح احمد فؤاد، دار الدعوة الاسكندرية ١٩٨٧م.

٢– فلاسفة الإسلام والصوفية وموقف أهل السنة منهم.

٣– الفرق الإسلامية وأصولها الإيمانية ، دار الوفاء للنشر والتوزيع ٢٠٠٣م.

١٣٦– الفيروزآبادي: محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط ، ط٢ ،مطبعة ومكتبة البابي القاهرة ،مصر ،١٩٥٢م

١٣٧– الفارسي:علاء الدين علي الفارسي، الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ، تحقيق شعيب الارناؤوط مؤسسة الرسالة بيروت، ط١ ١٩٨٨م

١٣٨– أبو الفداء: إسماعيل القرشي الدمشقي ، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق سامي بن محمد سلامة، دار طيبة لنشر١٩٩٩ م

١٣٩– فخري ماجد فخري،رسائل ابن باجة الإلهية ، دار النهار بيروت .

١٤٠– الفروخ :عمر الفروخ ،ابن باجة والفلسفة المغربية ، ط٢،مكتبة منيمنة ،بيروت١٩٥٢م

١٤١– عبده فراج: معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، فلسفة إسلامية ومسيحية ، ط١ ،(١٣٨٩هـ ١٩٦٩م) مكتبة الانجلو المصرية

١٤٢– الفارابي: أَبُو نَصْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ طَرْخَانَ .

١–كتاب أراء أهل المدينة الفاضلة ، شرح وتقديم إبراهيم جزيني ، دار القاموس الحديث بيروت .

٢– إحصاء العلوم ، مطبعة السعاده القاهرة ١٩٣١م

٣–كتاب السياسة المدنية الملقب بمبادئ الموجودات ، ،ترجمة فوزي متري نجار، دار المشرق للنشر بيروت ، ط٢ ، ١٩٩٣ م

١٤٣– ابن الفراء: القاضي محمد بن أبي يعلى ابن الفراء محمد بن الحسين (٣٨٠–٤٥٠هـ) ، طبقات الحنابلة ، دار المعرفة بيروت ١٩٥٣م .

١٤٤– قطب: سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن الكريم، ط٩، دار المعارف، القاهرة، مصر.

١٤٥– قطب:سيد قطب ، في ظلال القرآن، ط٥ ،دار الشرق،بيروت،١٩٧٧ م

١٤٦– قطب: محمد قطب، دراسات قرآنية ، دار الشروق ،بيروت، ١٩٨٠م

١٤٧– القدسي:كمال الدين محمد بن محمد القدسي ، المسامرة بشرح المسايرة ، مطبعة السعادة ، مصر .

١٤٨– القرطبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري

١ – التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة، تحقيق أحمد حجازي السقا، دار الكتب العلمية، بيروت .

٢–الجامع لأحكام القرآن ، صححه وأعتنى به هشام سمير البخاري حققه أحمد عبد العليم البردوني دار إحياء التراث بيروت.

١٤٩– القرطبي:أبو العباس أحمد بن عمر القرطبي، المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم ، ط١ ، دار ابن كثير بيروت ١٩٩٦ م.

١٥٠– القسطلاني:شهاب الدين ابو العباس احمد بن محمد المصري(٨٥١–٩٢٣هـ) إرشاد الساري إلى شرح صحيح البخاري ، دار الفكر بيروت١٩٩٠م .

١٥١– القاضي: الإمام عبدالرحيم بن أحمد القاضي ، دقائق الأخبار في ذكر الجنة والنار ، دار الفكر للطباعة

١٥٢– ابن القيم: محمد بن أبي بكر الزرعي المعروف بابن قيم الجوزية .

١ – إعلام الموقعين عن رب العالمين ، تعليق طه عبد الرؤوف سعد،دار الجيل بيروت١٩٧٣ م

٢ – حادي الأرواح الى بلاد الافراح، دار الكتب العلمية بيروت

١٥٣– القيمي: أبو عبيدة معمر بن مثنى القيمي(ت ٢٠١ هـ)، مجاز القرآن ، علق عليه محمد فؤاد ،مكتبة الخانجي القاهرة.

١٥٤–كاير: جوزيف كاير، حكمة الأديان الحية، ترجمة حسين الكيلاني، مكتبة الحياة، بيروت ١٩٦٤م.

١٥٦–كمونة: سعد منصور بن كمونة اليهودي، تنقيح الأبحاث للملل الثلاث اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الأنصار القاهرة.

١٥٧- الكندي: يعقوب بن إسحاق الكندي، رسائل الكندي الفلسفية ، تحقيق محمد عبد الهادي أبو ريدة،دار الفكر العربي ، ١٩٥٠ م.
١٥٨-الكتاب المقدس : العهد الجديد .
١٥٩- ابن كثير: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ)
١-مختصر تفسير ابن كثير، إختصار وتحقيق محمد علي الصابوني ،مجلد١،دار القرآن الكريم بيروت ،ط٧ ، ١٩٨١م
٢-النهاية في الفتن والملاحم، تعليق أحمد عبد الشافي ، الناشر دار الكتب العلمية ط١، ٢٠٠٧ م
٣-تفسير القرآن العظيم ، أشرف على تصحيحه علي شيري ،ط١ ،دار إحياء التراث العربي بيروت
١٦٠- الكردي: للعارف بالله محمد أمين الكردي الشافعي، تنوير القلوب في معاملة علاّم الغيوب ، ط١، ١٣٨٤هـ
١٦١- الكيلاني: عبد القادر الكيلاني الحسيني (ت٥٦١هـ) ، الغنية لطالبي الحق في الاخلاق والتصوف والاداب الاسلامية ، مكتبة البابي مصر ١٩٥٦م.
١٦٢- الكليني :ابو جعفر محمد بن يعقوب بن اسحاق الكليني الرازي (ت٣٢٩هـ)،الاصول من الكافي ، تصحيح الشيخ محمد ،الاخوندي، دار الكتب الإسلامية ١٣٨٨هـ.
١٦٣-كرم : يوسف كرم ،تاريخ الفلسفة اليونانية ، دار القلم ، بيروت.
١٦٤-كحالة: عمر رضا كحالة (١٩٠٥-١٩٨٧م)، معجم المؤلفين ، المكتبة العربية ،دمشق ١٩٦١م
١٦٥- المنوفي: محمود ابو الفيض المنوفي، الدين المقارن، دارالنهضة ،مصر، القاهرة، ، ١٩٧٠م.
١٦٦- مبارك: صفوت حامد مبارك، مدخل لدراسة الأديان، ١٩٨٧م.
١٦٧- مظهر: سليمان مظهر،قصة الديانات، الطبعة الأولى،دار الوطن العربي، القاهرة،بيروت، ١٩٨٤م.
١٦٨- ابن منظور: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم المصري،لسان العرب ، دار صادر بيروت.
١٦٩- مسلم: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ،ط٢،دار إحياء التراث ،بيروت
١٧٠- الماجدي: خزعل الماجدي، المعتقدات الإغريقية ، ط١،الأصدار الأول،دار الشروق للنشر، عمان ٢٠٠٤م .
١٧١- المعايطة: محمد عبد العزيز المعايطة، الفلسفة الإسلامية ، دار الحامدللنشر ،عمان ،٢٠٠٨م .
١٧٢- ابن ماجه: محمد بن يزيد أبو عبدالله القزويني ،سنن ابن ماجة ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.
١٧٣- المودودي: أبو الآعلى المودودي، الإيمان بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر، دار الخلاقة للطباعه والنشر
١٧٤- محمود :عبد الحليم محمود ، التفكير الفلسفي في الإسلام ، مكتبة الانجلو المصرية القاهرة،١٩٦٤م.
١٧٥- المقدسي: أبو محمد عبد الله بن احمد بن قدامه المقدسي ،لمعة الاعتقادالهادي الى سبيل الرشاد ، تحقيق بدر بن عبد الله البدر المكتب الاسلامي ،ط٤ ،بيروت ١٣٩٥ هـ.
١٧٦- الماتريدي:ابو منصور الماتريدي.

١- كتاب التوحيد، تحقيق فتح الله خليف ،دار المشرق،بيروت ١٩٧٠م .

٢- تأويلات أهل السنة تفسير الماتريدي ، تحقيق ابراهيم عوضين ،المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٩٧١م.

١٧٧- المنذري:الحافظ زكي المنذري، مختصر صحيح مسلم ، تحقيق د.مصطفى البغا ، ١٩٦٠ م دار العلوم الإنسانية ،دمشق حلبوني .

١٧٨- محمود: أحمد بكير محمود، المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب، ط١، دار قتيبة بيروت ١٩٩٠م.

١٧٩- المزي:جمال الدين ابو الحجاج يوسف عبد الرحمن (٦٥٤-٧٤٢هـ)،تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة بيروت ١٩٨٥م.

١٨٠- محمد :محمد فؤاد بن عبد الباقي بن صالح بن محمد (المتوفى : ١٣٨٨هـ) اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، دار احياء الكتب العربية - محمد الحلبي.

١٨١- مراد :د.سعيد مراد ،نظرية السعادة عند فلاسفة المسلمين ،تصدير محمد عاطف العراقي،مكتبة الانجلو المصرية ،١٩٩٢م.

١٨٢- النسائي: أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، سنن النسائي تحقيق د.عبد الغفار سليمان البنداري ،وسيد حسن ،دار الكتب العلمية ،بيروت١٩٩١ م .

١٨٣- النيسابوري: الحافظ ابي عبد الله النيسابوري، المستدرك على الصحيحين ، تصحيح صالح اللحام ، دار ابن حزم ط١ ،٢٠٠٧م

١٨٤- النشار:علي سامي النشار، نشاه الفكر الفلسفي في الاسلام ، ط٤ ،دار المعارف مصر ١٩٦٩م.

١٨٥- النشار:علي سامي النشار، مناهج البحث عند مفكري الاسلام، ط٤، دار المعارف مصر ١٩٦٩م

١٨٦- النفوسي:العلامة الشيخ ابن نصر فتح بن نوح النفوسي،متن النونية في عقيدة التوحيد، المطبعة العربية الجزائر .

١٨٧- النعمان: محمد بن محمد النعمان، أوائل المقالات في المذاهب المختارات ، دار الكتاب الإسلامي بيروت ١٩٨٣ م.

١٨٨- الهندي: رحمة الله الهندي، إظهار الحق ، تحقيق عمر الدسوقي ،الدوحه قطر ١٩٨٠م .

١٨٩- الهيثمي: الحافظ الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، مطبعة دار الفكر ،بيروت١٩٩٢م

١٩٠- الهيثمي:برهان الدين إبراهيم الهيثمي، المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق د. عبدالرحمن العثيمين .

١٩١- الهمذاني:القاضي عبد الجبار الهمذاني،متشابه القرآن، تحقيق د. عدنان زرزور، دار التراث القاهرة

١٩٢- وافي: علي عبد الواحد وافي، الأسفار المقدسة في الديانات السابقة على الإسلام ، دار النهضة ، مصر .

١٩٣- يان:فنسنك أونت يان، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتناوي ،دار الفكر القاهرة،١٩٨٩م .